

نُهي
دارود



ذات
الوشاح
الوردي
رواية



الدار المصرية اللبنانية



@ART_OF_BOOK



ذات الوشاح الوردي

رواية



@ART_OF_BOOK

داود، نهى.

ذات الوشاح الوردى: رواية / نهى داود. - ط 1. -

القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2026.

344 ص؛ 20 سم.

تلمك: 2 - 565 - 795 - 977 - 978

1- القصص العربية.

أ - العنوان. 813

رقم الإيداع: 35015 / 2025



الدار المصرية اللبنانية

16 عبد الخالق ثروت القاهرة.

تليفون: 202 23910250 +

فاكس: 202 23909618 + ص.ب 2022

E-mail: info@almasriah.com

www.almasriah.com

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الأولى: 2026م

تصميم الغلاف الفنان: أحمد عاطف مجاهد

تعبير الآراء الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف

وليس بالضرورة أن تعبر عن آراء الدار

جميع الحقوق محفوظة للدار المصرية اللبنانية، ولا يجوز،

بأي صورة من الصور، التوصل، المباشر أو غير المباشر، الكلي أو الجزئي، لأي موارد

في هذا المصنف، أو نسخه، أو تصويره، أو ترجمته أو تحويله أو الاقتباس منه، أو تحويله

رقمياً أو تخزينه أو استرجاعه أو إتاحة عبر شبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مسبق من الدار.





نوحى داود

ذات الوشاح الوردي

رواية

الدار المصرية اللبنانية



إهداء

إلى العزيزين على قلبي، عمّو سميحة وعمو محمد...

والى يتهما القديم ببور سعيد، ومكتبته الخشبية المتواضعة التي
حوت كثر روايات أجاثا كريستي، فكانت بوابتي السحرية الأولى إلى
عالم أدب الجريمة الرحب.

والى زوجي الحبيب وشريك العمر والداعم الأول وسندي بعد
الله: إيهاب راتب.

والى صديقتي العزيزة ورفيقة الطفولة والقلم، الكاتبة والمترجمة:
هبة هندراوي.

- 1 -

النهاية

12:10 - ظهر الاثنين

لم أقاوم الخنق..

استسلمتُ لطرفي وشاحي وهما يضيقان على رقبتني. سقطتُ على أرضية المطبخ الباردة التي طالما أردتُ شراء بساط صغير لها. كان سينفخني الآن ويخفف من ألم الارتطام ولو أنه لم يكن ضروريا بعد أن فقدت الكثير من وزني مؤخرا.

كان يجب أن أعرف أن هذه ستكون العاقبة. لا.. لا أقصد العاقبة، بل قصدتُ النهاية.. النهاية اللاتمة لحياتي. أفكارني تشوش وأقد السيطرة عليها وأنا لا أحب ذلك. يبدو أن نقص الأكسجين عن خلايا مخي بدأ يؤثر علي.

سعلتُ بشدة.. تكافح حنجرتي لعبّ الهواء رغما عني. لماذا أتشبث بهذا العالم؟ لطالما أردتُ الرحيل. هل سأنسى كل شيء حينما أرحل؟ أريد أن أنسى.



أرى قدمين على امتداد بصري تتحركان يمينا ويسارا بغير هدى..
هل سعلتي مفزعة إلى هذا الحد؟ المسكين مرتبك!

مددت كفي برفق على الأرض أتلمس برودتها، لمست أناملتي
كُرة صغيرة خشنة ومتيصة. آه إنها الليمونة التي تدرجت منذ أيام
أسفل الخزانة. كيف نسيها؟ ابتسمت.. عمرها اليابس سيكون أطول
من عمري.

لم أكن مستعدة للغدر.. هل أخطأت حينما أدركت ظهري؟
لا، هذا ليس السؤال المناسب.

بقيت لي ثوانٍ معدودة في هذا العالم، لا أريد أن تكون هذه آخر
أفكاري. ألن أفكر في أسرتي وأحبائي؟ وهل لديّ أحباء؟ آه بالتأكيد
أحبتي أمي، وأختي.. وربما أبنائي. ولكن الرجال! لم يكن لي حظ
من محبة الرجال في حياتي.
وما الحب؟

ذلك الكائن الغادر الذي راوغني كثيرا ثم لم يبل رجلي قط..
ليتني انتبهتُ لنبرة الغضب في الصوت، ونظرة التهديد في العينين.
لكن قلدي أن أكون فتية لقصور رؤيتي للأخر وحسن ظني به..
كالعادة!

لا، لن أسقط ثانية في فخ الضحية. لا أريد أن تُقطر آخر كلماتي
لنفسي بالشفقة، ولا أن تكون نظرتي الأخيرة لنفسي كمنهزمة. لن
أسمع لهذه الكلمة أن تُعرفني وتكون السطر الأخير في حكايتي.





أنا أكثر من كوني ضحية..

من المؤلف ألا أدرك هذه الحقيقة غير الآن.. وأنا راحلة.

ربما لو كنتُ أدركتها مبكراً لتغيرت حياتي، واختياراتي..
ومصري!

تسللت إلى أنفي رائحة البيض المسلوق الذي بقي على النار
حتى جفت مياهه والتصق بالقمر.. رائحة شياط مزعجة. أرجو أن
يكون قاتلي من الكياسة بحيث يطفى النار قبل رحيله، لا أخاف الغاز
ولكنني أكره الإهدار.

ما هذا اللمعان؟ لماذا ينعكس شعاع الشمس على نصل السكين
الذي قطعته به الخبز لتوي!

ولماذا يقترب مني؟



- 2 -

اللقاء الثاني

تردّدت في الدخول إلى المقهى..

دق قلبها سريعا وهي تتساءل إن كانت ستعرّف عليه بعد كل
تلك السنين. لم يطل تساؤلها إذ وجدته أمامها بقماته الفارعة وعينيه
الداكتين.

عرفته على الفور..

برغم الوزن الذي اكتسبه، وشعر رأسه الذي تراجع إلى الوراء
قليلا، والشيب الذي غزا فوديه، وشاربه الذي خففه.. ولكنه هو، لا
يمكن أن تخطئه عينها، فضلا عن قلبها!

قطع المسافة بينهما في خطوات سريعة ووقف، شعرت
بمغناطيسيته قابضت..

- أوحشتني.

قالها وهو ينظر في عينيها مباشرة. لم تكن تعرف أن لغة العيون
يمكن أن تكون جارية هكذا. أشاحت بعينيها سريعا ثم نظرت حولها
نبتت عن مكان للجلوس. لم يستجب لإشارتها بل قال:

لن الوشاح الوردي



@ART_OF_BOOK

- لم يعد في العمر وقت نفسيه.. تعلمين أنني أحيتك دائما.
لا، لا تعلم ذلك.. قصة حبهما السريعة منذ نيف وعشرين عاما،
مثلها مثل عشرات القصص التي لم يكتب لها أن تكتمل.. ثم إنه لم يمر
على انفصالها عن عمرو سوى عدة أشهر، ولديها ولدان يحتاجانها.
اقترب منها بنصفه الأعلى قائلا بنبرة خافتة مسيطرة:
- لا تفكري يا قدوى. لقد أضعنا فرصتنا معا مرة ولن نكرر الخطأ..
مستزوج.

- وزوجتك؟ لن أجرح امرأة أخرى مهما كان الثمن.
- أنت لا تفهمين، نحن لسنا سعداء معا. لم نكن أبدا.
- اسطوانة مكررة.. وبقية أنكما معا بسبب الأبناء.
- والشكل الاجتماعي.. هذا صحيح. ولكنها لا تمنع أن أتزوج. في
الواقع لقد اتفقنا على ذلك منذ سنوات بعيدة. ولكن قلبي لم يطاوعني
أن أكون مع غيرك. ليال طويلة اصطليتُ فيها بتار التفكير بك، التقيتُ
بعشرات النساء ولكن إحداهن لم تدر رأسي كما فعلتِ أنتِ.
رقص قلبها بزهو مع كلماته غير أنها أخفت زهوتها قائلة:
- ولكنك لا تعرفني.. الفتاة التي أحيتها كانت في العشرين من
عمرها. أنا اليوم امرأة أخرى.

- بلا فلسفة أرجوك. أعرفك وأحبك.. بل ازداد حبي لك يوما
بعد يوم ومئة ومئة سنة. أتاينك على وسائل التواصل الاجتماعي..





أقرأ منشوراتك وأرى صورك وأشاهد فيديوهاتك وأشعر بـ **فيم** من متابعينك. أنا أحب امرأة اليوم أضعاف ما أحببت فتاة الأمس.

دغدغ كلامه قلبها.. لم تسمع مثله ولم يكلمها أحد أبدا بهذه النبرة. ازداد صوته عمقا وهو يهتف:

- إن لم توافقي على الزواج مني سأقوم باختطافك والاحتفاظ بك لدي حتى توافقي.

لم تعرف أن الحب يمكن أن يكون عنيفا وجارفا بهذا الشكل.. عنيفا! هل عليها أن تقلق؟ لفت خصلة من خصلات شعرها اللهي على إصبعها وهي تفكر.

- تكلمي.. فيم تفكرين؟ أريد أن أسمعك..

- لا أجد ما أقول.

- لماذا انفصلت عن زوجك؟

همت بالكلام فقاطعهما النادل يسأل عما سيشربان. ظهر على وجه وليد الضيق، ثم أدرك أنه لم يطلب لها شيئا بعد فسألها:

- ماذا تشربين؟

- مثلك.

قال للنادل:

- كويان من السحلب من فضلك.

- لا زلت تتذكر؟



- وهل يمكن أن أنسى؟

قالها وهو يهيم في عينيها البندقيتين الساحرتين مردفا:

- شربْتُ السحلب صيفا وشتاء، لأنه كان يذكرني بك.

- لم تكن تحبه حينما التقينا.

- أحبته من أجلك.

في هذه اللحظة.. أجمعت أمرها ورفعت عينيها إلى عينه وسأته
السؤال الموجل لسته وعشرين عاما:

- لماذا تركتني؟

عقد حاجبيه وتجهّم وهو يجيبها:

- تعلمين جيدا ماذا فعلت والدتك.

- توقعتُ أن تَمسك بي، أن تحارب من أجلي.

- حاولت.

- ليس بما يكفي.. لقد انتظرت عودتك. كنت أتفرّس في الوجوه
في الشوارع بحثا عن وجهك، وأراقب السيارات في الطرقات لعلني
أرى سيارتك. ولكنك ذهبت ولم تعد.

نكس رأسه ولم يجيبها فأردفت:

- «إنه الغرور يا عزيزي أليك».

- ماذا؟

- الغرور.. لقد منعك غرورك واعتدادك بنفسك أن تتحمل نكاح
والدني لكي تصل إلي.

ART_OF_BOOK

- لم يكن ليتحملة أحد.

- تحمله زوجي.. السابق.

احمر وجهه وبرزت العروق في جبهته فعرفت أنها أصابت وترا.
وضع النادل كوبين من المشروب الشتوي الأبيض أمامهما فانتهر
وليد الفرصة ورشف رشفة من السحلب، ثم ولدعشتها اعترف:
- أنت محقة.

لم تتوقع إجابته.. أبدا!

- لقد أخطأت حينما سمحت لكبريائي أن تعرمني منك. وندمت
على ذلك طويلا.. ولكنني تعلمت الدرس.. لن يحدث ثانية.. أعدك
تفاجأت بما قال، لم تستطع منع قلبها من الرقص بين ضلوعها،
أدركت أنه لاحظ انفراج أساريرها فكبحت مشاعرها سريعا مذكرة
نفسها بصوت عال:

- أنت متزوج.

زفر وهو يشد قبضته على الكوب حتى ظنت أنه سيتهمش بين
أصابعه، ولكنه حافظ على نبرة صوت هادئة وهو يقول:
- سأعطيك رقم هاتف زوجتي.. أسأليها بنفسك إن كانت موافقة
على زواجي من أخرى.

16 ذاك الوشاح الوردي



@ART_OF_BOOK

- لن أفعل ذلك بالطبع..

- حسنا انتظري.

أخرج هاتفه من جيبه واتصل بأحدهم ثم قال:

- رويانا.. هل تتذكرين الفيديو الذي صورته لُمنى بخصوص
زواجي من أخرى؟ أرسله من فضلك.. الآن.

أنهى المكالمة وظل ينظر في هاتفه حتى تلقى إشعاراً صوتياً
بوصول رسالة، فتحتها ثم مد هاتفه إلى فدوى قائلاً:

- شاهدي هذا الفيديو.

طالعتها وجه امرأة خمسينية من زاوية جانبية.. امرأة لها ملامح
حاددة وتجاعيد واضحة حول عينيها وفمها، وحينما تكلمت ظهرت
ثلاثة خطوط طولية غائرة بين حاجبيها. لم تكن تنظر نحو الكاميرا
بل كانت توجه كلامها لشخص ما خارج الكادر، وكأن الذي صور
الفيديو صورته خلسة دون معرفتها، كانت تقول بنبرة ضعيفة:

«تزوج يا وليد.. أنا التي أطلبها منك، إن لم أتمكن من إسعادك فلا
يزال بإمكانك الزواج من أخرى تسعدك. المهم أن أظل على ذمتك
من أجل الأولاد ومن أجل صورتنا أمام الناس».

اهتزت الصورة وكان الهاتف تحرك فجأة ثم انتهى الفيديو.

رفعت رأسها إليه فقال:

- هل صدقتني؟ لم نكن سعداء.. كثيرا ما طلبت مني الزواج من أخرى ولكنتي كنت دوما أرفض، وفي إحدى المرات انتهزت رويانا الموقف وصورتها لكي تقنعني، ولكي يكون دليلا لعروسي المستقبلية على موافقتها وفق كلامها.

- عروسك؟

- أنتِ أول من تشاهده، حتى أنني لم أكن أحتفظ بنسخة منه على هاتفي كما رأيت.

أسقط في يديها.. هل تصدقه؟

رؤيتها له أيقظت الحب القديم الذي دفنته وأهالت عليه التراب لسنوات ولكنها اكتشفت اليوم أنه لا يزال جمرة مشتعلة بين جنيها. تريد أن ترتمي في أحضانه ويستأنفا معا ما فاتهما فهي بعد كل شيء ليست قديسة! حسمت أمرها، ستصدق. ستمنحه قلبها المتعب، ربما آن الأوان أن ترتاح وأن تتمتع بالحياة. لاحظ انفراج ملامحها فسألها:

- لماذا انفصلت عن زوجك؟

دق سؤاله ناقوس خطر بداخلها.. ليس السؤال، بل النبوة التي استخلصها. تذكرت الأشهر المكدودة التي قضتها معه في قصة حب عنيفة.. كانت أخته رويانا زميلتها في كلية الصيدلة وصديقتها المقربة حينما انتقلت معها في حفل لعمر ودياب ووقعا في الحب على الفور.. كانت أن شكاكا وغيورا. أحببت غيرته حينها واعتبرتها عنوانا للحب الدائم.. أما الآن، وبعد أن اكتسبت خبرة لا بأس بها من الحياة.. هل

متجيب عن سؤاله بصدق؟ أم سيفتح عليها ذلك أبوابا لا تريد فتحها،
على الأقل في لقائهما الأول بعد سنوات الفراق.

استفاقت لنفسها.. غيور وشكاك على نفسه، أنا لست الفتاة
القديمة. إن عدنا معا سنعود بشروطي. لن أقبل منه تلك المشاعر
البدائية ثانية. يجب أن يتعرف على نسختي الجديدة ويقبلها قبل أي
خطوة. سأخبره.. سيكون هذا اختبارا أوليا.

- عمرو كان جاري وابن صديقة أمي كما تعرف. عشتُ معه
سنواتنا الأولى في سعادة.

تصلب فكّه واشتدت قبضته على الكوب من جديد..

- ثم غزا الفتور حياتنا.. عمرو شخص تقليدي التفكير يقدر
الاستقرار ويخشى المغامرة وكثيرا ما كبت أحلامي وطموحاتي،
ويدون أن نشعر بدأت طرقنا تتباعد وأصبحنا نتشاجر كثيرا.

- خاصة بعد أن أصبحت من مشاهير مواقع التواصل
الاجتماعي.

أشاحت يدها وهي تقول:

- لا تبالع.. أنا لست من المشاهير، ليس لدي سوى أربعين ألف
متابع على الانستجرام وستين ألفا على التيك توك وها أنذا أكافح مع
قناة اليوتيوب.

باغتها بسمه إل جديد:



- متى خلعت الحجاب؟

تفاجأت بسؤاله فأخذت وقتها في رفع خصلة شعر عن عينها
ووضعتها خلف أذنها وهي تسأله في دلال:

- هل أغضبك ذلك؟

- استغفرتة. لم أتوقع.

- خلعت منذ ست سنوات تقريبا، ألم تقل أنك تتابعني؟ لا بد أنك
تعلم.

- ولكنتي لا أعلم السبب.

لم تحب المنحى الذي اتخذته الحديث ولاحظ هو ضيقها فرفع
كفه في الهواء قائلا:

- لا تقلقي. لن أ تدخل في الأمر. أحبك كما أنت، بحجاب أو
بدون. إنه اختيارك الشخصي الذي أحترمه.

لم تصدق أذنيها. هل تغير حقا؟ لقد أصبح نسخة أكثر روعة ونضجا
من التي أحببتها. لن تتركه يضيع من يديها هذه المرة، أكملت قائلة:

- بدأنا أنا وعمرو نوذي بعضنا البعض بشكل غير واع ومع ضغوط
الحياة وتربية الأبناء اتسعت الهوة بيننا وتأثرت نفسية الأولاد. زادت
الخلاقات بيننا حول طموحاتي وظهوري المتكرر على «السوشيال
ميديا» فلم أعد قادرة على تحمله فاتفقنا في هدوء.

ميداء طرق برأسه لحظة ثم سألها:



رفها جيدا، أكثر مما تتصور، سيحترم رغبتها ويعطيها وقتها حتى
وز بقلبها في النهاية.

افترقا على اتفاق بأن تمهد لأسرتها.. وعلى وعد بقاء جديد
قريبا.

راقبها وهي تنهض عن المقعد في رشاقة وتستدير وترحل. تأمل
قوامها المثالي واستشوق عطرها لمرّة أخيرة قبل أن تبعد. أراد أن
يضمها، أن يلمسها ويلف خصلات شعرها الذهبي على إصبعه، ولكنه
لم يرد أن يخيفها.. ليس مقبولا أن يلمسها، ليس في هذه المرحلة على
الأقل.

أحلام مؤجلة

نظرت فدوى لنفسها في المرأة..

رفعت شعرها إلى أعلى وحركت رأسها يمينا ويسارا تتأمل ملامحها الدقيقة في رضا. كانت محقة في الحفاظ على جمالها والاستثمار فيه. لم تكن تعرف بالطبع أنها ستقابل وليد ثانية وإن تمت ذلك غير مرة، إلا أنها أتت نصيحة صديقتها ماهيتاب بالذهاب إلى مركز التجميل الشهير الكائن في واحدة من أرقى مناطق حي التجمع الخامس. القليل من حقن النضارة و«البيبي بوتكس» هنا وهناك، نفخ بسيط للشفاه، وتركيب خصلات لزيادة كثافة الشعر أعادها إلى إعدادات المصنع فبرق جمالها الذي لطالما تباهت به. كلفها الأمر مبلغا كبيرا استقطعت من مدخراتها مترددة، ولكن ماهيتاب أقنعتها بأن ذلك ضروري للمرحلة القادمة التي سيخبرغ فيها لصناعة المحتوى وتحصد فيها المشاهدات، بعد أن تخلصت من تحكمات عمرو ورجعته. أمسكت بهاتفها وفتحت صفحتها على «الانستجرام» تلمشن على الفيديو الجديد الذي حملته في الصباح. لقد حقق اثني عشر ألف مشاهدة وعشرات التعليقات. ممتاز. كتحت «التيك توك»،





يعرفها جيدا، أكثر مما تتصور، سيحترم رغبتها ويعطيها وقتها حتى
يفوز بقلبها في النهاية.

اثرقا على اتفاق بأن تمهد لأسرتها.. وعلى وعد بلفاء جديد
قريبا.

راقبها وهي تنهض عن المقعد في رشاقة وتستدير وترحل. تأمل
قوامها المثالي واستشق عطرها للمرة الأخيرة قبل أن تبعد. أراد أن
يضمها، أن يلمسها ويلف خصلات شعرها الذهبي على إصبعه، ولكنه
لم يرد أن يخيفها.. ليس مقبولا أن يلمسها، ليس في هذه المرحلة على
الأقل.



أحلام مؤجلة

نظرت فلوى لنفسها في المرأة..

رفعت شعرها إلى أعلى وحركت رأسها يمينا ويسارا تأمل
ملامحها الدقيقة في رضا. كانت محقة في الحفاظ على جمالها
والاستثمار فيه. لم تكن تعرف بالطبع أنها ستقابل وليد ثانية وإن تمت
ذلك غير مرة، إلا أنها أثبتت نصيحة صديقتها ماهيتاب بالذهاب إلى
مركز التجميل الشهير الكائن في واحدة من أرقى مناطق حي التجمع
الخامس. القليل من حقن النضارة و«البيبي بوتكس» هنا وهناك،
نفخ بسيط للشفاه، وتركيب خصلات لزيادة كثافة الشعر أعادها إلى
إعدادات المصنع فبرق جمالها الذي لطالما تباغت به. كلفها الأمر
مبلغا كبيرا استقطعت من مدخراتها مترددة، ولكن ماهيتاب أقنعتها بأن
ذلك ضروري للمرحلة القادمة التي سيخبرغ فيها لصناعة المحتوى
وتحصد فيها المشاهدات، بعد أن تخلصت من تحكيمات عمرو
ورجعته. أمسكت بهاتفها وفتحت صفحتها على «الانستجرام»
تطمئن على الفيديو الجديد الذي حملته في الصباح. لقد حقق اثني
مئتي ألف مشاهدة وعشرات التعليقات. ممتاز. لفتت «التيكتوك»،





عشرين ألف مشاهدة. عظيم، مستجذب هذه الأرقام حملات تسويقية لماركات شهيرة أخيرا بدلا من تلك المتواضعة التي كانت تخاطبها في الفترة الأخيرة، وستبدأ في الحصول على هدايا ثمينة وعقود تسويق مجزية كما كانت تحلم.

عادت تنظر إلى وجهها الجميل في المرآة، أرادت أن تطلّ على متابعيها بإطلالة جديدة تليق بطموحاتها ولم تكن تعلم أن القدر يخبئ لها وليد.

آه وليد... دق قلبها، هل تحلم؟

هل يمكن بالفعل أن تتزوج وتعيش معه سعادتها الموهلة؟ تذكرت أمها وحمدت الله أنها لم تلاحظ بريق السعادة في عينيها أثناء دخولها إلى المنزل وإلا لاستجوبتها وهي ليست مستعدة بعد لإخبارها بأمر وليد.

تعلم أن ذلك سيفتح عليها أبواب الجحيم. فزواج أيها على أمها بغتة وتركه لهم أفقد أمها اتزانها وجزءا غير قليل من عقلها وحكمتها. أصبح لقب «الزوجة الثانية» في بيتهم مرادفا لامرأة تستحق الحرق مثل ساحرات القرون الوسطى. خاصة بعد أن تطلّقت أختها الصغرى داليا بعد عام واحد من الزواج قضته محترقة بنار الشك والغيرة وتنبّش فعلة أيها في كل كلمة وكل حركة لزوجها حتى ضاق بها ذرعا وتركها. لم تتزوج داليا من بعده، بل لم تفتح قلبها للحب ثانية ودفنت نفسها في العمل حتى وصلت إلى منصب كبير بوزارة الخارجية. وعاما بعد عام، تشيطنت صورة الرجل في بيتهم





أكثر. لم ينج من هذه الصورة سوى عمرو وزوجها السابق الذي تنسج من نيل رضا والدتها كونه ابن صديقتها وجارتها، وكونه اعتاد على استرضاء والدتها بأسلوبه اللبق الهادئ. ولكن ما قد طالتها النيران في النهاية وانفصلت هي الأخرى، وكان الطلاق لعنة تطارد سيدات أسرنا فحق عليها القول أخيرا..

لم تحزن لطلاقها، فهل كانت تتوقع أن يحدث ذلك منذ اليوم الأول لزوجها كنيسة عرافة مطوية؟ أم أنها فقدت الحب على مدى السنوات فلم يبق من أثره شيء تبكي عليه؟ لقد ثارت ثورة والدتها حينما أخبرتها برغبتها في الطلاق، وخاضت حربا ضروسا على مدى أشهر حتى تمكنت من إتمامه، ولا تزال والدتها مقتنعة حتى الآن أن ما حدث هو زوينة في فتجان وأنها ستعود إلى عمرو ثانية.

ماذا سيكون موقفها إن عرفت أن ابنتها شخصيا ستكون زوجة ثانية، ولمن؟ لوليد!

هي لن تستطيع مطالبة وليد بتطليق زوجته خاصة بعد أن شاهدت الفيديو، فطلب زوجته الوحيد كان أن تغل على ذمتها، والهشاشة والحزن الباديان عليها أثارا فدوى ومسا قلبها. ربما عليها البدء بولديها فهد وفارس وجس نبضهما أولا. ترى كيف سيتلقى فهد ذا السبعة عشر ربيعا الخبر؟ وهو الذي لم يخرج من برائن المراهقة بعد، بينما يقف فارس على أعتابها بسنوات عمره الأربعة عشرة وارتباطه الشديد بها. وماذا عن عمرو؟ هل سيتقبل الفكرة؟ أم سيتهمز الفرصة ويطلب بحضنة الولدين؟



انقبض قلبها.. كيف فكرت في الزواج ثانية وهي متأكدة أن موقف كل من حولها سيكون الرفض. بل الحرب!

ترسل لوليد رسالة تخبره فيها أن زواجهما من رابع المستحيلات ثم مستغوم بحظره قبل أن يرد. أمسكت بهاتفها وبحثت عن اسمه على تطبيق «الواتساب» لتجد منه رسالة من كلمة واحدة: «أحبك».

لم تكن تتوقع أن تدغدغها الكلمة بهذا الشكل، ولكنها فعلت! وكأنها عادت فتاة غريبة في السادسة عشرة من عمرها..

ما الخطأ في أن تتزوج ولید؟ ستكون علاقتهما كحلم جميل تمتص فيه رحيق البدايات حتى الثمالة. وإن تغير الأمر بينهما ستفصل عنه، فما الذي ستخسره؟

همت بأن ترسل له رسالة ولكنها أحجمت في اللحظة الأخيرة، أين ذهب مبلوؤها الراسخ «الثقل صنعة»؟ وردتها منه رسالة جديدة.. «اشتقتُ إليك».

حيث لم تستطع منع نفسها فأجابته: «وأنا أيضا».

«منى منلتقي؟».

«لم أخبر الأولاد بعد».

«فلنلتقي غدا على الغداء».



قرأت اسم المطعم الذي أرسله، مطعم هندي فاخر تحبه وترجس
زيارته شهرا بعد شهر، فالأولويات الأخرى للميزانية دوما ما تنزع
على السطح لتزيح المطعم إلى ذيل القائمة.



قضت فدى ما يزيد على الساعة في الاستعداد للقاء وليد. أرادت
هذه المرة أن تذهله، فإن كانت قد التقت به بالأمس والتردد يسوقها،
فهى اليوم متأكدة مما تريد.

زنت وجهها بالقليل من مساحيق التجميل لتعطي انطبعا بجمال
طبيعي وجمعت شعرها إلى أعلى وأسدت منه خصلات رقيقة على
جانبي وجهها في عشوائية منظمة. ارتدت ثوبا أنيقا باللون الأحمر القاني
بضيق عند الخصر ليرز قوامها الدقيق واختارت له قرطا من اللؤلؤ
الأيض مع عقد مماثل. امتت لحمية البيض المسلوق والأفوكادو التي
ساعدتها على فقدان عشرة كيلو جرامات من وزنها في أقل من ثلاثة
أشهر. ارتدت حذاءها العاجي ذا الكعب العالي وحملت حقيبة ذهبية
صغيرة. ضغطت بأناملها على أهدابها الصناعية برفق تتبها ثم استرقت
لنفسها نظرة أخيرة في المرآة قبل أن تخرج من غرفتها وتسرع نحو باب
الشقة متعاشية والدتها، ولكن لسوء حظها استوقفها فهد:

- ماما.. أريد نقودا.

لا يزال صوته يخشّن يوما بعد يوم..

لم تأخذ مصروفك منذ عدة أيام؟

- وهل تستبين ذلك تقودا.. أعطني مئة جنيه.

همت بالاعتراض ولكن تعالى صوت والدتها من الداخل تتساءل
بنبرة ملحة:

- ما الأمر يا فلدى؟

أخرجت فلدى مئة جنيه من حقيبتها ودستها في يد ابنها. رفعت
صوتها كي تسمع والدتها:

- لا بأس يا ماما.

فتحت باب الشقة وخرجت فنادها فهد في فضول:

- إلى أين تذهين بهذه الأناقة؟ هل لديك تصوير؟

تركت سؤاله معلقا وأسرعت على السلالم وعطرها يسبقها.



استقبلها النادل على باب المطعم، أخبرته باسم وليد فهد في
وجهها وانحنى لها احتراماً ثم اصطحبها إلى منضلة متزوية تضيئها
الشموع. وجدت وليد بانتظارها ورأت في عينيه انبهاراً فوراً طمأنها.
جلست أمامه في رقة وشبكت كفيها أمام وجهها. لم يستطع رفع عينيه
عنها حتى أنه لم يتكلم.

- كأنك تراني لأول مرة.

قالت في دلال فأجابها بأنفاس مبهورة:

- كل مرة أراك فيها هي أول مرة.



ابتسمت لكلماته.. جعلتهما أجواء المطعم الهادئة وإضاءة
بنادلان الهمسات والابتسامات في رومانسية حتى أن أطباقهما ظلت
كما هي لم تُمسّ رغم تنوعها ورائحتها الشهية.

- أكل ناكل؟

- أريد أن أشبع منك أولا.

ظهر عليها أثر كلماته في ابتسامة واسعة ووجنتين محمرتين فسر
أنه امتلكها أخيرا.. رفع أغطية الأطباق النحاسية ووضع كفه فوق
الطعام ليطمئن إلى سخونته بفضل الشمعة الصغيرة المشتعلة أسفل
منه. تناولا الطعام ببطء فوجدته فدوى استثنائية. تمنّت أن تخرج
هاتفها وتصور فيديو للمتابعين. كان سيحصل آلاف المشاهدات في
دقائق، فالناس يحبون المحتوى الشخصي، وقلة هم من يرتادون مثل
هذا المطعم الفاخر. لاحظ وليد صمتها فسألها:

- ما بك؟

- لا شيء.

- كلميني عن أحلامك.

مرت سنوات طويلة لم يسألها فيها أحد عن أحلامها.. اتسمت
ابتسامتها وهي تقول:

- أستمع بصناعة المحتوى والتواصل مع المتابعين، أتمنى

أن أزيد من عدد المقاطع المصورة على قنواتي وأرفع من جودتها



لاكون واحدة من أشهر الوجوه المؤثرة على مواقع التواصل الاجتماعي.

- ولكن هذا ليس حلمًا. احلمي أرجوك.. ماذا عن حلمك أيام الكلية؟

- ياه.. ألا تزال تذكره؟

- قلت لك أنا أذكر كل ما يخصك.. كان مشروعًا له علاقة بالتجميل، أليس كذلك؟

أخذت نفسًا عميقًا وتنهدت ثم قالت:

- خط إنتاج ضخمة لمنتجات تجميل مصنوعة من مواد طبيعية.

- «فدوى بيوتي».. اسم جذاب.

ضحكت وهي تجيبه:

- تتكلم وكأن الأمر حقيقي.

- سيكون حقيقياً، سنبدأ فيه من الليلة.

- ما الذي تقوله؟

- سأمول المشروع. أنا أثق بك ومتأكد أنه سيكون مشروعًا ناجحًا، خاصة مع حجم متابعيك ودراساتك السابقة للصيدلة.

لم تكن تصدق أذنيها فأكمل:

- معي يا فدوى.. أحلامك أوامر. هل سأراك غدا؟



- 4 -

هي

12:24 - ظهر الاثنين

راقبتُ دمائي القاتمة وهي تندفع مشكلةً بركة صغيرة اتسعت من حولي في بطة.

تُرى.. هل يشعر بالندم على ما فعل بي؟ لن أعرف فأنا لا أستطيع رؤية وجهه. وكأنه قرأ أفكاري، انحنى بجسده ونظر إلي، لم أر في عينيه ندمًا، بل غضبًا.. غضبًا مستعرا. حرّك فمه.. هل سيعتذر لي؟ هل سيودّعني؟

«هذا كل ما تستحقينه».

قالها هامسا ثم اعتدل وابتعد عن مرمى بصري.

احتشلت الدموع في عيني.

لقد أغضبتني كلماته.. أغضبتني كثيرا.

اعتدتُ طيلة حياتي تلقي الكلام المؤذي بابتسامة أجدتها عبر السنين.. ولكن هذه المرة أشعر بغضب شديد.. حقا!

بيت الوشاح الوردي



@ART_OF_BOOK

أعتقد أن أفضل خدمة أسديها لنفسي عند موتي هي الصدق معها.
اعتدت تكذيب أذني واختلاق الأعذار للناس، الأعذار التي قد تصل
إلى تصديق الكذب المفضوح فقط كي لا أحمل ضغينة تجاههم،
خاصة أقرب الناس. كي لا أراهم في صورة سيئة ولا أجعلهم الشرير
في روايتي، فهم أقرب الناس! وكي لا أغضب.. كي أكون متسامحة
فيرضى عني الله. كي أسمى فوق ضعفي الإنساني كما أخبروني،
وأكون دوما تلك اللطيفة التي احتادوها.

اللعة على اللطف!

سأكون صادقة مع نفسي للمرة الأولى: أنا غاضبة،

أذنتي الكلمات كثيرا لأنها أصابت وترا!

«هذا كل ما تستحقينه».

تذكرت أنني رأيت رواية بهذا العنوان في المكتبة القريبة ويرغم
ترشيح البائعة النحيلة لها واصفة إياها بإحدى روائع الأدب الياباني
الحديث أحجمت عن شرائها بعد أن بلغ عنوانها الكحول على
جرحي.

مسألة الاستحقاق هذه شائكة.. فمنذ نعومة أظفاري عرفت أنني
لا أستحق. فمن لا يستحق حب أبويه لا يستحق شيئا. هكذا نشأت.
وهكذا تعلمت أن أبالغ في عطائي.. في تقاني للآخرين.. في لطفني..
وفي تحملي.. لأنني لا أستحق. وإن رغبت في أي قدر من الحب كان
علي أن أبذل مجهودا مضاعفا كي أحظى بالقبول.

الدم بقعة تلو الأخرى. بعد لحظة أدركتُ أن رؤيتي للوجود من حولي
هي التي صارت مبرقشة. جفناي يصبران على الانغلاق وأنا
مني بعد.

هذه لحظاتي الأخيرة في الدنيا، ولم أسأله بعد السؤال الذي سأله
لنفسه ستة عشر ألفاً وأربعمائة وخمسا وعشرين مرة:

لماذا لم تحبني؟!



لا أطيع الانتظار

أزالت فدوى مساحيق التجميل عن وجهها في عناية وهي ترفع على صفحاتها الفيديو الذي صورته لنفسها أمام المطعم وذيلته بالتعليق: «حان الوقت كي أدلل نفسي»، ثم تمددت على فراشها وابتسامة سعادة كبيرة تملأ وجهها وتمنعها حتى من ضم شفيتها. لا تصدق أن أحلامها ستتحقق هكذا فجأة بعد كل تلك السنوات. ترى وليد أمامها كعلاء الدين يفرك المصباح السحري لتخرج منه كل أحلامها المؤجلة كطيور بيضاء تفرد أجنحتها وتحلق في السماء. تأملت أظافرها المطلية بعناية وهي تتساءل عن المكان الذي سيلتقيان فيه غدا. لم يخبرها.. طلب منها أن تقابله في موقع قريب كي يذهبها معا. شعرت بقليل من الحرج أنها ستركب معه في سيارته، ثم عادت فتنفست عنها الخجل، وذكرت نفسها أنها ليست فتاة صغيرة، ستكون أكثر جراءة هذه المرة في علاقتهما وستقتنص كل فرص السعادة ولن تهدر جمال البدايات باعتراضات ساذجة خالصة وأنهما قد اتفقا على الزواج.

خفت الابتسامة على شفيتها، كيف سيتروجان وهي لم تخط خطوة واحدة نحو مفاتحة أهلها في الأمر؟ قلبت الأمر على جنبه



في عقلها للحظات ثم قررت تنحية القلق عن بالها فهي لا تريد
الأمسية اللذيذ أن يتبدد.. أرادت أن تنام وابتسامتها على شفيتها تعلم
بأيامها القادمة مع حبها الأول.. وليد.



أوقفت سيارتها الصغيرة في موقف السيارات التابع لمحطة الوقود
القرية ووجدته بانتظارها في سيارته الألمانية الفارغة. اصطحبها إلى
أحد الفنادق الشهيرة حيث حجز لهما اليوم بأكمله. يوما من الأحلام،
أجمل من أن يصدقه عقلها.

أكلًا وشربًا وضحكًا وناقشا مشروع «فدوى بيوتي».. وفي نهاية
اليوم أوقف سيارته بجوار سيارتها وأمسك بكفها ونظر في عينيها
وهمس باسمها بنبرة عميقة قائلا:

- فدوى.. أنا لا أطيق الانتظار.

أشاحت بوجهها في خجل، فاكسبت نبرته جدية مفاجئة وهو
يسألها في نفاذ ضيق:

- متى؟

- ماذا تعني؟

- متى ستخبرين والدتك وأبناءك؟ أريدك.. أريد أن يخلق علينا
باب واحد.. أنا حقا لا أطيق الانتظار.

تلعثمك وهي تجيبه:

الربيع الورد



@ART_OF_BOOK

- حاضر.. سأخبرهم في أقرب فرصة.

- الليلة.

قالها بإصرار أربكها فأومات برأسها وهي تبتلع ريقها.. لانت ملامحه ثانية وهو يهمس لها:

- تصبحين على خير.. سأنتظر الأخبار الحلوة.

ترجلت من سيارته وأسبغت الخطى نحو سيارتها في توتر. لم تكن تتمنى أن ينتهي اليوم هكذا. ولكنه محق.. ليس من اللائق أن يمضي الوقت معاً دون أن يطمئن لعلاقتهما. سيظن فيها عدم الجدية وأنها تستغله لقضاء وقت لطيف ولتمويل المشروع. لا تريده أن يشعر بذلك لأنه غير حقيقي. هي تحبه وتريد هي الأخرى أن يُغلق عليهما باب واحد.

أشعلت محرك سيارتها وقد عازمت على أن تفجر القنبلة الليلة، كما وعدته..

*

فتحت باب الشقة لتجد فهد ابنها أمامها:

- أين كنتِ يا ماما؟

وقبل أن تجيبه ظهر فارس وهو يقول:

- هذا ثالث يوم تخرجين فيه بكامل أناقتك.

لم تدرك أن فارس لاحظ خروجها المتالي ولكنها أجابتها:



- أريد أن أفاتحكما في موضوع خاص. هيا على الغرفة

جلس ثلاثتهم متجاورين على الفراش، ابتلعت ريقها.. لم تستطع الكلام، فسألها فهد:

- ما؟

لم تعرف كيف تخبرهما، ظلت طيلة الطريق إلى المنزل تتمرن على عبارات بعينها ولكن الآن تبخر كل شيء.. وجدت نفسها تهتف دون مقدمات:

- أريد أن أتزوج.

ظهرت الصدمة على وجهي الولدين. انتفض فهد من على الفراش وسألها في غضب:

- ماذا؟ من؟

بينما تتمم فارس في ذهول وكأنه يكلم نفسه:

- ظننتك ستعودين إلى بابا.

لم يمهلها فهد فرصة للرد..

- ماما لن تتزوجني رجلا غير بابا. إذا كنت لا تريدن العودة له فبراحتك. ولكن لا يمكنك الزواج من رجل آخر غيره.

أتت والدتها على صوت فهد العالي ففتحت باب الحجرة ونقلت نظرهما الضعيف بينهم متسائلة في قلق:

- ما الأمر؟



صرخ فهد:

- ماما تريد أن تتزوج يا تيتا.

- ماذا؟

تجلت الصدمة على وجه والدتها بدورها ووضعت كفها على صدرها:

- آه قلبي. سأصاب بجلطة.

اعتري فدى اضطراب شديد وأسرعت نحو والدتها فأجلستها ودلكت كتفها وهي تقول:

- ماما لا.. سلامتك.

سألها أمها من بين أنفاسها المتقطعة:

- هل مستزوجين حقا؟

- عرض عليّ أحدهم الزواج.

- من؟

- لا يهم.

اكتسب صوت الأم صرامة لم توقعها وهي تعيد السؤال في إصرار:

- من يا فدى؟ أخبريني الآن.

همست فدى:

- وليد.

صرخت والدتها:

- وليدا وليد أخو روبانا؟

نكست فدوى برأسها ولم ترد.

- على جثتي.. هل تسمعين؟ على جثتي.

قفز فهد نحوها صارخا:

- إن اقرب منك ذلك الرجل سأقتله.. هل تسمعين؟ سأقتله.

لم تمالك فدوى نفسها فسالت دموعها وهي تنظر نحو والدتها التي أمسكت بصدرها وهي تلهث، ولمعة الجنون المفاجئ التي تفجرت في عيني فهد، وفارس الذي كان ينظر إليها ذاهلا وفي عينيه لبوم وعدم تصديق.. اقتربت منهم وفتحت ذراعيها تحتضنهم وهي تردد مهدئة:

- لا بأس.. لا بأس.. انسوا الأمر.



لقاء روبانا

مرّت ثلاثة أيام قضتهم فدوى تتقلب على الجمر..

كانت قد حظرت وليد على وسائل الاتصال كافة بعد رد فعل أسرتها. لم تكن ترغب في مواجهته كي لا يزداد الألم عمقا لديها ولديه، ويماذا يفيد الكلام والأمر محسوم؟ ولكن ذلك القراز ترك في قلبها جرحا عميقا، ألا يكثر أحيائها بسعادتها؟ خاصة فهد وفارس اللذين روت أيامهما بتعبها وشقائهما وكانت لهما خير أم، ثم يحرماتها بأنانية من أبسط حقوقها كامرأة.

احتبست الكلمات في حلقها والدموع في مقلتيها فصارت لا تخرج من غرفتها إلا قليلا ولا تكاد تتبادل معهم أية أحاديث..

حتى تلقت اتصال روبانا!

رن هاتفها برقم غير مسجل في وقت مبكر، لم تكن ترد على الأرقام غير المسجلة في الأيام الفائتة مخافة أن يكون وليد. ولكن الاتصال الباكر أقلقها من أن تكون مدرسة الأولاد فرقت لتجدها روبانا أخت وليد تطلب لقاءها وتخبرها أنها تنتظرها في مقهى قريب.

لا تعرف فدوى لماذا استجابت..

هل أرادت التشبث بأمل يائس؟ أم رغبت في الاطمئنان على وليد ومعرفة أخباره؟ أم مجرد انتهاز فرصة للردشة مع طرف محابذ؟ خاصة وقد اشتاقت لرويانا التي لم تتواصل معها منذ سنوات سوى عبر الرسائل الهاتفية المتبادلة على المجموعات المشتركة في الأعياد والمناسبات. لم تعرف فدوى أبدا السبب الذي دعاها للقاء رويانا، ولكنها تأكدت فيما بعد أن ذلك اللقاء هو ما تسبب في كل ما تلاه.

بحثت فدوى بعينها عن رويانا في المقهى فلم تجدها، همت بالاتصال بها لولا أن لاحظت امرأة هزيلة شاحبة تشير إليها، لم تميزها لأول وهلة بعينها الجاحظتين وشعرها الباهت إذ بدت أكبر منها بعشرة أعوام على الأقل.

اقتربت منها غير مصدقة أنها رويانا... فتاة الكلية الفاتنة لما الذي أصابها؟ أصبح وجهها شديد النحافة وغارت عيناها وبرزت عظام وجنتيها، حتى شعرها الداكن الكثيف المميز جمعتها في ذيل حصان هزيل بعد أن فقد الكثير من كثافته وتخللته شعيرات بيضاء كثيرة جعلته يبدو كالحا.

جلست فدوى دون أن تتمكن من إخفاء استغرابها، قالت رويانا: - لم تعرفيني بالطبع. تغيرت كثيرا أعرف، خاصة وأنني لم أغير صورتي على مواقع التواصل الاجتماعي منذ سنوات. منحنتها فدوى ابتسامة مجاملة، فأردفت رويانا:



- حسنا.. لم نأت هنا للتحدث عني.. ماذا حدث بينك وبين وليد؟
لقد تبدل بين ليلة وضحاها.. فبعد أن رجعت إليه الحياة حينما عرف
بانفصالك وتوقعت أن يجمعكما الزواج هذه المرة دون أي معوقات،
عاد منذ عدة أيام إلى تجهمه وغضبه، وحينما سألته عنك انفجر في
وأمرني ألا أسأله ثانية.. فما الذي حدث؟

أخبرتها فدوى بموقف أسرتها ولدهشتها انفرجت أسارير رويانا
وهي تقول:

- إذن لا زلت تحينه؟ حمدا لله.. لقد فهم من حظرك له أنك
راجعت نفسك وقررت رفضه.

- لا زلت أحبه، وقد أحبته دوما. ولكنها علاقة مستحيلة.

هتفت رويانا في حماس:

- لا يوجد مستحيل. اسمعي.. لن أسمح لكما بالفراق ثانية.
تكفي سنوات عمره التي ضاعت مع امرأة نكدة لا تعرف معنى الحب.
ارفعني الحظر وأخبريه بما حدث لكي يهدأ ويطمئن قلبه. لا فائدة من
قطع علاقتكما، ستألمان دون طائل. الحل أن تظلا معا وأن تحاولي
مع ابنك والدتك بالتدرج. صحيح.. ما رأي داليا أختك؟

- لم أخبرها بعد.

- أخبريها واجعليها في صفك ثم استعيني بها لإقناعهم.. أنا
متأكدة أنها مسألة وقت، خاصة إذا عرفت أنك متمسكة بوليد ومصرة
على الزواج منه.

لم تغبرها فدوى أن إقناع داليا ربما يكون أكثر صعوبة، ولكن حماسها وكلامها أيقظ الأمل في قلبها. نعم.. لن يضيع حبها منها ثانية. قالت رويانا:

- كلها سنوات قليلة ويشق ابنك طريقهما في الحياة فسرعان ما ستولي مرحلة «هيه ماما جت» لتحل محلها «ماما إنتي لسه قاعدة؟»، وتجدين نفسك وحيدة. ليس من العدل أن توقفي حياتك على كلمة منهما، وكذلك والدتك. أنت اليوم ناضجة وتستطيعين فرض إرادتك على الجميع.

رويانا محقة.. لماذا استسلمت سريعا لرفضهم؟ إنها حياتها هي. وما هي إلا بضعة سنوات ويرحل عنها فهد وفارس. ماذا ستفعل حينئذ؟

- هيا ارفعي الحظر عن وليد أمامي كي أطمئن..

قالتها رويانا بإلحاح وهي تمد رأسها نحو شاشة هاتف فدوى الموضوع على الطاولة بينهما. شعرت فدوى بعدم الراحة لإصرارها، ويقلق مبهم يتصاعد في جوفها ولكنها انصاعت لها وفكت الحظر عن رقم أخيها فتنهدت رويانا في ارتياح. سألتها فدوى:

- والآن أجكي لي عين حياتك. ماذا تفعلين؟

- فلنرجل حكائتي للمقاتلة القادم يجب أن أرحل الآن. لدي موعد بعد قليل.

قالتها رويانا وهي تقف في عجلة فاستوقفتها فدوى..

- على الأقل أخبرني عن زوجة وليد.

- منى؟ ماذا تريد أن تعرفي؟

- كل شيء. كيف تزوجها وليد؟ كيف انتهت علاقتهما؟ ولماذا رصفتها بالنكدة؟

نظرت روبانا في ساعتها ثم تنهدت وقالت وهي تجلس:

- حسنا.. سأحاول تلخيص الحكاية لك في عشر دقائق.



نظرت فدوى في ساعة هاتفها، تفصلها نصف ساعة فقط عن موعد خروج ابنيها من المدرسة، ستظهرهما في السيارة لتوفر عليهما عناء العودة بالمواصلات العامة. أرسلت إليهما رسالة نصية بذلك، ثم باشرت صفحاتها على مواقع التواصل الاجتماعي ترد سريعاً على التعليقات والرسائل الخاصة. قررت استغلال الوقت فقامت بتصوير فيديو سريع من السيارة عن روتينها للعناية بالبشرة رشحت فيه مستحضرات التجميل المحلية التي تعاقدت معها مؤخراً على عدد محدد من المقاطع المرئية ضمن حملة إعلانية مدفوعة الأجر. لم تذكر بالطبع مسألة حقن النضارة و«البيبي بوتكس»، فتلك الأمور لا تقال على العلن. انتهت سريعاً من عملها ثم ترددت قبل أن تفتح الفيديو الذي طلبت من روبانا إرساله، ضغطت على زر التشغيل لمشاهدته ثانية.. وحدها هذه المرة!

رأته مرة بعد مرة من أجل تكوين انطباع ما.. محاولة ربط السيدة التي تتكلم فيه بالشخصية التي أسهبت رويانا في وصفها والكلام عنها.

«تزوج يا وليد.. أنا التي أطلبها منك، إن لم أتمكن من إسعادك فلا يزال بإمكانك الزواج من أخرى تسعدك. المهم أن أظل على فمك من أجل الأولاد وصورتنا أمام الناس».

عبارة مقتضبة قالتها دون أن ترتعش، دون أن تتهدج ببرتها أو تطرف عينها، بهدوء يكاد يكون لا مبالاة، ولا ينسجم مع الشخصية التي وصفتها لها رويانا منذ قليل. بدا لها أداؤها فائرا مثل مقطع تمثيلي رديء، ثم سألت فلوى نفسها ما الأداء المتوقع من سيادة تطلب من زوجها أن يتزوج من أخرى؟ لم تجد إجابة.

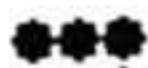
ربما يكون الأمر منطقيا للزوجة وليد إذ لم يكونا سعياء لفترة طويلة، ولكن إن كان الأمر كذلك لماذا لم تطلب منه الانفصال؟ هل يهمها الشكل الاجتماعي لهذه الدرجة؟ أم بقيت معه بسبب المال؟ فمما فهمته من رويانا أن د. منى تعمل طبيبة في وزارة الصحة وليس لها عبادة خاصة. راتب محدود مقارنة بالحياة الرغدة التي يوفرها وليد. وربما أرادت أن تظل في شقة الزوجية التي تحتل طابقا كاملا من بناية كبيرة في أحد أكثر شوارع حي مدينة نصر حيوية.

فتحت القيد مجددا. مظهر منى لا يدل على أطماع مادية فلباسها خلابي ولا تترين بأي حلي ذهبية أو مستحق تجميل. امرأة باهتة لا تلفت نظر أحد. كيف تزوجها وليد؟

تذكرت ما قاله رويانا أن د. منى كانت زميلة عمل لزوجته المهندسة
حاتم أحد أصدقاء وليد المقربين. وأن التعارف تم في جلسة صالون
سريعة قرر بعدها وليد خطبتها رغم معارضة رويانا، فمنى لم تكن ذات
جمال استثنائي ولا طراز عصري جذاب لكي تليق بأخيها المهندس
الناجح الوسيم. إلا أنه أعلن ارتياحه لها وإعجابه بثقافتها وهدوئها
واهتمامها به ويطموحاته وتشجيعها له. حتى أنها وافقت على ترك
مستقبلها المهني كطبيبة في مصر وسافرت معه إلى دولة الكويت.
رأت رويانا حينها أن وليد اختار منى لكي تكون تقيضا لفدوى في
كل شيء؛ عادية الشكل، عادية الشخصية، عادية الطمّوح.. وكان
«عاديتها» متضمن له زيجة سهلة وسريعة دون عقبات بعد فشله في
الحصول على فدوى.

انخفضت فدوى حينما حاول أحدهم فتح باب سيارتها. التفت
فوجدته فارس بينيته الضخمة التي تشي بعمر أكبر من عمره، ومن
وراءه ظهر فهد متجهما كعادته في الفترة الأخيرة.

أغلقت هاتفها سريعا ورحبت بولديها ثم قادت بهما إلى المنزل
دون أن تبارح تساؤلاتها عن منى بالها.



هي

12:36 - ظهر الاثنين

سمعتُ لعيني بالانغلاق أخيراً.

هكذا أفضل..

الظلام يُشعرني بالراحة. أريد أن أنفرد بنفسي، قصوت الخطوات المتعثرة يزعجني ويشتت أفكاري. لماذا تُفتح أبواب خزائن المطبخ وتُغلق؟ والآن صوت مياه جارئة!

أرى بعين عقلي الكف ذات الخاتم تغتسل تحت الصنبور لتخلص من دمي فيتسخ حوضي التنظيف اللامع. ولكن لماذا أفكر في ما يحدث حولي؟ يجب أن أفكر في نفسي.. ترى من سيجد جثتي؟ أظنها أختي.. أشفق عليها كثيراً مما سترى فهي كانت دوماً ضعيفة أمام الدماء. اتفاهي مع رقية كان أن تجدني هي وتتكفل بالأمر كله. ولكن الآن!

ما هذا؟ أسمع صوت خطوات تقترب من رأسي. أفتح عيني على اتساعهما.. ما هذه الحقيقة التي دخلت حيز رؤيتي؟ ولماذا أتذكر الآن

ابن خالي سليمان وهو عائد بزي الجيش وخالي يستقبله بالأحضان..
أحضان الأب التي حرمت منها.

آه.. وشاحي!

لماذا يُتزع من حول رقبتني؟

أريده.. أريد أن أفارق الحياة وهو معي، يحتضنتني ويدفئني.

أمد يدي الواهنة لأتشبث به ولكن هيهات.. اختفى في الحقيبة
مع القفازات العزيزة الملوثة فسالت دموعي ولم أتمكن حتى من
مسحها.

جولة الآخرة

- أكرهها..

لم تهتف بها بنبرة غاضبة أو حتى حادة تليق بالكراهية، بل قالتها لطبيتها النفسية ببساطة من كرر الأمر كثيرا حتى اعتاده. سألتها طبيبتها:

- ألم تخبريني في جلستنا السابقة أنك سامحتها أخيرا؟ ما الذي حدث؟

- ظننت أنني سامحتها، ولكن حالما سمعت صوتها..

أغمضت عينيها بشدة وتغضن وجهها وهي تكمل:

- .. تجدد كل كرهى لها وثار بركان الغضب بداخلي من جديد واكتشفت أنني لم أسامحها قط. ولا حتى كنت قريبة من ذلك.

- لماذا؟

- المسامحة ليست زرا أضغط عليه، أليس كذلك؟

- ليست زرا.. أنت محقة.

اعترفت الطيبة وهي تلاحظ ساق رويانا تزداد اهتزازا.

- ولكن السؤال المهم هو: ألا تستطيعين؟ أم لا تريدن؟

تفكرت رويانا لبرهة ثم أجابت:

- لا أريد... إنها لا تستحق. لقد أفسدت حياتي ولم يقتصر لي منها أحد.

- ولكنك تستحقين، المسامحة لك أنتِ قبل أن تكون لها. كي ترتاحي وتتخففي من ثقل الغضب والكراهية.

- مهووسون أنتم يا معشر الأطباء النفسيين بمسألة المسامحة. بينما أرى أن الأمر يمكن له أن يمضي هكذا... ببساطة. لو كانت المسامحة ضرورة لما جعل الله لها جولة خاصة في الآخرة.

- جولة خاصة؟

- نعم.. حين يستوفي المرء حقه بأخذ حسنيات ممن ظلمه أو إعطائه من سيئاته.

أسقط في يد الطيبة فأكملت رويانا:

- أعتقد أنني أفضل ذلك الخيار. سأرجع أمر علاقتنا للآخرة.

- حسناً.. أحترم رغبتك. وأضح أنك غير مستعدة، فلنوجل ملف المسامحة. والآن ماذا فعلت في ما كلفتك به؟

- تقصدين مسألة تدوين المواقف التي أمرّ بها وما ينشأ عنها من أفكار ومشاعر وسلوك؟

أخرجت رويانا من حقيبتها ورقة مجمعة فردتها أمام الطيبة،
نظرت فيها الطيبة ثم عقت مستنكرة:

- ثلاثة مواقف فقط؟

- لقد مللت الأمر.

- رويانا.. لقد تكلمنا. أنت تعرفين أن العلاج الجيدلي السلوكي
هو الأمثل لحالتك مع الالتزام بالأدوية طبعا.

أشاحت رويانا برأسها وازداد اهتزاز ساقها فسألتها الطيبة في
شك:

- هل تتناولينها بانتظام؟

أبأ صمت رويانا الطيبة بالإجابة فطوت الورقة ومدتها نحو رويانا
قائلة بحسم:-

- لن ينجح العلاج إذا لم تلتزمي بالدواء. أنت لست صغيرة ولا
جاهلة. لقد درست خمس سنين في كلية الصيدلة وتعين جيدا ما أقول.

ظهر التبرم على وجه رويانا وهي تقول:

- الدواء يجعل عيالي فارغا كورقة بيضاء.

- وهو المطلوب، كي نستطيع التحكم بأفكارك.. أخبرتك أن
الدواء لفترة مؤقتة حتي ننتهي من مرحلة تعديل الأفكار.

قالت الطيبة لم نسحب دفتر العيادة وكتب على ورقة منه عدة
أدوية وتعليمات تعاطيها وهي تقول:

- هذه جرعة تمهيدية. سأراك الاثنين القادم، وربما نحتاج لتعديل الجرعة حيثئذ.

أخذت رويانا الورقة بلا اهتمام ووقفت قائلة في ضجر:
- حسنا.. سأفكر في الأمر.

أعطت ظهرها للطبيرة واتجهت نحو الباب وهي تحاول التحكم في عرجتها.

- رويانا، أنت في السادسة والأربعين من عمرك. ماذا تتظنين؟
توقفت رويانا واعتصرت ذراع حقيبتها.

- أرى أن تأخذي العلاج بجدية فأنت تستحقين نسيان الحادث والعيش بسلام، وربما الزواج وبناء أسرة.
لم تلتفت إليها رويانا، عضت على شفتها وفتحت الباب وخرجت.



وقفت داليا أمام المرأة في غرفتها التي شاركتها إياها فدوى مؤخرا بعد طلاقها وعودتها إلى بيت الأسرة. مشطت شعرها إلى الوراء بعناية وجمعت في كعكة محكمة أعلى رأسها.

- ألا تخترين تسريحتك المملة هذه أبدا؟

رفعت داليا حاجبا واستدارت تنظر إلى فدوى..

- مملة!

- نعم.. شعرك جميل.. خسارة.

لم تجبها داليا.. لم تعد تتحمل النقاش والمهاترات خارج العمل، خاصة هذا الأمر فقد قُتل بحثا، فدوى ترفض إدراك أبعاد منصبها الجديد والمظهر اللائق به. في النهاية المسألة تكمن في اختيارها لطريقة حياتها، الاختيار الذي لا تحترمه فدوى. هذا هو مرتبط الفرس.

ولكن.. عبارة فدوى قلبت عليها المواجه إذ باتت تراها في عيون المحيطين بها.. كما تشعر أنها أصبحت تشيخ أسرع من سنوات عمرها وتتحول إلى امرأة كثيفة مكبوتة المشاعر لاذعة اللسان! هي ليست نادمة على الطريق الذي اختارته، ولكن هل يمكنها ربما الانفتاح قليلا؟ والسماح لبعض المشاعر بزيارة قلبها بين حين وآخر، وتبادل الأحاديث مع الزملاء والتبسط معهم أحيانا؟ ربما لن يكون ذلك ضارا كما ظنت لسنوات. يجب عليها أن تحاول، فشتاتها المزمومتان على الدوام وشعرها المعقوص ونظرتها المتجهمة تضيقان عمرا إلى عمرها وتنقر منها القريب قبل البعيد.

- داليا..

نادتها فدوى بتبرة متسائلة لفتت انتباهها وهي تزرر الزر الأخير من سترة بذلتها الرسمية السوداء..

- خيرا!

- هل لديك خمس دقائق؟ أريد رأيك في أمر ما.

اختلست داليا نظرة سريعة إلى ساعة معصمها الذهبية ثم أومأت برأسها فابتلعت فدوى ريقها وقالت:

- هل أخبرتكِ ماما بأمر وليد؟

رفعت داليا عينيها إلى السماء في نقاد صبر ثم قالت:

- نعم أخبرتني. وأخبرتني أن الأمر انتهى قبل أن يبدأ. وهو الأفضل للجميع.

- ولكن الأمر لم ينتهِ.

- ماذا تعنين؟

- أريد الزواج من وليد.

أعلنت فدوى بصوت ضعيف، ثم أخبرت أختها الأمر برمته انتهاء بلقاتها مع زويانا وفيديو زوجته.

- ها؟ ما رأيك؟

جلست داليا على الفراش بجوار أختها وتأملت ملامحها الجميلة للحظة قبل أن تقول برفق:

- تعرفين رأيي في مشروع الزواج.

- مشروع فاشل أعرف.. ولكن ماذا عن الحب؟

تجهم وجه داليا، لا تحب هذه السيرة.. فارق الرفق نبرتها وأجابتها بصرامة:

- كفالك سخفا.. لا يوجد شيء اسمه حب، الحب للنفس فقط.
والذين يدعون حب الآخر هم في الحقيقة يحبون أنفسهم كثيرا
فيحبون كيف يجعلهم الآخرون يشعرون.

لوت فدوى شفتيها في يأس. ماذا ستفعل الآن؟ كانت تأمل أن
تكون داليا حليفتها. أمل ساذج بالطبع. قامت داليا ومسندت سترتها
التي تجعدت قليلا من الجلوس ثم وضعت قدميها فني حذاءها
الرسمي الأسود اللامع ووضعت خاتما ذهبيا بسيطاً في بنصرها
وحملت حقيبتها الكبيرة على ذراعها ثم نظرت لأختها وقالت:

- فدوى.. دعي الفتنة نائمة. مسألة زواجك هذه ستجلب لك الكثير
من المشكلات أنت في غنى عنها. كوني واقعية، لماذا ستختلف وليد
عن عمرو أو عن أي رجل آخر؟ كلهم سواء يا عزيزتي. والزواج كله
سواء. أيا كانت النقطة البراقة التي ستبدئين منها، ستصلين إلى نفس
النهاية. إما طلاقاً وإما علاقة مشوهة وشائكة للطرفين ثم «تلصيمها»
فقط من أجل الشكل الاجتماعي والأبناء.

قالتها داليا ثم خرجت في هدوء تاركة فدوى نهبة لأفكارها
وحيرتها..

هربت إلى هاتفها، رفيفها الذي يهون عليها ويشتت مخاوفها
وأفكارها السلبية. فتحت صفحتها وراجعت بعينها عدد المتابعين
وابتسمت حينما وجدته في ازدياد مستمر. لقد كانت ماهيتاب محقة
في نصيححتها، المداومة على تحميل فيديو يومياً على المنصات

والتفاعل المستمر مع المتابعين أحدثا فرقا كبيرا. خفتت ابتسامتها وانتهى هروبها سريعا، ماذا ستفعل مع عائلتها؟

رن هاتفها وظهر اسم وليد عليه.

دق قلبها..

كانت تنتظر مكالمته منذ أن فكت الحظر عن رقمه ظهر اليوم. أجابت في رقة:

- آلو..

انفتح باب سرفتها ودخل فارس مندفعاً، ثم توقف فجأة ونظر لأمه والهاتف في يدها وسألها مرتاباً:

- من على الهاتف؟

- آ.. لا أحد.

قالتها وأنهت المكالمة ودست الهاتف أسفل وسادتها. نقل ابنها نظراته بين وجه أمه المرتبك وبين الوسادة التي اختفى الهاتف تحتها ثم مبالها في توجس:

- ماما لقد انتهى أمر الزواج أليس كذلك؟

- بالطبع يا حبيبي.

- تذكرين ما قاله فهد، وتيتا.. تيتا..

- أعرف.. لا تقلق يا فارس. كل شيء على ما يرام.

رمى بنفسه عليها يحتضنها فناءت تحت ثقل جسده تحتضنه
بدورها ثم ريتت على كتفه في حنان. وقف فهد على مدخل الباب
يرمقهما بسخرية قائلا:

- ألسن كبيراً على هذه الحركات؟

- لن تكبراً أبداً على خضني.

قالتها فدوى في حنان فشدد فارس ذراعيه حولها، تأثرت.. يبدو
أنه يخشى فقدانها فعلاً.. رن هاتفها ثانية فتجاهلته وسألت فارس:

- والآن ماذا كنت تريد؟

رفع رأسه من على كتفها وبدأ يحكي لها، استمعت له للحظة قبل
أن تشرد منه لتعود وتفكر في علاقتها بوليد.

قصاصات

انصاعت فدوى لطلب وليد بلقائها غير أنها طلبت منه أن يكون اللقاء خارج النطاق الجغرافي لمحل سكنها. اختار لها مطعمًا راقيا في نادٍ ترفيهي مشهور بالخضرة بضواحي منطقة الجيزة. كان المطعم يقع وسط حديقة غناء مليئة بالنخيل والأشجار الوارفة مما جعلها أقرب إلى غابة طبيعية. انتظر وليد حتى انتهيا من طعام الإفطار قبل أن يقول بجدية:

- فدوى.. أريدك أن تعرفي أنني أحبك حبا لا يمكن لخيالك مهما بلغ جموحه أن يدركه.

- لم أعهدك رومانسيا.

قالتها بدلال فتجهم..

- ليست رومانسية، بل عذاب مضني!

- ماذا أفعل؟ ظروفني صعبة.

- كل شيء بيدك أنت. فلتزوج عرليا.

شهقت فدوى:

- ماذا تقول. مستحيل.

ظهر الغضب على وجهه:

- أنت لا ترغيبين في التضحية بأي شيء. تدعين أن غروري هو الذي فرّق بيننا في الماضي بينما هو اعتدادك بنفسك ورغبتك في الحصول على كل شيء.

تهاجأت بهجومه فحاولت احتواءه قائلة:

- أنت تضغط عليّ يا وليد وأنا لا أملك من أمري شيئاً.

- بل تملكين كل شيء، قلبي وكياني وفكري. لا تسمح لي لوالدتك أن تفسد حياتك مرة أخرى، إن كانت تحبك ستبحث عن سعادتك.

- ولكن...

- وكذلك فهد وفارس، جُبل الأبناء على الأنانية. أرى أن قليلاً من القسوة عليهما ستحل المسألة.

- أخاف أن أخسرهما.

تجهم وجهه ثانية وهو يقول بحدة:

- أنت لا تحتاجين أيهما.. أليس أكفيك؟ إن كانا يحبانك هذا لاختاراً سعادتك فوق رغباتهما الشخصية.

أطرقت برأسها:

- لست أدري..

- ماذا تعنين؟ أنت لي، ولن أتنازل عن رؤيتك كل يوم. سنلتقي بعيداً عن أعينهم في الأماكن التي تفضلينها حتى نتزوج.

أطرقت برأسها مستسلمة فأخذ نفساً لتهدئة نفسه ثم أخرج من جيب سترته الكتّانية علبة من المخمل الأسود وضعها على المنضدة بينهما ثم فتحها ودفعها إليها. سقط شعاع الشمس على فصّ الماس تدلى من السلسلة الذهبية البرقيقة فانعكس في عينيها. مدت يدا مترددة إلى العلبة وقالت وهي تتأملها:

- جميلة.. ولكنني.. لا أستطيع قبولها.

- أرجوك.. ليس لها قيمة إلا معك. ثم إننا في حكم المخطوبين، أسمحين لي؟

قالها وهو يخرج السلسلة من العلبة ويلتف حول المنضدة باتجاهها، اعتبر ابتسامتها الخجلى إذنا فوقف وراءها فرفعت له شعرها فألبسها السلسلة وأحكم غلقها.

- هذا كثير..

- تستحقين الأكثر يا فدوى.. ألا تعرفين قيمة نفسك؟

قالها وهو يعود ليجلس على مقعده وينظر في عينيها نظرة أسعدتها.. وأقلقتها في آن واحد.

*

دخل فهد الغرفة فوجد فارس يلکم کيس الملاكمة الخاص به
فصرخ:

- ماذا تفعل؟

- أتمرن قليلا..

- بدون استئذان؟ وبالحاتم؟ كم مرة أخبرتك أن ذلك يخلدشها؟
اخرج فوراً.

- حسنا سابقي وأرسم دون صوت.

- اخرج حتى أنتهي من تمريني ثم افعل ما تريد.

- ماما قالت إنها عرفتنا معا ويمكن لي أن أبقى فيها.

لَكُمْ فهد كيس الملاكمة المتدلي من السقف ثلاث لكمات سريعة
وهو يهتف:

- كَفَّ عن إزعاجي يا فارس وإلا...

جلس فارس على فراشه فتوقف فهد عن لكم الكيس وتوجه إليه
بجسده قائلاً بتهديد:

- هل تريد أن ألكمك بدلا منه؟

- ماما تخرج كثيرا هذه الأيام.

- ماذا تعني؟

- تخرج في كامل زيتها.. ألم تلاحظ؟

بدأ الاستغراب على فهد فأردف أخوه:

- أقول لك إنها لم تتغير علاقتها بذلك المدعو وليد.

- آها.. أهذا ما تقصده؟ لا تعلق بابا أخبرني أنه سرقها.

١ - حقا؟ وسنعود إلى بيتنا؟

- هذا سر، لا تخبر ماما، بابا لديه خطة.

تشكك فارس..

- خطة!

- نعم.. وتحتاج وقتا فلا تتدخل.

عاد التوجس إلى نبرة فارس وهو يسأله:

- وإن فشلت الخطة؟ وتزوجت ماما ذلك الـ.. وليد؟

نطق الكلمة الأخيرة بقرف فسدد فهد لكلمات مخيفة لكيس
الملاكمة ثم رفع قبضته في الهواء وأشار لأخيه:

- سيكون لي حينها تصرف آخر.



قضت فدوى يوما جديدا حافلا مع وليد. أصر عليها أن يتفقدوا
التجمعات السكنية الفاخرة في منطقة القاهرة الجديدة لاختيار الفيلا
التي ستكون عش الزوجية. كانت فدوى تعلم أن وليد ثري ولكنها لم
تكن تعلم أنه شديد الثراء! بُهتت للأرقام التي سمعتها معه من وكلاء
العقارات، وبُهِتت أكثر لعدم اكتراث وليد وهو يسأل عن الوحدات
المطلّة على مساحة الجولف لأكبر قدر من الرفاهية والخصوصية.
لاحظ وليد ما ألمّ بها فانتحى بها جانبا..

- ما بك؟

- هذه مبالغة شديدة يا وليد. يمكننا أن نستأجر شقة لطيفة نعيشها
نحن الاثنين.

اتسعت عيناه وهو يقول:

- وهل تسكن الملكات شققاً؟

- أنا لا أمزح.

اكسى صوته بالجديّة وهو يقترب منها ويهمس:

- فلدوى.. لقد عملت بجد طيلة حياتي. أنشأت شركة كبيرة ثم
عدة فروع لها ولديّ اليوم الكثير من الأموال التي أريد الاستمتاع
بها.. معك. أريد أن أجعلك ملكة متوجة حقاً. تستحقين أن تسكني
فيلا جميلة لها حديقة كبيرة تزرعين فيها النباتات الطيبة لمشروعك.
سيكون لديك بدلاً عن الخادمة اثنتين، وسائقاً تحت أمرك. لقد خلقت
للدلع والراحة يا فلدوى..



عادت فلدوى إلى منزلها محلقة فوق السحاب. صعدت الدرج
مسرعة إلى الطابق الثالث فاضطربت أنفاسها قليلاً. ذكرت نفسها
بوجوب تجديد اشتراكها في صالة الألعاب الرياضية، يجب أن
تحافظ على صحتها كي تكون قادرة على الاستمتاع بحياتها مع وليد
حتى الثمالة. ابتسمت لا إرادياً وهي تتخيل ما يعدّها به: الراحة والدلع
والنجاح والحب.

ترى تحت أمام باب الشقة لحظة تخبي فيها السلسلة الألماسية تحت
ملابسها مثل كل يوم ثم فتحت الباب ودخلت لتفاجأ بمشهد محا
الابتسامة من على شفيتها وأعادها مثقلة إلى الأرض!

بعد انفصالها عن عمرو وانتقالها إلى شقة أسرتها ولحاق ولديها
بها، أصرت فارس على طباعة عدة صور عائلية لهم وضعها في إطارات
بلاستيكية ملونة ورضها باعتزاز فوق المنضدة الجانية للصالون المذهب
برغم اعتراض جدته بحجة تشويه البلاستيك الرخيص لديكور المكان.
تفاجأت فدوى بإطارات الصور محطمة وملقاة على الأرض والصور
مقطعة. انحنى تجمع القصاصات المبعثرة وهي تتساءل عن فعل ذلك.
زحف ظل على الأرض فرفعت رأسها لتجد فهد عاقدا ذراعيه. سأله:

- من فعل هذا بالصور؟

- وما أدراني؟ ربما فعلها «باونتي» القط.

- حقا!

رفع كتفيه وخفضهما ثم تركها على ركبتيها وعاد إلى غرفته. اعتذرت
وجلست على الأرض ممسكة بالقصاصات بين يديها وبدأت تبكي.



دخل فهد الغرفة على أخيه وسأله:

- لماذا فعلت ذلك؟

- ماذا تعني؟

- الصور.. إنها تبكي، هل أنت سعيد الآن؟

رد عليه فارس في حلق:

- تبكي على الصور! الصور انعكاس للحقيقة.. لقد أصبحنا أسرة
مزقة وسنظل كذلك إلى الأبد.

- أخبرتك أن بابا وعد بالتدخل.

- بابا! يبدو أن كلا منهما يقضي أوقاتا ممتعة بعيدا عنا ونسيانا
تماما. ألم تر السلسلة الجديدة التي ترتديها وتخفيها تحت ملابسها؟

- كيف تلاحظ تلك الأشياء؟

- لأنني أهتم.. لست مثلك.

شعر بالغضب يشتعل في عروقه فلكم كيس الملائكة الأسود
لكمتين متاليتين وهو يهتف:

- وماذا سنفعل الآن؟

- لدي خطة.. سأخبرك بها.



رن الهاتف وظهر عليه اسم رويانا، ترددت قبل أن تجيبها بنبرة
جافة:

- ألو..

- كيف حالك؟

- لا أتوقع أن تكون هذه مكالمة اطمئنان.

- في الواقع لا.. أحييتُ فقط أن أخبرك أن أخي سيتزوج أخيرا.

- هذه المرة الخامسة التي تخبريني فيها بذلك على مدى الستين
الماضيتين يا رويانا.

- انتظري حتى تعرفي من هي العروسة..

- لا يعني الاسم، كلهنّ سواء بالنسبة لي.

- إنها فدوى.

لم تكدمني تسمع الاسم حتى غلى الدم في عروقها، وشعرت به
يفور في دماغها..

- كاذبة.

- لماذا لا تسألين وليد؟ لا أظنه سيكذب عليك.

اعتصرت قلبها قبضة باردة زادتها ألما الشماتة في صوت رويانا.

أنهت المكالمة دونما وداع وأخذت تفرك كفيها في عنف حتى
كادت تكشف جلدتها وهي تتساءل عما ينبغي لها أن تفعل، فكما
قالت: كل النساء بالنسبة لها سواء..

إلا فدوى!



هي

12:45 - ظهر الاثنين

عادت من يومها الأول بالمدرسة متقافز من الفرحة، اندفعت إلى داخل البيت تبحث عن أيها حتى وجدته في الشرفة يدخن سيجارة ويجواره كوب من الشاي والراديو كاسيت السانيو الأحمر الذي اشتراه لهما عمها من الكويت تنساب منه ألحان أم كلثوم وأبوها يهز معها رأسه في انسجام. رمت نفسها عليه تحتضنه فأزاحها في خشوة قائلاً:

- كفالك دلعا يا بنت..

راقبتها أمها من خلف الشيش وهي تطرف بعينها كي تمنع دمة من التزول ثم تفتح حقيبتها المدرسية في تردد وتُخرج منها دفتر اللغة العربية فتضعه أمام أيها قائلة بصوت مختق:

- بابا انظر.. حصلتُ على نجمة ذهبية.

- حيننا لذهبي الآن لا أريد إزعاجاً..

قالها في جفاء دون أن ينظر إليها ولا إلى النجمة. نكست رأسها وانصرفت في حزن.. وفي المساء حينما كانت تمر من أمام غرفة أبيها وأمها سمعتهما:

- ابتك تحتاج إلى حنانك.

- هذا ما أنت فالحة فيه. إنما تأتيني بالولد؟ أبدا.

- وهل هذا بيدنا؟

- نعم بيدنا.. الولد كان في بطنك لكن ابتك الشؤم هذه تسببت في موته، من يقول أن يولد التوأم فيموت الولد بسبب سوء التغذية وتعيش البنت؟ إنها بومة وستظل في عيني البومة التي حرمتني من ابني محمد. ويبدو أن نحسها مستمر فلم يحمل رحمك ثانية منذ خروجها منه وكأنها أغلقته بسحر أسود مثل وجهها.

- كلامك هذا لا يقبله عقل ولا دين يا رجل.

علا صوته وهو يقول في انفعال:

- يقبله عقلي وديني يا ستي. اغربي عن وجهي الآن انتِ وابتك. لا أطيق النظر في وجهها فكلما رأيتها تذكرتُ ابني الذي دفنته بيدي. كان يجب أن تموت هي وتعيش هو، إنها لا تستحق الحياة ولا تستحق أن تُحب.

- اتقي الله يا شيخ..

دفعها دفعة مفاجأة إلى خارج الغرفة وهو يقول:

- لا أريد رؤيتك ولا سماع صوتك أنت الأخرى ولا تفتحي معي
هذا الموضوع ثانية. أتفهمين؟

سقطت على بلاط الطريقة الضيقة تبكي فأغلق الباب من خلفها في
عنف صارخا:

- قورت دمي يا بعيدة منك لله..

جرت هي على أمتها تمسح دموعها وتحتضنها وهي ترتجف
هامسة:

- حقت علي يا ماما، أنا السبب، أنا آسفة.



تيسبت أصابعي تماما.

لن أستطيع كتابة رسالة أخيرة له. ولكن ربما يمكثني أن أتلوها،
فلساني لا يزال يتحرك في فمي، ثقيلًا.. ولكنه يتحرك.

وأبي.. أردت أن أتبع لقبك بالحبيب ولكن لساني لم يطاوعني..
لا أعلم رقم هذه الرسالة في سلسلة رسائلتي إليك، فكما تعلم دأبتُ
على تقطيعها فور كتابتها. لا، بل أنت لا تعلم، لأنني لم أخبرك قط.
كنتُ أكتب إليك كلما راودني الحنين لأن أستخدم كلمة (أبي) ثم
سرعان ما أفيق لنفسي.

لا أصدق أنك في اتصالنا الأخير كلمتني عن بر الوالدين. حقا
اسمع لي هذه جرأة شديدة منك، بل بجاجة. أبعد كل تلك السنين من

عقوقك لي، تطالبني ببرك؟ هل أنت مغيب؟ موهوم؟ مريض بالفصام؟
هذه هي الاحتمالات الوحيدة التي تحضرني لتفسير كلامك.

ألم ترزق بالولد أخيراً؟ ثم أصبحوا ثلاثة. ما الذي ذكرك بي؟ ومن
أين أتيت بهذه الاستحقاقية لتظن أن لك عليّ برّاً؟ لا تتشدد بآيات
القرآن أمامي، إن كنت تحفظها فاقرأها على نفسك. ولا تخبرني كم
أنت مشفق عليّ من عقاب الله لي، اشفق على نفسك، فأنت أولى
بذلك. على الأقل لديّ أسبابي لكرهك، فماذا عنك؟ ما أسبابك
لتكرهني؟ لاكون صادقة، لم أعد أهتم. سألت نفسي هذا السؤال مراراً
حتى تبعثت كلماته على شفتي فلم أعد أستطيع تجميعها. لسنوات
تفقدتُ صوري وأنا صغيرة وتعاطفتُ معك وقلّتُ لنفسي معذور،
كيف له أن يحبّ طفلة قبيحة مثلي، بالتأكيد كان ينتظر مولوداً وسيما
يشبهه، ثم حينما أخبرني الأعراب أنني جميلة، أدركتُ أنني لم أفلح
حتى في اختلاق كذبة مناسبة لتغطية عوارك. أما حجة أنني السبب في
مقتل توأمي، علمتُ دوماً في قرارة نفسي أنها غير صحيحة، إلا أنني
تبنيته لسنوات كي أعذرُك بها.

ثم في الأربعين من عمري اجتاحتني فكرة كالصحوّة: أنا لستُ
ابنتك، لقد وجدتنِي على باب مسجد وتفضّلت بتربيّتي وأشفقت عليّ
فلم تخبرني بالحقيقة، أو لم تهتمّ. ولكن الشكل الغريب لأذني والذي
يتطابق مع شكل أذنك تطابقاً مذهلاً هدم نظرتي للأسف فعدت
للسؤال من جديد! لماذا لم تحبني؟

حاولتُ استرضاءك بكل الطرق، ذهبتُ في ذلك بعيداً، راقبتُ
كيف يدلل الآباء بناتهم ثم قمتُ أنا بتدليلك لعلني أحظى بحبك، كنتُ
تمنحني حينها فتاتاً أفرح به ثم تعود إلى الجفاء والشح.

علمتني أن هذا كل ما أستحقه: الجفاء والشح.

أو تعلم.. اكتشفت لتوي أنك لم تكن لي أباً قط.. أنت لست أبي.. يا
له من اكتشاف مريع. ليتني أدركته منذ زمن فلربما تغيرت حياتي.

أو تعلم.. لكي أستطيع التعامل معك والنظر في وجهك والحفاظ
على نبرة صوتي ثابتة في كلامي معك، أو عنك، لكي أفعل ذلك
اضطرت لتخدير مشاعري، ليس نحوك فحسب، بل نحو الجميع.
عشتُ بمشاعر مخدرة طيلة حياتي لأنني لم أعرف كيف أتعاطف مع
مشاعري نحوك وأنت تصدني وتمحوني بهذا الشكل.

أتعرف.. أنا لن أسألك السؤال..

في الماضي كنت لا أجرو على سؤاله مخافة معرفة الإجابة.
أما الآن؟ فأنا لا أكثرث.

خوف

ارتشفت فدوى رشفة من كوب السحلب وتنهدت، صارت أكثر ساعات يومها سعادة وراحة هي التي تقضيها مع وليد. يلتقيان كل يوم تقريبا، على وجبة الفطور أو الغداء، وأحيانا على مشروب سريع مثل اليوم إن لم تسمح الظروف بلقاء طويل. تلقت بالأمس «استدعاء ولى أمر» من مدرسة ابنيتها وكان عليها أن تكون هناك في تمام الثانية عشرة ظهرا. لاحظ وليد شرودها فسألها:

- ما بك يا حبيبتى؟

- سلوك الولدين أصبح عنيفا في الفترة الأخيرة، لدي اجتماع بشأنهما في المدرسة بعد قليل.

- هذا طبيعي في سن المراهقة. اطمئني سيتخطيان تلك السن سريعا وستفاجئين بتغير جذري في شخصيتهما.

تبادلا الحديث حول تربية الأبناء، وكان وليد من الكياسة أن لم يسألها السؤال الذي دأب يسأله كلما التقيا: متى؟

أصر على أن يقلها إلى المدرسة قائلا:

- لا أحب أن تقودي وأنت قلقة. سأنتظرك في السيارة وأهبطك إلى
سيارتك ثانية بعد الاجتماع.

لم تستطع مجادلته، كانت متوترة بالفعل. وصلت المدرسة قبل
الموعد بخمس دقائق فأدخلتها الموظفة المسئولة إلى غرفة اجتماعات
كبيرة فازداد قلقها، إنها ليست شكوى فردية من أحد المدرسين إذن.
دقائق ودخلت عليها الإخصائية الاجتماعية ذات البنية الدقيقة والشعر
الكثيف المجعد التي التقت بها أكثر من مرة في السابق، ثم أتبعتهما
المديرة بخطواتها البطيئة وعويناتها الذهبية المميزة ثم أستاذ التربية
البدنية بزيه الرياضي الأحمر، وتلتهما معلمة اللغة الإنجليزية ذات
الشعر الأصفر، ومعلمة الرسم بحجابها ذي الألوان الفاقعة. أقبلوا
عليها ككتيبة تعلن الحرب، أثار عددهم ربيتها خاصة وأنها كانت وليدة
الأمر الوحيدة الموجودة. ندمت على حضورها، كان عليها أن تطلب
من عمرو ذلك فهو يجيد التعامل معهم أكثر منها. بدأت المديرة -
بالكلام:

- مدام فدوى. بالتأكيد لاحظتِ على فهد وفارس سلوكيات غير
منضبطة في الفترة الأخيرة.

منحتها فدوى ابتسامة صماء تنتظر ما ستقوله..

- مستر حسن من فضلك تكلم.

تنحنح أستاذ التربية البدنية ثم قال:

- سأبدأ بفارس.

→ فارس!

هتفت فدوى.. لم تتوقع أن تأتي الشكوى من فارس.

- فارس ليس المعتدي هنا بل هو المُعتدى عليه. نموه الجسدي
الطريع وينتبه الضخمة التي لا تتناسب مع سنه تعرضه للسخرية
التمر.

تدخلت نادين الإحصائية الاجتماعية قائلة:

- فارس طالب مسالم، ربما أكثر من اللازم، يتعرض في صمت
لمتمر الذي يصل أحيانا للإيذاء البدني. طلبتُ منه أكثر من مرة إبلاغي
إذا تعرض لأي إساءة إلا أنه لا يفعل. أعتقد أن فهد له تأثير سلبي عليه.
هل اعتاد إساءة معاملته في المنزل؟

ابتلعت فدوى ريقها وهي تفكر في معاملة فهد العنيفة لأخيه في
أغلب الأحيان. إنها لا تحب نادين هذه، امرأة متحذقة تصنع من
الحبة قبة، ولم تحب على وجه الخصوص حكمها على فهد إلا أنها
لم تستطع إنكار ما قالت..

- ربما أساء له فهد عدة مرات ولكن ذلك كان في الماضي، أما
الآن فقد أصبحت علاقتهما أفضل بكثير.

قال الأجتاذ حين:

- على عكس الوضع هنا في المدرسة. سلوك فهد ازداد عنفا في
الفترة الأخيرة، سواء مع زملائه أو مع المدرسين، يتناول عليهم في
الكلام أحيانا ويفقد أعصابه أمامهم.

تدخلت المديرية لتقول بنبرة هادئة:

- لقد برز ذلك لميس نادين بأنه يتعرض لضغوط شديدة في المنزل.

عضت فدوى على شفتها.. لاحظت نادين ما ألم بها فقالت
ملطفة:

- نحن لسنا أعداءك يا سيدة فدوى، نحن هنا من أجل مصلحة فهد وفارس، إنهما ابنا المدرسة ومن الطبيعي أن يتعرض بعض الطلاب لظروف صعبة من حين لآخر ودورنا هو احتواؤهم وتوجيههم بمساعدة أهل بالطبع.

نظمت عبارتها الأخيرة بنبرة ذات مغزى فأومأت فدوى برأسها في برود وهي تقول لنفسها ها هي تتحدث ثانية.. سألتها المديرية مباشرة:

- ما الذي يجري لديكم في المنزل؟

- آآ.. لقد انفصلنا أنا ووالد الأولاد.

- نعلم ذلك يا مدام فدوى وكان السبب في العنف الزائد لفهد منذ عدة أشهر الذي تلقى على إثره إنذارا بالفصل. هل هناك شيء جديد؟

ارتبكت فدوى، هل يعقل أن يكون السبب علاقتها بوليد؟ لاحظت نادين شرودها.

- سبيلة فدوى. هذه الجرة الشكوى ليست من عنف فهد فقط. لاحظت بالطبع وجود ميس إيمان وميس كريستين معنا.

تلقت مدرسة اللغة الإنجليزية طرف الحديث قائلة:

- مستوى الولدين الدراسي في انخفاض ملحوظ. فهد لا يستطيع التركيز في الحصص، يتشاكل مع زملائه ومعنا.. وفارس في حالة لا مبالاة غريبة لم أرها عليه من قبل.

أعقتها مدرسة الرسم بقولها:

- فارس توقف عن الرسم في المشروع الذي عملنا عليه معا الشهر الفائت من أجل معرض المدرسة السنوي. حاولت تشجيعه كثيرا بلا جدوى.

أضافت المديرية وهي تشيح بكفها:

- ثم ما تلك الأشياء التي يرتديها؟ أخبرته ألا يأتي بها إلى المدرسة ولكنه يضرب بكلامي عُرض الحائط فيدمس السلسلة أسفل قميص المدرسة وينخبى يده التي بها الخاتم وراء ظهره كلما رأيته.

تدخلت نادين مهدئة:

- إنها إكسسوارات خاصة بشخصيته المفضلة من أفلام الأنمي الكوري. الأولاد في هذه السن يحاولون البحث عن هوية تميزهم عن أقرانهم فلا يفتخرون من منحهم بعض الحرية.

حدجتها المديرية بنظرة حادة بينما أسقط في يدي فدوى.. اعتادت على الشكوى من فهد، ومثت نفسها بقرب انتهاء فترة المراقبة وسنوات المدرسة ليتقل إلى الجامعة. ولكن فارس! ماذا ستفعل معهما؟

- مدام فدوى..

نبهتها المدير بنبرة صارمة فلم تجد فدوى بدا من الرد:
- سأتكلم مع الأولاد. سأحل المشكلة.. أعني المشكلات.

مدت نادين يدها ببطاقة ييضاء صغيرة قائمة برفق:

- هذا رقمي الشخصي. أرجو ألا تترددي في التواصل معي.
تعرفين معزة فهد وفارس لدي.

أعرف.. قالت فدوى لنفسها، وخاصة فارس لأنه يشبه ابنك
الراحل. رفعت رأسها وشكرت نادين وباقي المدرسين ثم
مدت الخطى ولم تكد تخرج من المدرسة حتى زفرت أنفاسها
المنجبة.



اقتربت فدوى من سيارة وليد وهمت بأن تنقر له على الزجاج حينما
لاحظت أنه يتكلم على الهاتف بانفعال وقد نفرت عروق جبهته. لم
تدر ماذا تفعل، كانت متلهفة على العودة إلى البيت والتمدد على
فراشها لأخذ أنفاسها قبل الجلسة التي يجب أن تجريها مع الولدين.
ترددت هل تطلب سيارة أجرة أم تنتظر حتى ينتهي وليد من مكالمته؟

بداخل السيارة كان وليد يتكلم في الهاتف بغضب:

- ماذا تعنين؟ ألم نوافق من قبل؟

.... -

- لا أقبل هذا التهديد الأجوف.

لم تكذ تمر لحظات حتى وجدت زجاج السيارة يفتتح ووليد يناديها كي تركب. أغلقت الباب ونظرت إليه، ولدهشتها كان مبتسما ولا يبدو عليه أي أثر لما رآته منذ قليل.

- ماذا فعلت في المدرسة؟

- لا شيء.. الشكاوى المعتادة. سأتكلم معهما.

- ربما يحتاجان قيصمة رجل قوية تقوم بهما.

- ماذا تعني؟

- أبوهما أولى بهما يا فدوى. هذه السن تحتاج إلى رجل. اتركيهما يعودان إلى بيتهما وقيمان مع عمرو. ألم تخبريني بأن هذا كان الاتفاق الأولي الذي عُدت على إثـره إلى بيت أسرتك؟

- لم يستطيعا الابتعاد عني، وأنا لن أتركهما لعمرو، كانا يأكلان الشعرية سريعة التحضير كل يوم.

تجهم وليد..

- لماذا هذا التعنت؟ ألا تريدان الزواج بي؟ لقد طال الأمر وأنا سئمت الانتظار.

ترقرقت عيناها بالدموع وقد تكالب عليها ضغط وليد مع ضغط المدرسة فقالت بضعف:

- وليد من فضلك أعدني إلى سيارتي.

زفر وليد في نفاذ صبر ولكنه لم يعقب حتى أوصلها إلى سيارتها،
همت بالتزول ولكنها فوجئت به يسحب كفها ويحتضنه بين كفيه وهو
ينظر في عينيها قائلا:

- لا تصدقي أنني ستمتُ انتظارك. أنت الحلم الذي أحيا من أجله.
وسأنتظرك.

حاولت سحب كفها فاشتدت قبضته عليها، ثم أرخاها ورفع يدها
إلى فمه محاولا تقييلها فسحبها سريعا وخرجت من سيارته تهرول
نحو سيارتها ودقات قلبها تتصاعد إلى السماء.



دخلت فدوى من باب الشقة منهكة تمنّي نفسها براحة قصيرة قبل
الشروع في إعداد الغداء. وجدت نور الصالون مضياء والدتها تجلس
وعلى وجهها ابتسامة سعادة وأمامها جلس.. عمرو!
- فدوى؟ تعالي يا حبيتي عمرو هنا.

قالت والدتها بنبرة مبتهجة أفلقتها.. تقدمت نحو الصالون مرغمة
وسلمت على طليقها فأردفت والدتها في سعادة:

- اجلسي يا فدوى! عمرو جاء كي يركلك إلى عصمت.

- ماذا؟

هتفت فدوى مصعوقة فابتسم عمرو في وجهها قائلا:

١
- آن الأوان لكي ننهي خلافاتنا.. أخبرت الولدين وهما متحمسان
لمغاية لكي نعود إلى بيتنا معا.

لم تقو قدماها على حملها فجلست بينما أضاف عمرو:

- لديّ خبر سيسعدك ويقضي على كثير من الخلافات بيتنا.

حاولت فدوى الابتسام مجاملة فلم تستطع، فتدخلت أمها تسأله
في حماسة:

- خيرا يا بني؟

انتظر عمرو أن تشاركها فدوى لهفتها في المعرفة فلم تفعل فقال
بخيبة أمل:

- أنا واحد من ثلاثة مرشحين لمنصب المدير الإقليمي للشركة،
وقد أخبرني السيد «توم» أنني المرشح الأقوى لأن السيرة الحسنة
والقدرة على التكيف هما أساس الاختيار لذلك المنصب.

- مبارك يا بني، تستحق المنصب بالتأكيد.

قالتها السيدة وفاء بحفاوة ولكنه لم يجيبها بل توجه بجسده نحو
فدوى قائلا بنبرة دافئة:

- أخيرا سأتمكن من تحقيق كل أحلامك، المنصب الجديد به
الكثير من السفر.

لم تستطع فدوى التفاعل معه، وشعرت أنها محاصرة، أشار عمرو
نحو جيلدها وسألها:

- جميلة السلسلة.. أهى جديدة؟

عضت على شفتها، لقد نست إخفاء هدية وليد تحت ملابسها.
لاحظت والدتها اضطرابها فقالت:

- اشربي ماء يا حبيبتى يبدو أن الجو الحار بالخارج أثر عليك.

مدت فدوى يدها نحو كوب الماء الذي وضعت أمها أمام عمرو
بجوار كوب من الشاي وطبق من الفاكهة المقطعة وآخر يحتوي على
مكسرات مشكلة من التي تخبئها أمها في خزانة ملابسها فلا تخرج إلا
للغاليين.. سيظل عمرو ابن والدتها المدلل الذي لم تنجبه حتى بعد
أن صار طليق ابنتها!



اختلت فدوى بنفسها أخيراً لا تصدق أنها نجت من براثن الشائى
أمها وعمرو، واستطاعت أن تلوذ بحجرتها دون أن تجييهما على
طلب عمرو غير المتوقع بالرجوع بعد أن ظنت أن علاقتهما انتهت
تماماً. لقد وقعت بين شقي الرحى، فالكثير من الأمور جرى في
الساعات الفائتة، ما بين اجتماع المدرسة وكفى وليد الدافتين وزيارة
عمرو المفاجئة. وجدت نفسها ترفع يدها إلى أنفها تشتم عطر وليد
تماماً كما كانت تفعل منذ ستة وعشرين عاماً. لم ترتح لحركة وليد
الأخيرة ومحاولته تقبيل يدها، الأمور تتطور بينهما وهي لا تستطيع
صدّه، ولا تريد مجاراته. آه لو تغمض عينا وتفتحها فتجد نفسها
زوجة له، ولكن كيف؟ وماذا عن الأولاد؟ ثم عمرو.. ما الذي أتى

.....
به؟ هل يتلاعب بها؟ لقد انفصلا نهائيا عن اتفاق واقتناع. لم تصدق
أن مصلحة الأولاد تهمه بهذا الشكل فهو منذ الطلاق لم يسأل عليهما
إلا لماما، وهما اللذان يتواصلان معه ويلتخان عليه حتى يخرج معهما
مرة كل عدة أسابيع.

الأمرفيه لغز غير مفهوم!

تعالى صوت شجار خارج باب الغرفة فعرفت أن ولديها قد عادا
من المدرسة، رن هاتفها باسم وليد فتجاهلته وقامت مسرعة لتعد لهما
الغداء قبل أن يثور فهد من الجوع ولا تستطيع احتواء غضبه.

المصيدة

وقفت الدكتورة رقية على باب غرفة التمریض تنفذها بعينها كي
تأكد أن رجب وحده بالغرفة قبل أن تدخل وتغلق بابها خلفها في
هدوء لا يعكس مبلغ القلق الذي تشعر به، ابتسم رجب في وجهها
مظهرا أسنانه الصفراء الكبيرة فابتلعت ريقها وأخرجت من حقيبتها
الجلدية الكبيرة رزمة نقود مربوطة برباط مطاطي ومدتها إليه، أخذها
منها في لهفة وهو يسألها:

- المبلغ كامل؟

- طبعا كامل، ماذا تعني؟

- حسنا حسنا.. أعطيني فرصة لعه.

- خذ راحتك في العد، المهم تسلمها المطلوب غدا.

- الكمية هذه المرة كبيرة، ليس قبل يومين.

تجهمت رقية..

- لا يا رجب، لو كنا نستطيع الانتظار لما لجأنا لك.

- الآن أصبح رجب صديقا؟ أين ذهب التهديد والوعيد؟

سألها بنبرة متهمكة استفزتها إلا أنها حاولت الحفاظ على صرامتها
فأجابته بفظاظة:

- ليس وقته هذا الكلام. تجنبها يا رجب لمصلحتك فإن سكنت
عك اليوم لأنها تحتاجك فلا تعرف ما الذي يتغير غدا.

أفلح تهديدها فابتلع رجب ريقه بصوت مسموع ثم وجه اهتمامه
نحو رزمة النقود وظهر الجشع في عينيه وهو يبلل طرف إصبعه بلسانه
ليحصيها بسرعة. فتحت رقية باب الغرفة وخرجت لتجد تهاني
المرضة في وجهها. رمقتها تهاني في فضول ثم مدت رأسها إلى
داخل الغرفة فعادت تنظر إلى رقية وهي تمصمص شفيتها بطريقة
أصاب رقية بالغثيان إلا أنها قاومت شعورها ونادتها:

- ميس تهاني من فضلك.

اقتربت منها تهاني فتلفت رقية حولها وتأكدت أن لا أحد يراها
قبل أن تخرج من حقيبتها رزمة مالية جديدة أصغر من سابقتها مدتها
إلى تهاني التي لمعت عيناها ونشتتها منها سريعا ودستها في جيب زي
التمريض قائلة في حماس:

- سأخبر الأسطى فتحي أبو الروس وسعيد ابني أنني استلمت
المبلغ. ولكن لدي سؤال بخصوص المطلوب، هل...

أوقفتها رقية بحركة من يدها قائلة في جفاء وهي تبتعد:

- لا تسأليني.. لا أعرف شيئا.



لأول مرة منذ أيام كثيرة لم تر فدوى وليد ولم تسمع صوته. هل غضب من ردة فعلها بالسيارة؟ أم لأنها لم تتصل به بعد أن فوتت مكالمته وقت الغداء في اليوم السابق؟ أصبح وليد سريع الغضب في الآونة الأخيرة، صحيح إنه يبادر في كل مرة بمصالحتها ولكنه لم يفعل هذه المرة.. فما السبب؟

حاولت الاتصال به فلم يرد، وبعد قليل وردتها منه رسالة مقتضبة أخبرها فيها أنه اضطر للسفر إلى مدينة الإسكندرية لحل مشكلة طرأت في فرع شركته هناك ولا يعلم متى سيعود. شعرت بالإحباط والوحدة فقد اعتادت رفقته اليومية وإحساس الونس والدفء بجواره.

مر الوقت عليها ثقيلًا... حاولت الاتصال به مجددًا في المساء ولكنه لم يرد وأرسل لها رسالة تفيد بأنه لا يزال في خضم المشكلة ولا يستطيع تلقي المكالمات.

سطعت الحقيقة أمام عيني فدوى فجأة: إنها ليست فقط مغرمة به، بل صارت أسيرة له. يجب أن يتزوجا في أقرب فرصة ولكن السؤال هو: كيف؟ هل تعلن ذلك وتفتح على نفسها حربًا ضروسًا من الأطراف كافة أم توافق على اقتراحه بالزواج العرفي وتؤثر الصمت والسلامة؟



نامت فدوى ليلتها على جمر وقد طرأ لها هاجس قبل نومها أن وليد ملّ من انتظارها ونفض يديه منها. انتهت قصتها الخيالية قبل أن

تبدأ وفقدت حذاءها الكريستالي على درجات بوابة الحلم الجميل وعادت سندريلا من جديد. استيقظت صباح السبت والهم رفيقها، نظرت لنفسها في المرآة فأفزعته الهالات السوداء حول عينيها وبثور القلق التي تفجرت في بشرتها. سيدوي جمالها ويزوب ولن تجـ...

قطع أفكارها رنين هاتفها برقم غير مسجل. ردت فوجدت صوتاً أجش يخبرها أنه مساعد وليد، ارتاعت، هل حدث له مكروه؟ أخبرها أن وليد مضطرب إلى مد إقامته في الإسكندرية وقد حجز لها تذكرة طائرة لتقضي معه اليوم هناك وتعود في طائرة المساء. اجتاحتها الفرحة، لا يزال يحبها ويفكر فيها..

ثم عادت مخاوفها تصعد إلى السطح، لماذا لم يتصل بها وليد بنفسه أو حتى يرسل لها رسالة؟ هل في الأمر خطب ما؟

طلب منها الرجل بريدها الإلكتروني لكي يرسل إليها تذكرة الطيران. في وقت آخر كانت سترفض هذه المغامرة ولكن اليوم؟ بعد أن أضعفها بعد وليد عنها وجعلها تدرك مدى تعلقها به، وافقت على الفور!

أنهت المكالمة مع الرجل فوجدت رسالة من وليد:

«أنا بانتظارك.. وراقي من فضلك».

لم يكن بحاجة إلى الرجاء. فتحت خزانة ملابسها وأخرجت ثوبها المفضل للرحلات الذي يجعلها تبدو كأميرة إغريقية فاتنة، ثوب طويل من الكتان الطبيعي له رقبة مفتوحة وأكمام طويلة واسعة وفتحة

من الجنب. ومعه أخرجت صندلها القشبي ذا الكعب العالي والرباط
الذهبي الذي يلتف حول الساق. وضعت السلسلة الألماسية حول
رقبتها وارتدت قرطا ذهبيا تتدلى منه أصداف بيضاء صغيرة. أسرع
بوضع مساحيق التجميل، طبقة سخية من كريم الأساس أخفت بها
الهالات والبثور ثم دحمت وجتيها وأرنبه أنفها بلون برونزي متوهج
تناغم مع لون عينيها والشقرة الداكنة في شعرها ثم وضعت ملمع شفاه
رقيقا أبرز اكتناز شفتيها. صففت شعرها على جانب واحد فغطى أذنها
اليمنى وتدلى على كتفها وجيدها في خصلات مغرية. سحبت حقيبتها
وأخذت معها وشاحها المفضل وخرجت من غرفتها تجو باب الشقة.
فُتح أحد الأبواب..

- فدوى.. إلى أين أنتِ ذاهبة؟

كيف شعرت بها والدتها على الرغم من ضعف سمعها؟ ولماذا
تسألها عن وجهتها؟ لم تعتد فعل ذلك. بماذا ستجيبها؟

- لدي تصوير يا ماما.

- مبكرا هكذا؟ متى ستعودين؟

- لست أدري.

- ألا تعلمين أن عمرو سينضم إلينا على الغداء اليوم؟ وعدت
الأولاد أنكم ستناولون الطعام معا كأسرة مثل الأيام الخوالي.

شعرت فدوى بالاختناق، إنهم يخاولون إحكام الحبل حول
رقبتها.

.....
- ولكنك لم تخبريني يا ماما. لا أستطيع الاعتذار عن التصوير
الآن.

- لقد أخبرتك بالأمس.. هل نسيت؟

- حقا!

لم تذكر فدوى أمر الغداء وكان غلالة رقيقة قد نزلت على
ذاكرتها.. تحاشت النظر في عيني والدتها وقالت:

- تناولوا أنتم الطعام معا ولا تنتظروني.. سأعود في المساء.

عقبت والدتها بنبرة جافة:

- ستيرين غضب عمرو.. والأولاد.

لم تجبها فدوى، بل خرجت مسرعة قبل أن تتلقى منها أي عبارات
أخرى.



عبرت فدوى بوابة الإقلاع في سعادة. لم تستغرق الرحلة إلى
الاسكندرية سوى أربعين دقيقة، خرجت بعدها إلى صالة المطار
تبحث عن وليد، رأت اسمها مكتوبا على لافتة كرتونية يحملها رجل
بدين يغمره العرق محشور في بدلة بنية. توجهت نحوه، رحب بها
وأخبرها أنه موقد إليها من وليد واقتادها إلى سيارة مستأجرة فاخرة.
خرج بها السائق من المطار وقاد بها ما يقارب الساعة بمحاذاة بحيرة
مربوط، ثم دخل بها إلى شوارع المدينة الضيقة قبل أن يخرج بها ثانية

إلى الطريق الموازي لشاطئ البحر. توقعت أن يتوقف بها عند أحد المقاهي المنتشرة على الكورنيش أو أمام أحد الفنادق الشهيرة ولكنه لم يفعل. استمر بالقيادة لنصف ساعة أخرى لم تستطع فدوى خلالها الاستمتاع بمراقبة البحر الأبيض المتوسط ومراكب الصيد الصغيرة الملونة المتناثرة على سطحه كما اعتادت في زياراتها إلى الإسكندرية بسبب القلق الذي اعتراها من عدم معرفتها بوجهتها، والذي زاده عدم ردّ وليد على أي من اتصالاتها.

رن هاتفها، ظنته وليد غير أنها وجدتها ماهيتاب صديقتها تطمئن عليها. حكّت لصديقتها سريعا مغامرتها الراهنة فسألتها ماهيتاب متوجسة:

- فدوى.. هل أنتِ متأكدة مما تفعلين؟

- بالطبع.. إنه وليد، ماذا بكِ؟

- حسنا.. بخصوص وليد، أريد أن أخبرك بشيء ما.

لم ترغب فدوى في سماع أي كلام قد يفسد مزاجها.. أنقذها السائق بقوله:

- لقد وصلنا.

وجدته ييطى من سرعته، فنظرت حولها لتجده يدخل من بوابة حدائق المتزه المطلة على البحر. أنهت مكالمة ماهيتاب ودق قلبها.. لقد فهمت خطة وليد. سيقضيان اليوم في المتزه كما فعلا منذ ستة وعشرين عاما في رحلة الكلية حينما أتى مع أخته رويانا واعترفت لها

بحبه.. انفصلا يومها عن زملائها الطلبة وقضيا اليوم تحت ظلال
أشجار المتزه الوارفة.

نظرت حولها، تغيرت معالم المنطقة كثيرا.. تقلصت المساحة
الخضراء واختفى الكثير من الأشجار المعمرة وزادت المساحة
الإسمنتية وانتشرت مجمعات المطاعم سواء المحلية أو التابعة
لسلاسل عالمية. توقف السائق عند المكان المخصص لانتظار
السيارات وتبادل بضع كلمات مع سائق إحدى عربات الجولف ثم
أشار لفدوى كي تركبها.

تحركت بها العربة الصغيرة في جولة وسط حدائق المتزه جعلتها
تتساءل في فضول عن وجهتها الأخيرة ولكن سرعان ما خلب جمال
الحدائق المحيطة بها لبها فتخلت عن قلقها لصالح مطعم أصفر زاهٍ
على شكل ترام محطة الرمل في عهد الملك فاروق يتوسط مساحة
كبيرة من الحدائق والبحيرات والشلالات الصناعية تناثرت حولها
ممرات للمشاة وبرجولات خشبية أنيقة، ثم مرّت على طاحونة المتزه
الأثرية وبرج الساعة بقرميده الأحمر وكشك الشاي الأبيض الأنيق
المطل على الشاطئ، ظهر بعدها البحر الأزرق في الأفق ورأت عن
يمينها قصر السلامك التاريخي الذي التقطت له هي ووليد صورا
كثيرة يوم رحلة الكلية ووعداها بأن يتناولوا معا الغداء في مطعمه
الفاخر يوما ما.. وها قد أتى اليوم أخيرا.

توقعت أن يوقف السائق العربة ولكنه لم يفعل، استمر في القيادة
حتى اقتربا من فندق «ريكسوس» الحديث وتجاوزاه نحو منطقة منعزلة

تناثرت فيها أكواخ خشبية صغيرة ذات واجهات حجرية مميزة. أوقفها أمام الباب الخلفي لأحد الأكواخ وتركها وذهب. وجدت الباب مفتوحا.. ترددت للحظة ثم مدت يدها ودفعت الباب لتندهل بمشهد شاطيء الممتزه الساحر وقد احتل الأفق المواجه للباب الزجاجي الأمامي للكوخ. مدت خطاها إلى الداخل.. تفاجأت بورود حمراء طبيعية حولها في كل مكان وكأنها تخطو إلى حديقة غناء شذية.

ومن وسط الزهور.. ظهر وليد..

وتسارعت دقات قلبها.

سحرتها طلته إذ طالت ذقنه قليلا فأعطته مظهرا خشنا أحبته، وقد ارتدى قميصا وسروالا واسعين من الكتان أعطياه مظهرا عصريا جذابا.

منعت فدوى نفسها بالكاد من أن ترتمي في أحضانه ووقفت تفصلها عنه بضع خطوات وتشدها إليه كل قوى المغناطيسية في الكون. وجدت صوتها أخيرا فأشاحت بذراعيها تسأله بنبرة اختنقت بالدموع:

- ما كل هذا؟

- أقل مما يليق بك يا فدوى..

قالها وهو يقترب منها فتراجعت خطوة إلى الوراء، ويرز سؤال مفاجئ في عقلها: ما الذي فعله هنا معه؟ وحدهما؟ ابتلعت ريقها وسألته:

- ظننتك في العمل؟
- كنتُ كذلك بالأمس.
- لم تجب اتصالاتي!
- كانت فرصة لكي أعرف إن كنت ستفتقدني وجودي أم لا.. إن كنت تريدني حقاً في حياتك.
- أشاحت بوجهها وهمست في خجل:
- وهل عرفت؟
- ماذا ترين؟
- قالها بصوت متهدج وهو يفتح ذراعيه، ثم سحبها من يدها إلى الخارج قائلاً:
- والآن لن نضيع دقيقة من وقتنا معا..
- اصطحبها إلى الغداء في أحد مطاعم قصر السلامك الملكي ثم في رحلة بحرية في يخت مخصص لهما هما الاثنان فقط، وفي المساء عادا إلى الكوخ الخشبي في المنتزه. سأله:
- متى موعد طائرة الرجوع؟
- لا رجوع..
- ابتسمت في قلق..
- ماذا تعني؟

أشار إلى حقيبة سفر وردية كبيرة في ركن الكوخ قائلا:

- ستجدين هنا كل احتياجاتك لعدة أيام..

استرقت النظر لا إراديا نحو غرفة النوم الوحيدة بالكوخ وهي

تهتف باسمه:

- وليد لا...

أطلق ضحكة وهو يقول:

- ماذا فهمت؟ هذا كوخ فردي. سأكون في الكوخ الذي بجوارك

وفي الصباح لدي برنامج حافل.

- ولكن الأولاد؟

- اتصلي بهما الآن وأخبريهما أنك مطلوبة في رحلة عمل

لا تعوض للترويج لأحد منتجات التجميل من الرعاية الرسميين

لصفحتك. اقترحي عليهما أن يقضيا هذه الأيام مع أبيهما.. سيكون

ذلك تمهيدا جيدا للمستقبل.

لم ترغب في مناقشته، عقت فقط في ضعف:

- يبدو أنك فكرت في كل شيء!

- سنغلق هواتفنا ونختطف لنا يومين من الزمن نعود بعدهما إلى

القاهرة ونعلن زواجنا.

قفز وجهها ولديها إلى مخيلتها، وتنازعت بداخلها عاطفتان

جارفتان، عاطفتها كام.. وعاطفتها كامرأة تحلم بالحب والحياة.

غير أن نظرة منها للكوخ الممتلئ بالورود، والشاطئ المضاء بأنوار
رومانسية خافتة، والأرجوحة القماشية البيضاء التي يداعبها النسيم في
الحديقة الخارجية، وذراعي وليد الممدود تلهي..

اتخذت قرارها.

هذه هي الحياة التي تريدها.

وتستحقها!

استغالت من أفكارها على وليد وهو يسحب كفها ويطبع عليه قبلة
رقيقة..

- تصبحين على خير يا ملكتي.

قالها ثم خرج من الباب الأمامي للكوخ لمخرجت وراءه وراقبته
وهو يدخل إلى الكوخ المجاور. تنسمت عيير البحر المنعش
فابتسمت، عادت إلى الكوخ فاتصلت بولديها وأخبرتتهما بالحملة
الدعائية المزعومة ورتبت مع عمرو أن يتابعهما حتى تعود، وأبلغت
والدتها بالأمر فاته ثم جلست على الفراش تنهد غير مصدقة الحلم
الجميل الذي وجدت نفسها فيه. تلفتت حولها تتأمل الكوخ فرأت
أمانها الحقيقية الوردية وتساءلت عن محتوياتها، قامت وفتحتها وما
إن رأت ما بها حتى أطلقت صيحة انبهار!

هي

12:51 ظهر الاثنين

لم أعد أشعر بأطرافي وأفكاري صارت ضبابية..
إنها النهاية.

لكم وددت لو استطعت مس سلسلتي الذهبية وفصها المتوهج
بأناملي للمرة الأخيرة، تلك السلسلة التي تذكرني بأوقات كنتُ فيها
محبوبة.. ولكن لا بأس.

أريد فكرة سعيدة أختم بها حياتي.
فكرة واحدة..

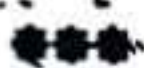
...

رجاء.

...

وجدتها!

«أنتِ تستحقين.. وستكونين محبوبة».



جرس الإنذار

تفقدت فدوى محتويات الحقبة الوردية فوجدت بها أثوابا من
أرقى بيوت الأزياء العالمية، وملابس نوم حريرية رقيقة، وأحذية
وحفائب يد ثمن الواحدة منهم عدة آلاف من الجنيهات، وأدوات
للعناية بالبشرة والشعر ومستحضرات تجميل تناسب نوع ولون
بشرتها، وقنينة عطر ثمينة.

لقد فكر وليد في كل شيء...

وكل ما في الحقبة يماثل قياسها بدقة مذهلة!

أخرجت بلوزة حريرية بلون الخوخ وسروالا من الجيتز الأزرق
مع حذاء مشي ووضعتهما على أحد المقاعد لكي ترتديهم في الغد،
ثم تأكدت من إحكام غلق مداخل الكوخ قبل أن تبدل بملابسها منامة
حريرية بلون الفستق وتستلقي على الفراش.

شعرت بحنين نحو ولديها فهد وفارس وتساءلت عما يفعلان
الآن؟ هل يتشاجران؟ هل تناولا عشاءهما وأنهيا فروضهما المدرسية؟
أرادت أن تتصل بهما ثانية ثم قالت لنفسها: كفى يا فدوى، لم يعودا

صغيرين، كلها سنوات معدودة ويستقلان عنك. سفرك بعيدا عنهما ليس فقط فرصة لك للتغيير والاستجمام، ولكنها فرصة لهما أيضا لكي يتعلما الاعتماد على النفس والاستقلالية، ولعمرو بتحمل المزيد من مسؤولياتهما، فلتهدئي يا فتاة..

اهدئي واستمتعي.



- ألو.. أتصل بك من الإسكندرية. لقد وصلت ورأيتهما.. مسييتان ليلتهما في الفندق الجديد بالمتز.

- معا؟

كاد دوي الكلمة يثقب أذن المتصل فارتبك وهو يجيب:

- لست متأكد إن كانا قد حجزنا غرفة واحدة أم غرفتين،

- تأكد إذن.. وكما اتفقنا.

- بدأت بالفعل.

- حسنا.

أنهى المتصل المكالمة ودس هاتفه في جيب قميصه البنفسجي وابتعد.



نامت لدوي ليلتها هائبة واستيقظت مبكرا على غير عاداتها شاعرة بالنشاط.

ارتدت الملابس التي أعدتها في اليوم السابق وسحبت هاتفها
وخرجت إلى الشاطئ. تنسمت هواء الصباح العليل المفعم باليود
واستمتعت به يداعب خصلات شعرها، ثم أخذت لنفسها عدة صور
«سيلفي» وبحر الإسكندرية الأزرق من ورائها وفص الألماس المتدلي
من سلسلتها الذهبية يلمع تحت أشعة الشمس ويضيف وهجا للصور،
سجلت بعدها فيديو سريعا صيحت به على متابعيها.

أنهت فدوى تحميل الفيديو ولاحظت ورود عدة رسائل من
ماهيتاب ففتحتها لتقرأها وهي تستدير في مرح فوجدت وليد واقفا
يحمل صينية فطور كبيرة وينظر إليها في تعجبهم. لم تفهم سر نظراته
فارتبكت فوضع الصينية واقترب منها قائلا في عتاب:

- استيقظت ولم توقظيني.

- لم أرغب في إقلاقك.

أشار إلى هاتفها قائلا:

- بل انشغلت عني بهاتفك ومتابعيك.. ألم تنفق بالأمس على
إغلاق الهواتف؟

لم تجد ما تقوله فمد يده إليها كي تعطيه هاتفها فترددت..

- ماذا؟ أتضمن عليّ بأن تكوني ملكي لأيام قليلة؟

- ولكن..

رن هاتفها باسم ماهيتاب، ازدادت حدة نظرة الغضب في عيني
وليد وهو يحرك كفه نحوها في نفاذ صبر قائلا:

- أرايت.. لن نسلم من الإزعاج. الهاتف سيشتك ويجعل أفكارك
تعلق بعيدا عني وأنا لا أريدك أن تشغلي بغيري.

نظرت نحو يده الممدودة وصينية الإفطار العامرة بما لذ وطاب
ومن ورائها الكوخ الجميل.. قالت لنفسها إن الرجل يحبها ويحاول
إسعادها بكل وسيلة وأن ما يطلبه منها هو أبسط طريقة للبرهنة على
حبها وإخلاصها. توقفت رنة الهاتف، ثم عادت تصدح من جديد..
مدت إليه الهاتف منصاعة فأخذه منها واتجه نحو الكوخ فأسرعت
وراءه، وجدته يضع هاتفها في خزانة الغرفة وهو لا يزال يرن، ثم
أخرج هاتفه من جيبيه ووضع معه وأغلق الخزانة ثم استدار لها،
ابتلعت ريقها وسألته في نبرة متوترة حاولت إضفاء الدلال عليها:

- ألن تخبرني بالأرقام السرية؟

ابتسم لها:

- أعرف كيدكن يا معشر النساء، كما أعرف جيدا مدى إدماننا
لهواتفنا.

سألته قلقة:

- ماذا إذا حدث أمر ما أو احتجت لأي شيء؟

- وأنا بجوارك؟!

- أعني...

أجابها وقد بدأ صبره يتفقد:

- وماذا كنا نفعل قبل الهواتف النقالة؟ اتصلني بخدمة الغرف أو
اتصلي على كوكبي.

وأملأها الرقم ثم طلب منها إحضار مفرش مائدة الكوخ الصغيرة
وخرج ثانية إلى الشاطئ، خرجت وراءه بالمفرش وفرشته على الرمال
وجلسا عليه معا والصينية بينهما والبحر الأزرق أمامهما..

أراد وليد تبديد أجواء التوتر التي خيمت عليهما فمد لها حبة
من الفراولة وأطعمها إياها في فمها. ابتسمت وهي تأخذها بأسنانها
وتمضغها، ابتسم بدوره وأصر أن يطعمها الفطور كله بنفس الطريقة..
لم تعتد أن يطعمها أحد في فمها منذ أن كانت في الرابعة، ولكنها قالت
لنفسها من ذا الذي يجد مثل هذا التدليل ويرفضه؟

بعد الانتهاء من الفطور أخبرها بخطة اليوم، شعرت بقليل من
الإحباط، فالخطة كانت تقتضي قضاء اليوم كله على شاطئ البحر،
معا.. كانت تتوقع برنامجا حافلا ولكنها قالت لنفسها أن غرضه
الأساسي من تلك الرحلة هو قضاء الوقت معها بعيدا عن العيون.
وهي تريد ذلك أيضا بالطبع..

جلس على الأرجوحة القماشية البيضاء وربت على المكان
الشأغر بجواره ففهمت إشارته ولحقت به وجلست، أخذ يحكي لها
عن أحلامه في العمل وعن شريكه وعن أولاده واستمعت هي.

حينما انتصف اليوم طلبت منه على استحياء أن تأخذ هاتفها كي
تطمئن على ولديها فتعجبهم:

- يبدو أنك لم تكوني تستمعين إليّ وكل ما تفكرين فيه هو أولادك.

- لا أبدا، ولكن...

- في المساء، سأعطيه لك في المساء.

- حسنا..

قالتها مستسلمة فظهر الرضا على محيّا واستأنف الكلام يحدثها هذه المرة عن مرض أبيه بالزهايمر حتى قاطعته فجأة:

- وليد.. ذلك الرجل يراقبنا.

- ماذا؟

تغير وجهه والتفت خلفه، أشارت فدوى نحو رجل يرتدي قميصا بنفسجيا ويحمل هاتفه بيده على بعد عدة أكواخ ولكنه استدار في هذه اللحظة وأعطاهما ظهره. هبّ وليد واقفا وسألها وهو يهم بالاتجاه إليه:

- هل كان يراقبنا حقا؟ هل أنت متأكدة؟

ترددت فدوى، فهي رأت واقفا ينظر إليهما ولا يتحرك، وهاتفه في يده وكأنه.. وكأنه يلتقط لهما صورا ولكنها ليست متأكدة ولا تريد أن تتسبب في مشكلة لوليد..

- ربما هيء لي.

جلس وليد وهو ينظر تجاه مكان الرجل في ريبة ولكنه كان قد اختفى، زفر زفرة طويلة نفس فيها عن توتره ثم مد يديه فأمسك بكوبين

كبيرين من عصير التوت الطازج ناول أحدهما لفدوى ورشف من الآخر هو يقول:

- لقد قطعِ حبل أفكارى، أين كنا؟ آه رويانا..

انتبهت فدوى فقد أرادت معرفة ما الذي ألم برويانا.. آخر عهدهما بها أنها خطبت لزميل لها في العمل بعد زواجها هي من عمرو بسنة أو مستين.. ماذا حدث لها بعد ذلك؟ لا تعرف!

- وهكذا أشعلت رويانا الحرب على منى وحتى يومنا هذا.

أدركت فدوى مدى شرورها حينما سمعت العبارة الأخيرة دون أن تدري في أي سياق قيلت. خافت أن تسأله فيتهمها بعدم الاهتمام بكلامه مجدداً، فحاولت استيضاح الأمر بشكل غير مباشر:

- ولكن هل ترى أن الأمر يستحق؟

نظر إليها مدهوشاً..

- ماذا تقولين؟ بالطبع.. لقد دمر الحادث حياتها وترك لديها ندوباً نفسية وجسدية لا تندمل.

ثم أدرك إزاء النظرة الحائرة في عينيها ما يجري فهتف في غضب:

- لم تكوني تستمعين لى.. شردت ثانية.

حاولت احتواء غضبه..

- كنت أفكر في رويانا.

لم يصدقها وهب من مكانه مغاضبا فوق العصير وتناثر السائل
البنفسجي في كل مكان فركل الكوب البلاستيكي بقدمه وعاد إلى
كوخه وسمعت الباب يغلق في عنف.



أسقط في يدي فلدوى ولم تدبر ماذا تفعل. ظلت في مكانها وقد ذكرها ما
حدث بالنسخة القديمة من وليد، تلك النسخة التي نسيتهما.. أم تناسيتهما؟
هل كانت والدتها هي السبب الوحيد في فراقهما؟ أم أن فلدوى نفسها
مرّت بفترات من عدم اليقين في حبها واختيارها؟ وما قد عادت ربما لعادتها
القديمة وتركها مغاضبا. لم يظهر لعدة ساعات فأدركت أنها مُعاقبة..
تماما مثلما كان يحدث في الماضي.

حينما التقيا منذ عدة أسابيع بعد سنوات الفراق، ظنت أن الماضي
لا يمكن أن يعيد نفسه، فهي أصبحت أقوى، نسخة جديدة ومعدّلة من
فلدوى. ولكن الآن.. وهي تحت رحمة غضبه وبلا هاتف أدركت أن
لا شيء تغير!

دخلت الكوخ وجلست على الفراش تفكر في خياراتها.. هل
تذهب ويتطرق باب كوخه وتعتذر؟ أم تنتظر؟

بعد تفكير قرزت الانتظار فليس لديها ما تخسره، والانتظار
سيجعل الكرة في ملعبه وسيضطر لفك الحصار ولو بعد حين. أو
مكبدا ظنيت!



انقضت عدة ساعات وهي جالسة بلا حراك، متروية في ركن أريكتها المفضلة وملتفة بغطاء صوفي خفيف رغم حرارة الجو، ممسكة بهاتفها بين يديها تنتظر تنبيهات الإرسال في صبر مضمّن. تعالى الرنين أخيرا واهتز الهاتف بين يديها فأحكمت قبضتها عليه وفتحت محتوى الرسائل في لهفة.. صور جديدة ومقاطع فيديو. أخذت تمرر إصبعها عليها صورة تلو الأخرى، وتشاهد مقاطع الفيديو بقلب موجوع وفم مزموم.

كانت تراقبهما دون أن تطرف بعينيها للحظة وكأنها معهما، ثم.. ابتسمت لنفسها قائلة بصوت خافت كالفحيح:
«فلتمرحا قليلا.. اقتربت النهاية يا حلوين».



غابت الشمس وحل الظلام ولم يظهر وليد ولم يخرج من كوخه. شعرت فدوى بالوحشة وحدها وافترقت هاتفها رفيقها الدائم، لم تعد أن يكون بعيدا عنها كل هذه الفترة، تساءلت عن فيديو الصباح، هل حقق مشاهدات جيدة؟ تذكرت محاولات ماهيتاب للوصول إليها، تُرى ما الأمر؟ افتقدت فهد وفارس، ففي هذا الوقت من اليوم تكون المناوشات الخاصة بحل الواجبات المدرسية وتناول العشاء وترك الهاتف في أوجها، ترى ماذا يفعلان الآن؟ هل ناما؟ اعتادت أن تكون فقرة المساء مع الأولاد من أكثر فترات اليوم إزعاجا لها، ولكنها الآن.. ويا للغرابة.. تفتقدنها!

قرص الجوع معدتها فشعرت بالغضب، كيف يفعل بها وليد ذلك؟
ثم ذكرت نفسها، هي ليست طفلة الأمس الخائبة بل هي امرأة ناضجة
واسعة الحيلة. اتصلت بخدمة الغرف وطلبت عشاء متكاملا وبعد قليل
سمعت صوت طرق على الباب ففتحته لتجد عاملة الفندق تدفع عربة
تقديم ذهبية صغيرة عليها صينية بها عدة أطباق مغطاة بأغطية معدنية
أنيقة، شكرت العاملة وصرفتها ودفعت العربة إلى الخارج عبر الباب
الزجاجي. فرشت المفروش على الرمال وحملت الأطباق ووضعتها
عليه وجلست تأكل في استمتاع على أضواء الشاطئ الخافتة وصوت
الموج الرقيق.

لم تكد تمر دقائق حتى انفتح الباب الزجاجي لكوخ وليد وخرج
منه بابتسامة على وجهه وانضم إليها يأكل معها وكان شيئا لم يكن.

ولكن في الصباح..

اختفى وليد مجددا!



المحطة الأخيرة

استيقظت فدوى فوجدت الشمس تغمر الكوخ. تساءلت عن الساعة وتحسست الفراش بحثاً عن هاتفها ثم تذكرت في حنق أنه ليس في حوزتها. لم تجرؤ أن تطلبه من وليد في المساء للاطمئنان على الأولاد كما وعدّها مخافة تبديد اللطف الهش الذي خيم على الأجواء والذي لم تتوقع فدوى بعده ألا تجده في الصباح.

أشعلت التلفاز وعرفت أن الساعة تعدت الثانية عشرة ظهراً. تساءلت إن كانت مُعاقبة ثانية على شيء فعلته دون أن تعي؟

دامها شعور مظلم ظنّت أنها تخلصت منه منذ سنوات، تذكرت المرات الكثيرة التي كانت تنتظر فيها ذليلة لكي يحنو عليها وليد ويفصح عن سبب ضيقه ويتيح لها فرصة الاعتذار وطلب الصفح.. فقط لكي يتكرر الموقف ثانية بعد قليل فلا تكاد تهناً بسويغات من الهدوء ووهم الانسجام قبل أن تهجم عليها غضبة جديدة.

فتحت الباب الزجاجي للكوخ فوجدت صينية الفطور مغطاة بمفرش نظيف ومعها رسالة من وليد!

«حييتي.. اضطررت للذهاب إلى الشركة لحل مشكلة سريعة.
استمتعي بالفطور، كنت أود أن أطعمك بيدي ولكن سنعوضها على
الغداء. كوني مستعدة في تمام السادسة.. ارتدي الفستان الأخضر من
أجلي.. أحبك».

على الأقل ليست معاقبة!

قالتا لنفسها في سخرية. ثم شعرت بالذنب، إنه يعاملها معاملة
طيبة ولم يغضب منها سوى مرة واحدة فلماذا ستسمع لذكرياتها
القديمة بإلقاء ظلالها القاتمة على علاقتهما الجديدة. لا.. لن نسمع
للسيطان بإفساد أوقاتنا الحلوة وقصة حبها.

أقبلت على وجبة الفطور في نهم سببه هواء البحر الفاتح للشهية.
هشمت حبة عنب كبيرة بين أسنانها وهي تتساءل كيف عرف وليد
بمشكلة الشركة دون هاتف؟ ثم قالت لنفسها أنه بالتأكيد استخدم
هاتف الغرفة. تهلل وجهها وهي تدرك أن بإمكانها استخدامه في
الأخرى للاتصال بالأولاد، كيف لم تفكر في ذلك بالأمس؟ جرت إلى
الداخل وأمسكت بسماعة الهاتف قبل أن تضعها سريعا في حلق، إنها
لا تحفظ أرقام هواتف أولادها المحمولة. فكرت للحظة، على الأقل
تحفظ رقم هاتف بيت أسرتها، حتى وإن كان الأولاد في المدرسة
ستطمئن عليهما من والدتها وتترك لها اسم الفندق ورقم الغرفة
لكي يتصلا بها حينما يعودا مخالفة بذلك رغبة وليد في الخصوصية
والسرية التامة. رن الجرس وانتظرت أن ترفع والدتها السماعة غير
أن الجرس ظل يرن حتى انقطع. استغربت! أمها لا تخرج من المنزل

لما ندر. حاولت مرة ثانية وثالثة دون رد، هل تكون بالحمام؟ أو
؟

وضعت السماعة وتساءلت إن كان يجب عليها أن تقلق؟

هات فطمأنت نفسها، إنهم في القاهرة معا: والدتها وداليا
للدان وعبرو ووالدته.

حاولت الانشغال بمشاهدة التلفاز ولكن يدها لم تفتأ تبحث بين
ة وأخرى عن هاتفها بشكل تلقائي، ثم تذكر في حلق أنه ليس
ها.

خرجت إلى الشاطئ وأخذت تدرعه جيئة وذهابا تفكر في مجريات
أمور. رأت فتاة شابة ممشوقة الجسد ترتدي ثوب استحمام أزرق
ن قطعتين وتمسك برسن كلب ضخم وتجري به على الرمال. أحبت
يف يبدو أن معا وفكرت في قطها «باونتي»، لقد أوحشها هو الآخر.
تكرت رويانا، والحادث الذي تكلم عنه وليد. ماذا قال؟ مستسأله
لميلة، يجب أن تعرف علاقة زوجته منى بحادث رويانا..



مر الوقت سريعا وحينما بلغت الخامسة بدأت فدوى تستعد.
رتدت الثوب الحريري الأخضر كما طلب وليد وأحكمت حزامه
لذهبي حول خصرها. قماش الثوب الناعم اجتوى جسدها في نعومة
سعدتها. تحب الأشياء الرغدة. وضعت ظلال جفون زمرديا وطلاء
شفاه أحمر قانيا تناغم مع لون خصلات شعرها الأشقر الداكن. نظرت

في المرأة، بدت قاتلة. ارتداهما. - مهره المصنوعي ذا العقب العالي
وانتظرت. وفي تمام السادسة سمعت طرقا خفيفا على الباب الخلفي
للكوخ. وجدت وليد ينتظرها وسط هالة من عطره المميز مرتديا
بدلة أنيقة جددت سحره في عينيها، وفي عينيه ظهر الانبهار الذي
تحبه، جرت عيناه عليها من أعلى رأسها حتى أخمص قدميها وظل
يتأملها حتى اضطر العامل ذو الزي الأحمر الزاهي أن ينبهه بوق عربية
الجولف كي يقودهما إلى مكان انتظار السيارات.



لم يتكلم وليد معها في السيارة مكتفيا باختلاس نظرات إعجاب
لها بين حين وآخر. تعرف طبعه، لا يحب الكلام في وجود آخرين،
خاصة إن كان سائقا أو موظفا يعرفه. أوقف السائق السيارة على
الكورنيش بجوار جدارية مطعم «سان جيوفاني» الملونة الشهيرة.
اتسعت ابتسامتها وترجلا من السيارة معا. سحب ذراعها لتأبط ذراعه
ودلفا إلى المطعم المطل على خليج ستانلي في مشهد بانورامي بديع.
قادهما النادل إلى مائدة منزوية تطل على مياه البحر مباشرة، حتى أنها
شعرت برذاذ الموج على بشرتها. أشعل لهما النادل شمعة حمراء
طويلة وثبتها على قنديل مذهب في وسط المائدة وسحب لها مقعدا
وأجلسها.

بعد لحظات، اقترب منهما شاب يرتدي بدلة سوداء ويحمل كماتا
خشيبا مصقولاً يعزف عليه موسيقى فالس هادئة.. أثرت الأجواء
الرومانسية على فدوى فوجدت نفسها تهمس لوليد:

- أحبك.

اتسعت ابتسامته وقبل أناملها.. تركته يفعلها هذه المرة دون مقاومة. خفت ابتسامتها وهي تقول:

- غدا هو يومنا الأخير معا.

- ستزوج بعد غد.

أجابها بنبرة أجشة أقلقته، هل سيتزوجان بالفعل؟

انتبهت فجأة على قميص بنفسجي في مرمى بصرها.. الرجل الذي ظنت أنه يراقبهما على الشاطئ، غير أنها متأكدة هذه المرة. كان يجلس وحده في نهاية المطعم تفصله عنهما عدة موائد، وأمامه كأس من الصودا يشرب منه في ببطء وهو ينظر في هاتفه المحمول.

اعتراها الارتباك وهمت بأن تخبر وليد ولكن النادل بدأ في تقديم الأطباق. وقف الرجل ذو القميص البنفسجي فأخرج مبلغا من المال من جيبه ووضع على مائدته وأسرع بالخروج قبل أن تتمكن فدوى من قول أي شيء. انقبض قلبها وتساءلت في وجل إن كان عمرو قد أرسل وراءها من يقتضي أثرها ويسجل ما تفعله بالصورتين لرفع قضية ما أو ربما مساومتها كي تعود إليه. لاحظ وليد ارتباكها فقال:

- لا تقولي لي حمية غذائية فالحمام المشوي والبطة بالبرتقال هنا لا يُعلى عليهما.

سكنت فدوى وهي تتبع بعينيها الرجل بينما اقتربت منهما فتاة
شابة ترتدي ثوب سهرة أسود ويدها باقة من الورود الحمراء ذات
السيقان الطويلة، أهدت فدوى واحدة منها ثم مرت على كل مائلة
ف فعلت بالمثل قبل أن تجلس أمام البيانو وتبدأ بالعزف عليه. عادت
الأجواء الرومانسية تظلل الأمسية وتمنت فدوى لو كان هاتفها معها
لتسجل تلك الأجواء الدافئة وتشاركها مع متابعيها.

أمسك وليد بالوردة وداعب وجنة فدوى يبتلاتها المخملية على
أنغام البيانو ثم أخذ يتكلم معها عن «فدوى يوتي» والخطوات
العملية لبدء الإنتاج. تحمست فدوى وانخرطت معه في الحديث
عن الأحلام، غير أنها لم تستطع إبعاد صورة الرجل ذي القمص
البنفسجي عن مخيلتها.



لم يختف وليد ثانية ولم يتعد عنها. احتوت فدوى غضبه وفعلت
ما يحب فقضيا معا أوقاتا حاملة تمت أن تدوم إلى الأبد ولكن سرعان
ما انقضت أيام العسل واقترب موعد طائفة العودة.

ملأت فدوى حقيبة السفر الوردية بكل الأشياء الجميلة التي
أهداها لها وليد حتى أغلقها بصعوبة، ثم جلست بجوارها تنتظره
وهي تتساءل إن كان سيخرج هن هاتفها قبل أن يرحل عن الفندق، أم
سيتنظر حتى يصل القاهرة؟

بعد لحظات قررت الخروج إلى حديقة الكوخ والتمتع لمرّة
أخيرة برائحة البحر. سحبت وشاحها ووضعت على رأسها وكفّنها

.....

اتقاء لنسيم الليل، مرّت بالمطبخ الأبيض الصغير واتجهت نحو الباب
الزجاجي.. هل رأت انعكاسا على الزجاج؟ سمعت صوتا مفاجئا
من خلفها فجفلت واستدارت في فزع لتجد وليد واقفا وراءها ويداه
مخبأتان خلف ظهره وفي عينيه لمعة إثارة غريبة!

هي

9:00 - صباح الأربعاء

وقف الدكتور علاء فهمي الطيب الشرعي يتأمل الجثمان المسجى أمامه على طاولة التشريح الحديدية الصلدة. لم يعد يتزعج من رائحة الفورمالين النفاذة ولا برودة المكان المبالغ فيها بل على العكس.. أضحى هذا مكانه الذي ينتمي إليه.

والصمت.. الصمت الذي يلفه إلا من هدير مراوح التبريد الخافت الرتيب هو ما يريح أعصابه ويحتوي أفكاره وتساؤلاته الصاخبة عن نفسه وعن الحياة.

رفع الغطاء عن وجهها..

امرأة في أواخر الأربعينيات، يغطي رأسها حجاب قطني خفيف، وجزء من الحجاب لا يزال ملتفا حول عنقها، وإن بدا مفكوكا قليلا عند الأطراف. وعلى الرغم من اسمها الثلاثي وسننها والمعلومات الأولية الملبونة عنها أمامه غني تقرير النيابة فإنها مجهولة بالنسبة له،

فهل لا يعرفها ولا يعرف عنها شيئاً يُذكر، ومع ذلك منوط به إخبار أحبائها كيف ماتت ولماذا!!

المهمة التي استقبلها حينما بدأ في ممارسة مهنته منذ ثلاث عشرة سنة، والتي بات يعتبرها الآن أنبل مهمة، أن يمنح أقارب الضحايا المكالمين إجابة.. ونقطة نهاية.

أزاح الغطاء عن باقي جسدها، الشق في معصمها اليسر كان أول ما جذب انتباهه، جرح قطعي عميق، نظيف وواضح. الشريانان الرئيسيان: الكعبري والزنددي، كلاهما مقطوع. النزف كان غزيراً في مسرح الجريمة، ما يدل على أن القلب كان لا يزال نابضاً عند حدوث الجرح. الشكل الظاهري يرجح فرضية الانتحار المذكورة في تقرير النيابة. برغم أن حالات الانتحار بقطع الرسغ يصفها الطب عادة بمحاولة «غير عالية الإماتة» مقارنة بوسائل أخرى مثل القفز من أعلى أو استخدام السلاح، إذ إنها نادراً ما تؤدي إلى الموت بسبب العمق النسبي للشريانين الرئيسيين في الرسغ وسطحية الجروح التي يحدثها المرء لنفسه. إلا أن القطع الذي يراه أمامه عميق بحق، وكفيل بإنهاء حياتها مع كم الدماء الذي فقدته وتأخر اكتشاف الجثمان. ولكن..

لماذا يشعر بعدم الراحة؟

هواء المشرحة أثقل من العادة..

هل تحاول روح الضحية إخباره بشيء ما؟

بي ال .!

بي ال خي ال

رأيت

بي ال خي ال .!

رأيت ال خي بي

ح

رأيت ال خي بي ال

رأيت ال خي بي ال .!

رأيت ال خي بي ال

القتل

تساءلت فدوى في فزع عما يخبئه وليد وراء ظهره فقماجاها بحركة
سريعة ونزل على ركبته وفتح أمامها علبة من المخمل الأزرق الداكن
لتبرق في عينيها ألف ماسة!

أمامها قبع طاقم سجوهرات مكون من عقد وخاتم وزوج من
الأقراط مرصع بالماس يخلب الألباب.

- هدية زواجنا يا فدوى.



تأبطت فدوى ذراع وليد في سعادة وهما يصعدان سلالم الطائرة.
جلست بجواره وقد تجاوزت الساعة العاشرة مساء بقليل. أخرج من
جيبه هاتفيهما، مد لها هاتفها ففتحته في لهفة، وفتح هو هاتفه في بطم
وثودة.

رنت النغمة المميزة لتشغيل هاتف فدوى فانتظرت في صبر نافد أن
يقوم نظام التشغيل لكي تتصل على فهد فانهمر سيل من الرسائل ولم
ينقطع رنين التنبيهات حتى رمقها الجالسون من حولها في انزعاج.

استغربت.. صحيح أنها أغلقت هاتفها لثلاثة أيام، ولكن ذلك لا يبرر
سيل الرسائل المبالغ فيه. لم تكذ تمر ثوان معدودة حتى حدث المثل
مع هاتف وليد، ظهرت له الرسائل دفعة واحدة فبدأ يفتحها ثم تراجع
فجأة في مقعد الطائرة!

«البقاء لله يا وليد.. مَني ماتت».

اتسعت عيناه.. قرأ الرسالة مرة أخرى، ثم أخرى. مكالمات فائتة
من ابنه وابنته، من أخته وأخت زوجته، من كمال شريكه ومن حاتم
صديقه ومن الدكتور موسى جاره القديم.

الفتت إلى فدوى.. حاول أن ينطق ولكن صوته خانه..

- مَني..

نظرت إليه فدوى في هلع، فأكمل:

- انتحرت!

ارتجفت يده وهو يعيد قراءة الرسائل، وبدأ صدره يعلو ويهبط..

- كانت مريضة.. بالسرطان.. ولم تخبرني.

لم تجبه فدوى، كانت عينها متسمرتين على شاشة هاتفها بدورها
غارقة في مصيبتها الخاصة!



تحقيق أولي

مسح المقدم منصور المصري وجهه بكفيه محاولا تبديد آثار النوم
ثم أخبر السيدة الجالسة أمامه بنبرة تقريرية:

- أستاذة أميرة.. الانتحار هو الاحتمال الأرجح.

قالت أميرة بصوت أخف بسبب البكاء:

- مَنى كانت مؤمنة بالله.

لكم يكره تبريرات أهالي المتحررين التي تؤكد انفصالهم عن واقع
ذويهم. قال:

- رأيت رسغها المقطوع بنفسك!

أغمضت عينيها فقفز إلى مخيلتها على الفور المشهد الذي
جأهت لحذفه. سألت نفسها للمرة الألف إن كان يمكن لها إنقاذ
حياة أختها لو اكتشفت ما حدث مبكرا؟

«لو» تفتح للشيطان ألف باب، وهي لم تكن تعلم أن صباح الاثنين
ذاك سيكون آخر ما يجمعها بصوت أختها، كانت كالعادة قد أجرت

معها مكالمة «فيديو» قصيرة قبل خروجها من المنزل. شعرت بأختها متعبة وهي تخبرها برتبة أن اليوم هو موعد جلسة الكيماوي. عرضت عليها أميرة أن ترافقها ولكنها رفضت بإصرار وهي تضع ورشاحها الوردي على كتفها قائلة:

- كفى يا أميرة، عليك الاهتمام بزوجك وعملك.

وافقتها وتركها تذهب وحدها.. لم تكن تعلم أن تلك المكالمة ستكون الوداع الأخير!

وحينما تأخرت منى عن الرد على رسائل «الواتساب» لم يساور أميرة القلق فقد اعتادت على فترات الصمت التي تعقب كل جلسة علاج، تعرف كم تستهلكها تلك الساعات: الإرهاق، الدوار، والغثيان اللعين. ولكن صباح الثلاثاء جاء دون رد... دون أي خبر! حينها دب الخوف في قلبها وأدركت وجود خطب ما.

لم تتردد، جمعت حقيبتها واستقلت القطار من المنصورة إلى القاهرة. وما إن وصلت حتى ألقت بنفسها في سيارة أجرة، بالكاد تلفظت باسم الحي «مدينة نصر». وعند البناية، ترجلت مسرعة، تتخط بجسدها في جموع الطلبة الخارجين من مركز الدروس الخصوصية. لم تنتظر المصعد بل تسلقت سلالم الأدوار الثلاثة ركضاً حتى وصلت إلى باب شقة منى.

طرقت الباب بقوة.. فلم تجد رداً. نادتها بصوت جهّج ولا

مجيب.

مدت أصابعها المرتعشة إلى جيب حقيبتها الداخلي تستخرج
المفتاح الاحتياطي الذي سلّمتها إياه أختها ذات يوم قائلة باقتضاب:
«الطوارئ». أدارت المفتاح فانفتح الباب بصرير خافت. تقدّمت..
خطوتان فقط، ثم تجمّدت..

الرائحة المقبضة أولاً.. ثم رأتها.

مُنَى.. ممددة على أرضية المطبخ المفتوح على الصالة. جسدها
ساكن، تحيط به بركة من الدماء المتخثرة يعفّ عليها الذباب ونصل
السكين الذي قبضت عليه يمينها يلمع تحت ضوء النيون البارد،
ورائحة شياط خفيفة تعبق بالمكان.

تقدّمت أميرة في هلع ونظرت في عيني أختها: فارغتان.. ساكتتان
إلى الأبد.

صرخت.

ارتجفت يدها وهي تتصل بالإسعاف. لا تعرف كيف لفظت
العنوان، أو كيف ظلت واقفة حتى وصلوا. وحين دخل المسعفون،
لم يحتاج أحدهم إلا لنظرة سريعة التفت بعدها إلى زميله وأومأ له،
فرفع الهاتف واتصل بالنجدة.

في لحظات، امتلأت شقة أختها بأقدام غريبة، بأيدي ترفع الكاميرات،
بعيون باردة تفحص وتدوّن. يتحركون بجرأة وأريحية وقد ارتدوا فوق
أحذيتهم أغشية بلاستيكية زرقاء خفيفة أصدرت صوتاً من الخشخشة
كلما تحركوا..

لم يلتفت إليها أحد، كأنها لم تكن هناك، سوى رجل واحد تقدّم
منها ببطء وعرفها بنفسه:

- أنا المقدم منصور المصري.. البقاء لله.

ترنّحت وكادت تسقط لولا أن أمسك بها المحقق وأجلسها ثم قدّم
إليها كوباً من الماء. تعرفت على الكوب الكريستالي الثمين من ماركة
«شيفيلد»، قطعة من جهاز أختها، لا بد أن الضابط أخذه من «النيش»،
آه لو عرفت منى..

منى!

انفجرت باكية مجدداً، تركها الضابط حتى هدأت، ثم سألها بضعة
أسئلة مقتضبة. لم تتذكر كيف أجابتها، أو ماذا قالت، كل ما تتذكره أنها
جلست هناك، تراقبهم وهم يصوّرون، ويفتشون، ويدقّون.

غرياء انتهكوا كل زاوية في بيت أختها، كل قطعة أثاث، كل ورقة
وكل درج. أختها التي كانت تكره التصوير وتخاف من العيون، تُعرى
الآن أمام عدسات لا تعرف الرحمة.

- أستاذة أميرة!

أعادها نداء المحقق إلى اللحظة الراهنة في غرفة التحقيق فرفعت
رأسها إليه..

- لقد رأيت مثلنا الجرح في معصم أختك. ما سبب انتحارها في
رأبك؟

نشقت في منديلها قبل أن تجيبه:

- تعرّضت مُنى رحمها الله لضغوط كثيرة في الفترة الأخيرة.

- قلت شيئاً عن جلسات كيماوي؟

- مُنى مريضة سرطان. أعني كانت...

غُصّت بالكلمة الأخيرة فصمتت للحظة تمالك فيها نفسها،
انتظرها المحقق على مضض حتى أكملت بنبرة أكثر وضوحاً:

- مُنى كانت مريضة سرطان. سرطان ثدي ولكنها اكتشفته متأخراً
بعد أن انتشر في جسدها. كانت تتألم بشكل يفوق قدرة البشر على
التحمل.

- وهذا ما جعلها تتحر؟

- قلت لك مستحيل أن تنهي مُنى حياتها. كانت مؤمنة.

زفر منصور بنفاد صبر متسائلاً:

- هل لديك تفسير آخر لما رأيناها؟

تاھت عينا أميرة في المحيط من حولها..

- لستُ أدري. أعترف أن مُنى كانت تعيسة في الفترة الأخيرة.

- بسبب مرضها؟

- بسبب زوجها.

نظر منصور في الأوراق أمامه..

- المهندس وليد طه المحمدي؟

- نعم هو.. منه لله.

نشقت ثانية ويحث عن منديل جديد فقرب المحقق لها علبة
المناديل فأخذت واحدا وأردفت:

- عاشت معه تيسة، ثم بعد ربع قرن من الزواج قرر أن يتزوج
عليها، وممن؟ من غريمته التي قهرتها سيرتها طوال حياتها الزوجية.
- هذا ما جعلها تتبحر؟

رفعت أميرة عينيها إلى السماء في يأس ثم أخذت نفسا طويلا قبل
أن تكرر:

- لم تتبحر. أختي لم تتبحر.

لم يرغب منصور في مجادلته فقال:

- الأمر بين يدي الطبيب الشرعي وفريق البحث الجنائي. هم من
سيبتون في مسألة الانتحار من عدمها.

أومات برأسها في استسلام.

- متى رأيت أختك لآخر مرة؟

- أول أمس من خلال «فيديو كول» فأنا أعيش في مدينة المنصورة
ونتواصل يوميا في الصباح. اتصلت بي قبل أن تخرج مباشرة وأخبرتني
أن لديها جلسة كيماوي.

- هل تذهب بمفردها؟

- في البداية كنتُ أذهب معها ولكنها مؤخراً أشفقت عليّ من السفر والمجهود فأصبحت تصر على الذهاب بمفردها.

- هل يمكن أن يكون إصرارها على الرفض لرغبتها في الانفراد بنفسها؟ هل كانت تخطط للانتحار؟

تفكرت أميرة في كلام المحقق غير أن قلبها لم يطاوعها أن تصدق أن منى انتحرت فهزت رأسها يمينا ويسارا، سألتها:

- هل لديها أولاد؟

- جنى متروجة في الكويت، وإياد يدرس في ألمانيا.

- أنت أختها الوحيدة؟

- من الأم، نعم. لدينا إخوة من الأب ولكننا لا نعرفهم.

- وماذا عن زوجها؟

ترددت أميرة قبل أن تقول:

- في الحقيقة هو لم يكن يعرف بمرضها.

- لماذا؟

بدأ صوت أميرة يعلو وهي تقول في غضب:

- قلت لها يجب أن يعرف. إن لم يتحملك في مرضك فمن

سيفعل؟ ولكنها رفضت تماما أن يعرف أحد بمرضها حتى أولادها.

أرادت أن تكون خفيفة على الجميع في أواخر أيامها.

- غريبة.

هدأت فورتها كما بدأت وأردفت في خفوت وأسى:

- أظنها خافت من رد فعلهم إذا ما عرفوا. أن يبقى كل منهم في مكانه ولا يمنحونها سوى الأعذار. فضلت أن تصدق أن الاختيار بيدها وأنها هي من تشفق عليهم من المعرفة، بدلا من أن تخبرهم ثم لا تجدهم بجوارها فتجزع مرارة الخذلان مع مرارة المرض والكيمائي.

أوما منصور برأسه متفهما، سألته:

- متى ستتسلم الجثمان للدفن؟

- سأتصل بك حينما يتهون من الفحص.

- هل.. هل سيقومون بتشريحه؟

- إذا لم يجدوا شبهة جنائية فربما لا يضطرون لذلك.



راقب منصور أخت المتوفاة تخرج من الغرفة وتغلق الباب خلفها وفكر: لكم يكره قضايا الانتحار!

يجتمع على ذوي المستحضر ألم الفقد مع عذاب الضمير، يسألون أنفسهم ألف مرة إن كان بإمكانهم إنقاذه، يلومون أنفسهم ويقولون ربما لو كنت هاتفته لكان بخير، لو كنت لاحظت حزنه ولازمته لكان بخير.. ولا يخفت بداخلهم ذلك الصوت أبدا.

أما بالنسبة له كضابط مباحث فقضايا الانتحار تستهلك وقته وجهده دون طائل. فلا هو يوقف مجرماً ولا يأتي بحق ضائع ولا يزوج بجانٍ خلف القضبان. والانتحار عادة يبدؤوا وضحا وضوح الشمس في مسرح الجريمة فلا يحتاج لتحقيقات ولا استجوابات. لماذا عليه أن يأبه بشخصه؟ قرر إنهاء حياته فتكون النتيجة أن يتورط هو في الاجتماع به برؤسائه وهم يقسمون أنه كان مؤمناً ولا يمكن أن يقدم على الانتحار!

تبع بعينه ذبابة صغيرة انقلبت على ظهرها على سطح طاولة مكتبه ترفس الهواء بقدميها الرفيعتين محاولة الاعتدال، دفعها بطرف قلمه فاعتدلت وطارت فابتسم، على الأقل أنقذ حياة ذبابة اليوم!

مرّت نادين بخاطره.

لكم يفتقدها..

هل سيراها غداً؟

واظبت على الظهور أمام غرفة مكتبه كل خميس. يأتي في الصباح ليجدها ترمقه بتساؤل يخفي خلفه اللوم والحسرة، يجيبها بنظرة قلة حيلة فتفهم الرسالة، وترحل. ويبقى هو فريسة لجلد الذات على فشله في منحها نهاية تليق بألمها. العجز شعور مريع يأكله من الداخل كصدأ متعجل يتغذى على لوح رقيق من الحديد المبتل، لا يملك حيله سوى محاولات فاشلة تزيد عجزاً وغضباً. ثم تظهر نادين يوم الخميس الماضي، زمل يشست أخيراً بعد سنتين من المعافاة؟ وإن يشست هي، فمتى يئأس هو من الطرق على باب قلبها؟

لقد رُس فيها إنسانية ولطفاً لم يجدهما في غيرها من بعد انفصال
المؤلم عن هند منذ عدة سنوات، وبعد أن ظن أن قلبه قد أوصد إلى
الأبد، وجد وجه نادين الحريمي الهادي وعينيها الكحيلتين وشعره
الكثيف المجعد يزورون خياله كل ليلة دون استئذان.

وهكذا أصبح لا يفوت يوماً دونما العمل على قضيتها على أمل
ضبط الجانيين اللذين يتلاعبان به ويتسربان كالزئبق من بين أصابعه
مستندين على نفوذهما وعلاقاتهما لكون أحدهما نجل لواء الشرطة
والآخر عضو مجلس النواب.

تبا للفساد الذي يحرم قلبه من قضاء لحظات هائلة مع من أحب.

الفضيحة

دخل وليد ورمى بجسده على أقرب مقعد.. اقترب منه والده بخطوات ضعيفة وتفرّس في وجهه ثم سأله بتبرة مرتعشة:

- من أنت؟ وكيف دخلت إلى هنا؟

أسرعت رويانا إليهما فربتت على كتف والدها وقادته إلى كرسيه الهزاز بجوار النافذة قائلة:

- إنه وليد يا بابا.

- وليدا وليد من؟

- العريس..

قالتها رويانا بسخرية صدمت وليد فهتف:

- ماذا تقولين؟ أهذا وقته؟

فتحت رويانا هاتفها وقربت من وجه وليد وهي تقول بضحكة

صغيرة:

- هل رأيت صورك؟ لقطات ممتازة من حيث الكادر والإضاءة، وخاصة صورة قبلك على يد فدوى.. لقد تركت لك منى بصمة لا تنسى قبل أن ترحل.

أزاح يدها من أمامه وتقلص وجهه وهو يسألها:

- هل كنت تعلمين أنها مريضة بالسرطان؟ وفي مرحلة متأخرة؟
- أفق لنفسك يا وليد.. منى لم تكن ضحية، لقد دمرت سمعتك وسمعة حياتك ببضعة منشورات. منى لم تكن ملاكا، بل شيطان رجيم.
قالتها بنبرة كالفحيح جعلت وليد ينظر إليها في عدم تصديق فأردفت:

- لا تحزن عليها هكذا.. منى لم تكن تستحق. صدقني.. كنا نعيش جميعا مسرحية هزلية، والحمد لله أنها انتهت.

همس وليد بصوت مختنق:

- لا أصدق أن منى فعلت ما فعلت.

اقتربت منه رويانا ببطء، ورمقته بعينين زجاجيتين وهي تقول:

- كنت تبحث عن بداية جديدة مع فدوى؟ ها هي منى قد تركت لك النهاية المناسبة. اليوم الجميع يرونك خائنا؛ تركت زوجتك المريضة تموت وذهبت «تسرمح» مع امرأة متزوجة. منى كسبت الجولة الأخيرة، وأنت؟ وفدوى؟ خسرتما كل شيء.

- وأنت؟ سعيدة؟

كبت روبانا ابتسامتها قائلة:

- لستُ سعيدة، أنا فقط مستشارة من المشهد السينمائي الذي كتبت
مُنى السيناريو الخاص به بجدارة.

قالتها ثم قامت ولقت حول مائدة الصالون الرخامية المنخفضة ثم
عادت فتكورت على نفسها على كرسي أبعاد وقالت بلمعة في عينيها
وهي تقرض ظفرها:

- ربما كان كل ما حدث خطئي.

عقد وليد حاجبيه غير فاهم ثم أدرك مقصدها فهتف في غضب:

- أنتِ من أخبرتِ مُنى بأمر زواجي من فدوى. لذلك اتصلت بي
وتشاجرت معي..

افترت شفتها عن ابتسامة متلعبة.

- لماذا يا روبانا؟

أجابته بنبرة ناعمة:

- ألم توافق مُنى على زواجك الثاني؟ لا أفهم ما الفرق بين فدوى
وبغيرها؟

قال في غضب:

- تعرفين الفرق جيدا يا روبانا.. ويا للمفارقة فأنتِ من صنعتِه منذ
البداية حينما أخبرتِ مُنى مرة تلو الأخرى عن حبي لفدوى وغرامي بها.

- قلت لك إنها أفعى لا تتزوجها.. ولكنك لم تستمع إليّ.

- أنا لا أستطيع فهم ما حدث حتى الآن. الصدمة العصبية التي أصيبت بها فدوى في الطائرة حينما رأت المنشورات جعلتني أفقد اتزانى. لم أستطع تركها في المستشفى حتى أتى أهلها، وطبعاً كادت نظراتهم تقتلني فاضطرت للانسحاب.

- ألم تتصل بك أميرة؟

- اتصلت بي أكثر من مرة ولكنني لم أرد. فضلت أن أفهم منك ما حدث قبل مواجهتها.

- والمحقق؟

- محقق!

- ألم يتصل بك؟ سيفعل. إنهم يحققون في موت منى.

- لماذا؟

- لا أعرف، أميرة هي من أخبرتني حينما اتصلت بي تبحث عنك. اعتقد أن منى خافت من رد فعلك بعد فعلتها فأثرت الانسحاب وعدم المواجهة كمعادتها. ولكن هذه المرة بالغت قليلاً في اختيار الوسيلة..

- الموت!

لمعت عيناها.. يعرف وليد مدى كراهية روبانا لمنى فقد حملتها ذنب كل شيء لم تحطل عليه في الحياة بسبب ذلك الحادث اللعين،

.....
تلك الكراهية التي لم تزدها الأعوام الفاتئة سوى تأجيج على عكس ما
ظن حينها. توهم أن الزمن كفيل برأب الجراح.

- لقد أصبحتا النسخة المصرية من سلسلة «عن العهر
أتحدث».

- ماذا؟

- عن العهر أتحدث.. فدوى بنت فؤاد.

أرفقت قولها بفتح هاتفها على صفحة أحد مواقع التواصل
الاجتماعي. شاهد وليد صورة له وهو يرفع عن عين فدوى خصلة
شعر ذهبية وينظر في عينيها بوله. قرأ النص المصاحب:

«عن العهر أتحدث.. فدوى بنت فؤاد، متزوجة وأم لشابين في
مقبل العمر.. مع عشيقها في الإسكندرية».

احمرّ وجه وليد من الغضب ونفرت عروقه وكاد يرمي الهاتف من
يد أخته ولكنها أبعدته عنه قائلة:

- أنت لم تر البقية.

فتحت له منشورات أخرى. صور مختلفة لفدوى، وولديها،
وزوجها السابق في أماكن مختلفة ومكتوب عليها «العائلة الكريمة
لفدوى بنت فؤاد.. عن العهر أتحدث».

- اللعنة! فدوى أخبرتني أنها لم تعلن طلاقها بعد، لذلك يبدو
الأمرو وكأنها تخون زوجها معي.

- لعبتها بذكاء..

- من؟

- منى.. المرحومة منى.

- لا أصدق أن تفعل منى ذلك، إنها حتى لا تجيد استخدام وسائل

التواصل الاجتماعي.

- لم تنشر الصور من حسابها الشخصي بالطبع، ولكن حينما

ظهرت أولى الصور جُن جنون داليا وحاولت الاتصال بفدوى أو

بك ولكنها لم تفلح. فدفعت لأحد خبراء الاختراق ليتبع الحساب

فتوصل في النهاية إلى أن منى هي المحرصة.

- ربما أخطأ!

قالها مرتابا.

- لم يخطئ.. داليا اتصلت بي وأخذت رقم منى واتصلت بها..

فأخبرتها منى بكل برود أنها لن تتوقف عن النشر حتى تعتذر لها فدوى

وتعهد بالابتعاد عنك، وطبعاً لم يستطع أحد الوصول إليكما.

نفرت عروق جبهة وليد ثم بدا وكأنه انتبه لشيء ما فسألها:

- ولكن ما علاقة داليا بالموضوع؟

- منى وضعت صوراً للداليا أيضاً، اختارت لها صورة وهي تقف

أمام مبنى وزارة الخارجية وكتبت عليها عبارات مسيئة، وأنت تعلم

حساسية منصب داليا، كانت على وشك الترقية المسكينة.

- مُنى فعلت ذلك كله ثم ماتت!

- بل انتحرت.. مُنى ماتت متحرة.

قالت رويانا ثم انفجرت في ضحك صاخب مجنون.

انقبض وليد وتراجع مبتعدا عنها حتى انزوى في غرفته.

أخذ يذرعها ذهابا وإيابا.. الكثير من الأمور يشغل باله، انتحار منى وفضيحة فدوى وجنون رويانا، ولكن أهمها على الإطلاق كان: كيف سيحصل على الأوراق دون أن يثير الشبهات من حوله؟

لقد خسر الكثير بالفعل ولا يمكنه المغامرة بفضيحة جديدة تدمره إلى الأبد!



اعتدلت فدوى في فراشها بالمشفى واغرورقت عينها بالدموع وهي تقرأ التعليقات المسيئة على صورها مع وليد. تلك الصور التي تم التقاطها من زوايا خاصة بحيث تبدو أجراً بكثير من الواقع. لم تصدق مدى الحقد الكامن في نفوس الناس لينهشوا لحمها بهذه القسوة بناء على بضع صور دونما معرفة أي تفاصيل.

لقد أخطأت حينما لم تعلن انفصالها عن عمرو مبكراً، ولكنها أجلت الإعلان بناء على طلب فهد وفارس، تفهمت أملهما في أن يعودا هي وعمرو وتركتهما مفترضة أنهما سيتقبلان الأمر الواقع بالتدريج. لم تتوقع أبداً أن تأخذ الأمور هذا المنحى المشين. وللأسف فكما قالوا قديماً: «العيار اللي ما يصيبش، يدوش». كيف مستمكن من محو

هذه الصور من أذهان الناس؟ تبا لوليد، لو لهم يصرّ على غلق هاتفها المحمول لكانت علمت بما حدث منذ اللحظة الأولى وتداركه بأي ثمن.

استرقت النظر لوالدتها الجالسة بجوارها تضع كفها على وجتها في كمد، كان يمكن أن تصاب بنوبة قلبية لولا ستر الله. حمدت الله على الانهيار العصبي الذي أصابها هي والذي بالغت في أعراضه قليلا، ونُقلت على أثره إلى المشفى، فلولا هفتكت بها أسرتها.. ولكن إلى متى ستظل في مأمن من غضبهم؟

جادت تفكر في الفضيحة، أخبرتها أمها أن زوجة وليد هي من وراء المنشورات والصور. ولكن لماذا؟ ألم ترها في الفيديو تقول بلسانها إنها لا تمنع زواجه من أخرى؟ هل كان الفيديو مفبركا؟ وقع قلبها في قدميها، إنه التفسير الوحيد لانتقام منى الغاشم.

فكرت فدوى في نشر فيديو منى على حسابها لعله يخفف من أثر الصور، ولكن لا.. الناس لم ينهشوها لعلاقتها برجل متزوج بل لأنها في نظرهم متزوجة. الحل أن تنشر وثيقة طلاقها من عمرو وبها بالتاريخ الحقيقي لانفصالهما. يجب أن تفعل ذلك في أقرب فرصة. ولكن هل سيصدقون؟ أم سيقولون «فوتوشوب»؟

داهمتها فجأة حقيقة موت منى.. انزلت تلك المعلومة إلى مؤخرة عقلها حينما سمعتها من وليد وهي في خصم مصيتها الشخصية وتذكرتها الآن، هل زرعها عقلها اللا واعي بداخلها كي يجعلها تهذا؟

أم إنها ماتت حقاً؟ ما هذه الصدفة الغريبة؟ وكأنها تعيش أحداث
مسلسل درامي هابط تفتقر أحداثه لأبسط قواعد المنطق!

رن هاتفها باسم ماهيتاب، ردت متعبة فتفاجأت بصوت صديقتها
المتحمس:

- فدوى أين أنت؟ هل رأيت عدد متابعيك؟ لقد قفز إلى السماء!
أجابتها بإعياء:

- ألا تدرين ما حدث لي؟

- حدث لك أجمل ما يمكن أن يحدث لصانعة محتوى، حصلت
على ملايين المشاهدات وآلاف المتابعين في خلال أيام معدودة.
هتفت فدوى مستنكرة:

- لقد فضحت يا ماهي.

- عز الطلب. المنافسون لك يزيفون لأنفسهم مثل تلك الفضائح
وأنت أترك الفرصة على طبق من ذهب. سينسى الناس الفضيحة
وستبقى الأرقام إلى الأبد يا عزيزتي.
' - أنا في المشفى.

أخبرتها فدوى في كمد.

- رائع، صوري فيديو وأنتِ على فراش المرض والكانيو لا تتدلى
من ذراعك.. هكذا ستضربين عصفورين بحجر. تحافظين على

«الريتشر» وفي نفس الوقت تحصيلين على تعاطف المتابعين فيسرد
المفضيحة الأصلية.

أنهت فدوى المكالمة وقد شعرت بدوار شديد ولم تعد تكري ماذا
تفعل وأي طريق تسلك.



قتل رحيم

صباح الخميس..

ها هي نادين واقفة في مكانها المعتاد، ترتدي عقدها الفضي الكبير وتستند بظهرها إلى الحائط الداخلي للقسم بانتظار ظهوره. تبدو أكثر هزالاً، وفقد شعرها الجميل لمعته، هل كانت مريضة؟ ألك لم تأتِ الأسبوع الماضي؟ حتى حزنها سكنها بشكل مختلف، صار أهدأ.. وأكثر استحواداً.. كروح سوداء تلبستها.

اقترب منها، ستصده كالعادة.. يعلم ذلك، ولكنه يريد أن ينعم بلحظات قربها، أن يسمع صوتها الرخيم. سأله:

- ألم تصل إليهما بعد؟

- أحاول.

رفعت زاوية فمها اليمنى في شبه ابتسامة..

- لقد أعطيتك عنوان محل إقامتهما الجديد.

- قمنا بحملة مداومة، ولكنهما سبقانا وهربا قبل ظهورنا بدقائق.

- قلت لك لديك عيون في القسم يخبرونهما بكل خطوة.

لم يكن يجدر به أن يقترب منها ويتكلم معها، ها هو خائب الرجاء لا يجد ما يقوله. قالت هي بنبرة الروح الجافة التي تلبستها:

- هل تعلم ما يحدث حين تعجز الشرطة عن إنفاذ القانون؟

لم يجيبها فأردفت:

- يتحول الوطن إلى غابة، ويسعى كل مظلوم لأخذ حقه بيده.. ليس من الجناة فحسب، بل من كل من يراه مسئولاً عن تأخير العدالة!

علم منصور من تعني، فلولا تأخير صدور تقرير الطب الشرعي بنتيجة فحص المقتدوفات لربما تم القبض على الجناة في حينها. ولكن هذه طبيعة التحقيقات الجنائية، تأخذ وقتاً.. والأطباء الشرعيون والعاملون بمعامل الفحص الجنائي بالوزارة لديهم الكثير من القضايا.

رجلت نادين، راقبها منصور وهي تبتعد بسرعة وخصلات شعرها المجمعد تتوالب على كتفيها. دخل إلى غرفته وهو ينظر في ساعته ويزفر في نفاد صبر، لم يتصل به وكيل النيابة المختص بقضية المرأة المتحرة لم يخبره بنتيجة فحص الجثة. يريد إغلاق ملفها لكي يلتفت إلى القضايا المكلمة على مكتبه.

فرّ يديه سريعاً في المحاضر: سيدة تتهم خادمتها بسرقة إصورتها الذهبية، بائع «روبايكيا» بلغ عن سرقة عربته وشهم جاره، مشاجرة في

مفهي شهير بين شباب وسط كل منهم الشخصيات الهامة التي يعرفها حتى فسد الاتهام وترهلت أركانه.

قضايا تافهة ومكررة، مسألة إجراءات وتُغلق. يتوق لقضية حقيقية تشغل فكره وتتحدى خلايا مخه الرمادية وتلهيه عن حيرة قلبه.

رفع هاتفه وضغط على اسم الطبيب الشرعي، يعرف أن الأطباء الشرعيين لا يحبّون التواصل مع الشرطة مباشرة ويفضلون أن يتم ذلك من خلال وكيل النيابة وفق الإجراءات الرسمية، ولكنه يأمل أن تكون علاقته بدكتور علاء مختلفة، خاصة بعد قضية ياسين ابن نادين. رد الطبيب بعد أول رنة:

- منصور باشا، مرحبا.

- معذرة يا دكتور، هل من جديد بخصوص قضية منى مرزوق؟

- لم أنتهِ من فحص الجثة بعد.

- على الأقل أخبرني عن مشاهداتك.

- هناك الجرح القطعي بالرسغ كما تعلم..

- عَقِب منصور محاولا حسم الأمر:

- وهذا يرجح فرضية الانتحار، أليس كذلك؟

- صحيح، ولكن...

- ماذا؟

- ليس من المعتاد أن يقوم المرء بالانتحار في منتصف روتين مثل الطهي أو الغسيل، وكما تعلم فقد وجدنا أثناء فحصنا لمسرح الجريمة خبزا على طاولة المطبخ ويضا مسلوقا محترقا في إناء على الموقد.
عادت إلى منصور رائحة الشياط الخفيفة التي اشتمها عند دخوله الشقة..

- هذا ليس دليلا، ربما سمعت خبرا ما أثر عليها فانتحرت.

- ربما، ولكن هناك الجرح أيضا.

قاطع منصور قائلا:

- لا تخبرني أن الجرح في ذات اليد التي تستعملها.

- لا لا.. المجنبي عليها تستخدم يدها اليمنى والجرح في الرسغ الأيسر. ولكن من الطبيعي أن يبدأ جرح الانتحار من الطرف الخارجي للرسغ وينتهي عند الطرف الداخلي.

- وفي حالتنا؟

- عمق الجرح وزاويته تشيان بأن الجرح حدث بالعكس، من الداخل إلى الخارج.

فقدت نبرة منصور الإلحاح ونيفاد الصبر وحل محلها الاهتمام..

أي؟

- أشك في أن شخصا آخر غير المجنبي عليها هو الذي شق معصمها.

تسارعت دقات قلب منصور وهو يسأل:

- جريمة قتل؟

- الأمر لا يزال محيرا بالنسبة لي.. فلا توجد آثار للمقاومة، لا خدوش على اليد أو الساعة ولا قطع في الملابس، لا شيء.. وذلك دفعني للتفكير في تفسير غريب.

- كلي آذان صاغية.

تردد الطبيب قبل أن يقول:

- هل سمعت عن القتل الرحيم؟

- ماذا؟

- فكر معي، إذا قام شخص ما بقطع راسها لماذا لم تقاوم؟ القتل الرحيم سيكون تفسيراً محتملاً.

- ماذا لو كانت مخطرة؟ إذا كانت جريمة قتل، وقد خدّرها القاتل قبل الجريمة فلن تكون هناك آثار مقاومة.

- هذا احتمال قائم، سنقوم بعمل فحص شامل للسموم قبل البت في الأمر.

- ما الذي جعلك تفكر في القتل الرحيم إذن؟

- مريضة سرطان في مراحلها الأخيرة، نحن نتكلم عن آلام لا يحتملها بشر. فكّر في أنها ربما اتفقت مع شخص ما لينهي آلامها ويقتلها.

- شخصاً ومن يكون ذلك الشخص؟

- هذه مهمتكم أنتم. علما بأن ما أخبرتك به ليس تصريحاً رسمياً بأي شكل من الأشكال، للأسف لم أكمل فحص الجثمان أمس بسبب استدعائي لموقع الحادث الذي وقع على الطريق الدائري، بالتأكيد سمعت عنه. لذلك يظل الانتحار هو الاحتمال الأرجح حتى أنتهي من فحص الجثمان وأرفع تقريرى النهائي للنيابة.

أنهى منصور المكالمة وهو يشعر بدفقة أدرينالين لا بأس بها. بالرغم من أنه من المبكر القطع بالأمر قرر استكشاف فرضية القتل الرحيم. لن يخسر شيئاً ببعض الحركة، فليقذف حجراً في المياه الراكدة ويبدأ في استجواب المقرين منها حتى يصله التقرير.

فتح ملف القضية وقرأ أسماء من لهم صلة بالمجنى عليها ثم وضع إصبعه على أحد الأسماء وتمتم:

- سأبدأ به.

استمع وليد إلى ما قالته أخت زوجته الراحلة مدهوشاً.. لم يستطع تصديق أن منى كانت مريضة سرطان في حالة متأخرة وتتلقى جلسات كيماوي دون أن تخبره.

- ولماذا تخبرك؟ كنت بعيداً عنها لسنوات.. مسافراً ما بين فروع شركتك في الكويت والإسكندرية، وحتى إقامتك في القاهرة كانت في بيت والدك.

أطرق وليد برأسه قائلاً في خفوت:

- إنه مريض الزهايمر كما تعرفين.

- لا داعي للمراوغة. أنت لم تكن تأبه بمُنى.

لم يجادلها وليد.

- لماذا لم تخبر جنى أو إِيَاد بمرضها؟

- جنى لا تزال في فترة النفاس ومسئولة عن رضيعه عمرها بضعة أسابيع وتعيش في بلد آخر، ماذا عساها أن تفعل لها؟ وإِيَاد مشغول في دراسته وقلما كانت تسمع صوته.

- ولكن هل يجعلها ذلك تفعل ما فعلت ثم تتحرق؟

هتفت أميرة في غضب:

- مُنى لم تتحرق. ولم تكن لتعارض زيجتك من أي امرأة أخرى، إلا تلك المرأة.. أنت تعلم جيدا أن فدوى تلك ظلت طوال أربع وعشرين عاما شبيحا يقف بينكما ويحول دون علاقة زوجية سوية.

- ليس صحيحا.

- بل صحيح. ورويانا أختك أكدت ذلك أكثر من مرة، بل في كل مرة التقت فيها بمُنى.

- رويانا قالت ذلك كي تكيدها انتقاما منها. أنت تعرفين.

- بسبب الحادث الذي مرّ عليه أكثر من عشرين سنة، ولم يكن متعمدا؟ كلام لا يصدقه عاقل. أختك مريضة نفسيا وبدلا من أن تتلقى العلاج المناسب أطلقت سمومها على أختي وأحالت حياتها إلى جحيم.

لم يدافع وليد عن أخته، أراد أن يسأل أميرة عن الأوراق ولكنها
فاجأته بقولها:

- لقد قتلتما أختي.

- ماذا تقولين؟

- مُنى لم تتحرر.. أحذكما قتلها، إما أنت وإما هي. وأنا لن أسكت
حتى يأخذ القاتل منكما عقابه.

أراد وليد أن يخرسها ولكن رنين هاتفه سبقه.

- أنا المقدم منصور المصري ضابط المباحث المسئول عن التحقيق
في موت زوجتك. أرجو أن تشرفني اليوم في الساعة مساءً.
بُهِت وليد وتسمرت يده الممسكة بالهاتف في الهواء.



جلس وليد أمام المحقق رابط الجأش بينما كلمات أميرة تتردد في
مخيلته راسمة أسوأ السيناريوهات. تفاجأ بسؤال المحقق:

- هل تعرف كيف ماتت زوجتك؟

- انتحرت؟

- أختها تصرّ على أن انتحارها مسألة مستبعدة.

احتار وليد.. كيف يخبر المحقق أنه لم يعد يعرف زوجته بعد
سنوات الجفاء وضعف التواصل. بعد ما حدث أدرك أن مُنى تحولت
إلى امرأة أخرى لا يعرفها.

- مُنى امرأة مؤمنة ومتدينة. ولكن مسألة مرضها والآلام التي تصاحبه.. آآ تفتح بابا للشك.

- أين كنت حين ماتت؟

- كنتُ في الإسكندرية أتابع فرع الشركة هناك.

- حاولنا الاتصال بك فور اكتشاف الجثة ولكن هاتفك كان مغلقا.

- ربما كنت في موقع ضعيف الإرسال.

- يوم الثلاثاء في الثالثة عصرا تقريبا.

عرف وليد جيدا أنه كان يتناول الغداء مع فدوى على شاطئ البحر في ذلك الوقت ولكنه اصطنع أمارات التذكّر. قفز إلى ذهنه الرجل الذي قالت فدوى أنه يقوم بمراقبتهما، لا ريب أنها كانت على حق وأنه من قام بتصويرهما. هل كان تابعا للشرطة؟ بالطبع لا.. إنه من سرّب لمنى الصور التي استخدمتها في المنشورات المسيئة.

- مهندس وليد..

نبهه المحقق.

- آآ الثلاثاء في الثالثة عصرا كنت في غداء عمل مع أحد العملاء.

- هل يمكنك ترك بياناته؟

- ما الذي يجري؟

- مجرد إجراءات روتينية.

- هل أميرة على حق؟ موت منى ليس انتحارا؟

- من المبكر الجزم بأي شيء، ولكن...

قطع منصور عبارته ليراقب القلق البادي على ملامح وليد ثم أردف:

- ولكننا نبحث في فرضية القتل الرحيم.

- ماذا؟

- لدينا بعض الدلائل التي تشير لهذا الاحتمال. هل يمكن أن تقتل

زوجتك لكي تريحها؟

- بالطبع لا.

هتف وليد، ثم اعترف:

- أنا لم أكن أعرف بمرضها حتى أمس، يمكنكم التأكد من أميرة.

- زوجتك مريضة سرطان في مراحلها الأخيرة وأنت لا تعرف؟

- الأمر معقد. بعد سفر الأولاد، كنا نعيش شبه منفصلين.

- إذن لماذا شغرت بك وب...

نظر في الورقة أمامه ثم أكمل:

- وبالمدة فدوى فؤاد، إن كان الاتصال متفقاً عليه؟

امتقع وجه وليد فابتسم منصور قائلاً بنبرة ذات مغزى:

- مدام فدوى هي العميل الذي تناولت معه الغداء يوم الثلاثاء أليس

كذلك؟

ازدرد وليد ريقه وأوما برأسه فأردف منصور:

- أرجو أن تكون صريحا معي يا بشمهندس وليد فمصلحتنا واحدة.

حدق وليد في منصور متسائلا.

- القبض على من فعل ذلك بزوجتك.

- آه بالطبع.

- إذا ثبت أن زوجتك قُتلت بموافقتها، أو ما نسميه بالموت الرحيم،

من سيخطر على بالك؟

- أميرة أختها.

- أو ربما صديقة؟

- لم يكن لُمْنى أصدقاء، زملاء فقط.

- أريد أسماءهم.

تنحى وليد قائلا في حرج:

- من الأفضل أن تسأل أميرة فأنا كما قلت لك...

أكمل منصور العبارة:

- لم تكن مقربا من زوجتك في السنوات الأخيرة.. حسنا. أرجو

ألا تغادر القاهرة في الفترة القادمة، ربما تحتاجك. وإذا تذكرت شيئا ذا

دلالة فلديك رقمي الخاص.

رفع وليد رأسه فأردف منصور بابتسامة:

- الذي هاتفك منه اليوم.



الهاوية

اتكأت فدوى على داليا أختها من جهة وعلى والدتها من الجهة الأخرى
وجرت قدميها الضعيفتين للخروج من باب المشفى. وجه داليا الجامد
والشرر المنبعث من نظراتها أنبأها بأن المواجهة قادمة بمجرد الانفراد
بها. أحزنها أن وليد لم يظهر ولم يتصل بها منذ أن أودعها المشفى. تعرف
أن موقفه مُحرج، ولكنه المستول عما آلت إليه الأمور، فالسفر والإقامة في
الإسكندرية وغلق الهاتف كآيت أفكاره، بل وعلاقتهم برمتها ولقاؤهما
الثاني كان بمبادرة منه فكيف يتخلى عنها الآن!

لم تنبس داليا ببنت شفة طوال طريق العودة إلى المنزل، وكذلك
لم تفعل والدتها، فقط أخذت ترمقها عبر مرآة السيارة بنظرات شفقة
لم تستطع فدوى تفسيرها فانتقبض قلبها وشعرت بنذير شؤم.

عبرت باب المنزل بأرجل مرتعشة لتجد أنوار الصالون موقدة..
وبالداخل جلس عيمرو عاقدا ذراعيه وآيات الغضب واضحة على
محياء، ويجواره جلست والدته مشدودة الظهر وكأنها متأهبة لشيء
ما، وعلى الأريكة المقابلة جلس فهد وفارس. حاولت التحرك باتجاه

غرفة النوم، ولكن قبضة داليا القوية جرّتها نحو الصالون. امتسلمت وجلست على مقعد في مواجهة الجميع. بدأ عمرو الكلام بنبرة حاول أن يجعلها متعقّلة:

- فدوى أنت لستِ زوجتي ولم تعد لي كلمة عليكِ ومن حقك الزواج ممن تريد.

بداية جيدة طمأنتها قليلا حتى استدرك قائلا:

- ولكن بالأصول. أما ما حدث فهو إساءة لنا جميعا، ولا تنسي أنك أنتِ من طلبتِ عدم إعلان انفصالنا.

نظرت إلى ولديها وأرادت أن تقول أنها فعلت ذلك من أجلهما، غير أن نظراتهما إليها جعلت الكلمات تتجمد على شفثيها. علا صوت عمرو وهو يردف:

- ثم ماذا؟ هل احترمتِ الاتفاق؟ هل حافظتِ على صورتنا أمام الناس؟ هل قم...

قاطعه بوهن:

- ولكن...

صرخ فيها: NoNo - Rey @

- بدون لكن.. هل رأيتِ صورتي المذبذبة بعبارة «الرجل النائم على أذنيه» ثم الصور التي تم استنساخها منها والقرون التي رُسمت

أعلى رأسي؟ هل تعلمين بماذا يتغامز زملائي في العمل؟ أنا في إجازة مفتوحة بسبب ما حدث، طلب مني رؤسائي ذلك صراحة حتى تهدأ الأمور. وبالطبع لا أحتاج لإخبارك بأنني فقدت منصب المدير الإقليمي إلى الأبد. المنصب الذي عملت من أجله بجد لسنوات. وأنت بكل صفاقة أغلقت هاتفك «لتسرحي» مع ذلك التافه وتلطخين سمعتنا جميعا بالوحل وتمنحيهم مزيدا من لقطات العشق يقتاتون عليها.
رن الألم في صوته بوضوح فحاولت والدتها التدخل ملطفة:

- عمرو يا بني...

قاطعتها داليا قائلة بنبرة جافة:

- ماما من فضلك.. كنتِ تعلمين عن علاقتها السرية بذلك المتبجح ولم تمنعيها، ولم تنبهينا كي نمنعها.
هتفت فدوى:

- داليا أنا لست قاصرا.

- ربما.. ولكن أفعالك قاصرة، بل ومدمّرة لنا جميعا. هل رأيت صورتي أمام مبنى الوزارة؟ لقد نقلتني مديرتي إلى عمل مكثي قائلة أنني لا يمكن أن أكون واجهة لأي فعاليات عامة بعد أن اقترنت صورتي بتلك الفضيحة. تقول إنه إجراء مؤقت ولكنني أعلم جيدا مصيري، سأشيخ على مكتب مئز ويكسوه التراب ولن يتذكر أحد أنني كنت موجودة حتى، بعد كل ما ضحيت به من أجل وظيفتي.

لفظت داليا عبارتها الأخيرة بنبرة تفيض بالمرارة أشعرت فدوى
بتأنيب ضمير عميق لما حدث، لم تجد ما تقوله فبدأت دموعها
تحتشد في عينيها. قامت من مكانها وحاولت احتضان داليا فدفعتها
بخشونة قائلة:

- كفي عن دموع التماسيح تلك فلن تغير شيئاً مما حدث.

اندفع صوت ضعيف:

- ولكن ما ذنب ماما؟

التفت الأنظار على وجه فارس في استكبار ووكزه فهد قائلاً
بفظافة:

- ماذا تعني؟ هل يرضيك ما حدث لنا في المدرسة؟

مسحت فدوى عينيها الدامعتين بكفيها وكررت في اندعاش:

- المدرسة؟

- نعم يا ماما المدرسة. ماذا كنتِ تظنين؟ صورونا بعنوان
«عن العهر أتحدث.. النسخة المصرية» كانت بزي المدرسة، واسمها
وشعارها كانا واضحين تماماً. تعليقات الطلاب في المدرسة أكثر
حقارة ويشاعة من زملاء بابا في العمل ومن مديرة خالتي داليا. أنا لن
أذهب لتلك المدرسة ثانية مهما حدث.. أنا لا أستطيع حتى النزول
إلى الشارع!

تهاوت فدوى على مقعدها تحاصرها نظرات الجالسين من حوله
ما بين الكراهية والغضب و.. الاحتقارا



انتهت جلسة الجلد أخيرا وما إن تمكنت فدوى من الاختلاء بنفسه
في غرفة النوم حتى وجدت داليا تلملم أغراضها قائلة في جفاء:

- سأنام في غرفة ماما حتى ترحلي من هنا.. عودي إلى عمرو أو
تزوجي وليد لا يهمني، المهم أن ترحلي سريعا.

لم تمالك فدوى نفسها فاتفجرت في البكاء، رمقتها داليا بنظرة
اشمئزاز طويلة قبل أن تخرج وتغلق الباب من خلفها.

دست فدوى وجهها في وسادتها وعشرات الأسئلة تبحثد في
رأسها، كيف انقلب حلمها الجميل إلى ذلك الكابوس؟ كيف تحولت
قصتها من قصة جنّيات خيالية لفضيحة طالت كل من يهملها أمرهم
ماذا فعلت لكي تستحق كل ما حدث؟ لم ترغب سوى في الحب
والزواج.. فلماذا ضنت عليها الحياة بذلك الحق البسيط؟

وماذا سيكون مصيرها الآن؟

اتصلت بوليد ولكنه لم يجب اتصالها، حاولت كالمجنونة
مرة تلو الأخرى حتى أغلق هاتفه. وبعد قليل وصلتها منه رسالة
مقتضبة:

«الأفضل أن نقلل التواصل بيننا هذه الأيام. هناك اشتباه بأن مَنى زوجتي قُتلت وأنا أريد تجنبك أي اتهامات محتملة. لا تتصلي بي ثانية. سأفعل أنا حينما تهدأ الأمور».

لم يبدأها بـ «حييتي» ولم ينهها بـ «أحبك»، هل فقدته هو الآخر؟
ثم اتسعت عيناها فجأة حينما فهمت فحوى الرسالة..

غريب في بيتي

لم يستطع وليد العودة إلى منزل والده في وجود رويانا التي حاصرتة بتعليقاتها اللاذعة في متعة غريبة كما لم يجد في نفسه القدرة على دخول بيت الزوجية بعدما حدث فقرر الإقامة في فندق قريب، ويرغم هدوء ورفاهية الغرفة لم يغمض له جفن. نظر في ساعته، تبقت ساعتان على موعد طائرة ابنته جنى القادمة من الكويت بعد أن عرفت بما حدث. أراد ألا تعرف، أو على الأقل يؤجل إخبارها لحين الانتهاء من التحقيق واستلام جثمان منى لدفنها، غير أن أميرة أصرت على إخبار جنى عبر مكالمة مقتضبة فهااتفته ابنته بعدها ملتاعة تبحث عن إجابات لم تجدها لديه. فللة كبده تعرضت لصدمة نفسية قاصمة بسببه وهي لا تزال في فترة النفاس الهشة.

جلس على المقعد المجاور للنافذة وأزاح ستارنها وأسند جبهته على الزجاج يراقب شوارع القاهرة وهي تخرج في خمول من رحم الظلام إلى النور. الناس الذين يغادرون بيوتهم صوب أشغالهم، والمحال القليلة التي فتحت أبوابها على استحياء مع شروق الشمس طلباً للرزق

البكور، والكلاب الضالة التي تجمعت في عصابات صغيرة تتحرك هنا وهناك فتنبع على المازين وعلى جماعات الكلاب الأخرى.

رفع رأسه عن النافذة وامتدت يده تلقائيا للقلم والورق الموسومين بشعار الفندق، رسم أشكالا سريالية وهو يفكر في كلام ضابط المباحث، والرسالة الغامضة التي أرسلتها له مئى قبل موتها.. ثم تذكر مكالمته مئى التي تلت مكالمتها الغاضبة بشأن زواجه. هذه المكالمات قد تجيب على أسئلة الضابط وتضع حدا سريعا للتحقيق. لن يستطيع الاتصال بالمحقق الآن فالوقت لا يزال مبكرا، عليه أن ينتظر بضع ساعات، وسيتظرونهم على جمر.



دخلت فدوى الشرفة فوجدت داليا واقفة تسحب أنفاسا متتالية من سيجارة بيدها في شراة.

- داليا، منذ متى تدخين؟

- أمر لا يخصك.

أخرجها رد أختها ليخرجها من الشرفة نحو غرفتها، سمعت صوت مياه جارية ووجدت باب الحمام مواربا، استرقت النظر لتجد فارس يغسل ملاءة سريره، توجهت نحو غرفة ولديها ومدت رأسها فوجدت فراشه بلا ملاءة وآثار ما حدث ليلا تشكل دائرة غير منتظمة الحواف على الحاشية. انقبض قلبها.. لم يتبول فارس لا إراديا منذ سنتين على الأقل، ثم هناك مسألة تدخين داليا.

لن تعود الأمور كما كانت أبدا.

ولن تسامح نفسها.



نقل وليد وزنه بين قدميه بعد أن طال انتظاره لابتته في صالة الوصول بمطار القاهرة الدولي وركاب الطائرة يمرّون من أمامه واحدا تلو الآخر وذووهم يستقبلونهم بالأحضان والابتسامات. وأخيرا ظهرت جنى، ذاهلة والدموع في عينيها تحمل وليدتها على ذراعها وتجرح حقيبتها بيدها الثانية وتبحث عنه بنظرات تائهة.

شاخ بغتة حينما رآها حزينة متشحة بالسواد وازداد عمره سنوات في لحظة.. ماذا فعل بأحائه؟

تلقاها بين ذراعيه فبللت دموعها قميصه وشهقت الرضیعة وقد الحشرت بينهما. انتبه لها فأخذها من ابته في رقة، كانت المرة الأولى له أن يحملها بين ذراعيه بعد أن رآها سريعا عبر برنامج الاتصال الدولي. كان يعتزم زيارتهم في الكويت بنهاية الشهر ولكن الأحداث لم تمهله، والآن.. لديهما الكثير من الحزن ليتشاركاه بعيدا عن فرحة المولودة الأولى.



ركبت جنى السيارة بجوار أبيها وظلت صامتة حتى وصل حي مدينة نصر، لاحظت أنه قوت شارع بيتهم فسأله فأخبرها أنه قد حجز

لهما في فندق إشفاقا عليها من دخول البيت بعدما حدث ولكنها
فاجأته برغبتها في الذهاب إليه. نزل على رغبتها وقاد السيارة على
مضض نحو بنايتهم التي احتلت ناصية شارع شهير.

وقف أمام باب الشقة يحاول مع المفتاح ولكنه فشل أن يفتح به
الباب، قلبه بين يديه في استغراب ثم حاول ثانية، ولكنه بوغت بباب
الشقة يفتح لتظهر أمامه أميرة، أجابت نظراته المندمسة بقولها:

- لقد غيرت قفل الباب.

- ماذا؟

لاحظت أميرة جنى الواقعة وراءه فمدت ذراعيها وسحبته إليها
واحتضنتها وقد تغيرت نبرتها على الفور فقالت بدفء وتأثر:

- جنى، حبيبي.. أنا آسفة يا غالية يا بنت الغالية.

دخلت هي وجنى وجلستا على الأريكة الجلدية البيضاء بينما ظل
وليد واقفا لبرهة أمام الباب ينظر إلى القفل في عدم فهم قبل أن يلحق
بهما إلى الداخل. رائحة المنظفات القوية التي انبعثت من المطبخ
المفتوح ألهمت جيوبه الأنفية فأخذ يعطس.

- يرحمكم الله..

قالتها أميرة في جمود ثم أردفت بعد لحظة:

- اضطررت لاستخدام مواد قوية لإزالة أثر الد...

لم تستطع إكمال عبارتها فأشاحت بيدها. سألها وليد:

- لم أفهم مسألة تغيير القفل، هل كسرتة الشرطة أثناء وجودهم؟

- بل غيرته أنا.. مُنى كتبت لي الشقة بيعا وشراء قبل وفاتها.

تفاجأ وليد فابتسمت أميرة في شماتة وجنى تنقل نظراتها بينهما في حيرة، لاحظت أميرة ما ألم بابنة أختها فقالت تفبر لها:

- أبوك كتب الشقة باسم والدتك في مقابل أن يتزوج عليها.

هتف وليد لابتته:

- لم يتم الأمر بهذه الصورة. لقد قمتُ بعمل توكيل رسمي لأمك بالتصرف في الشقة كي تشعر بالأمان، فبعد سفرك أنت وإياد وبقياتها بمفردها لأوقات طويلة شعرت بالوحدة وظننت أنني قد أغدر بها وأخرجها من الشقة كي أتزوج فيها بعد الفتور الذي أصاب حياتنا في سنواتنا الأخيرة..

جلبت عبارة وليد الأخيرة لجنى ذكريات قاتمة دون أن يدري، ذكريات حاولت الهروب منها ودفنها في الأعماق.. وقفتها على باب غرفة نوم والديها كل ليلة تستمع إلى شجارهما، الأمان النادر الذي كانت تشعر به حينما تمر ليلة دون خلاف، ثم الكلمات القاسية مجدداً ووجبات الطعام الصامتة المشبعة بالغضب والنظرات الفارغة. لعلها رأت في أمها امرأة نكدة لا تقوى على السعادة، وفي أبيها رجلاً قاسياً لا يعياً بمشاعر زوجته ولا يحاول فك عقدها. عاشت بينهما لسنوات تأمل أن يتغير الوضع وأن تزور السعادة بيتهم، ثم في النهاية أدركت أن أحلامها مستحيلة.. ارتمت في حضن ماما هناء زوجة بابا كمال

شريك والدها في الكويت اللذين كانت تخاطبهما وقتها بـ «طنط» و«أونكل».. وجدت لديهما الحنان والاحتواء المفقودين فأصبحت تقضي جلّ وقتها في بيتهم. وربما كان ذلك السبب الأساسي في زواجها من ابنهما مازن وهي لم تكمل الثانية والعشرين من عمرها.

والآن تجد نفسها محشورة من جديد بين والدها والدتها، حتى بعد موتها لم تهدأ صراعاتهما.

استفاقت من أفكارها على صوت أميرة وهي تقول متشفية:
- هذه الشقة هي ثمن رخيص مقابل حياة أختي التي ضاعت معك في تعاسة.

- حسنا، وما ثمنها بالنسبة لك؟

اتسعت عينا أميرة..

- كيف تجرؤ؟ ألا تع...

- كفى.

صرخت جنى وهي تسد أذنيها بكفيها فانفتحت الرضاعة في البكاء لتظهر أمارات الندم على وجهي وليد وأميرة. هدأت فورة الأخيرة واحتضنت ابنة أختها قائلة برفق:

- آسفة يا حبيتي، أنت لست طرفا في ما يحدث. الشقة تحت أمرك تقيمين فيها كما تريد أنت ولياد.

وقفت جنى تهدد رضيعتها وتمسح دموعها.

- لا شكرا.. سأذهب مع أبي.

اتجه وليد نحو الباب تتبعه جنى، ثم التفت إلى أميرة يسألها بنبرة
مترددة:

- توجد أوراق هامة في درج المكتب بغرفة النوم.. أحتاجها.

- كان على عيني.. الشرطة أخذت كل شيء..

امتقع وجه وليد وخرج من الشقة والأفكار تتصارع في رأسه، تبعته
جنى في صمت تاركة أميرة وراءهما تعضّ على شفرتها السفلى من
الغضب. كيف كانت من الغباء كي تفجر أمر الشقة في هذا الوقت
الدقيق؟

لقد استعجلت.. استعجلت كثيرا!

شكوك

أعطت جنى ظهرها لوالدها وألقت رضيعتها صدرها وهي تجزّ
لى أسنانها من ألم جرح الولادة القيصري الذي اشتد عليها.

تأملها وليد وهو يفكر كيف انتهى لقاءهما العاصف مع أميرة،
أحس أثناء خروجه من الشقة أحذيتها المصفوفة بجوار الباب،
قطعة الكروشيه الملونة الملقة على الأريكة والإبرة المغروزة في
نبلة الخيط..

تذكر فجأة مسألة القتل الرحيم وتسارعت دقات قلبه، لديه الآن ما
يقوله. خرج من الغرفة إلى ممر الفندق الهادئ واتصل بالمحقق.

- أهلا بشمهندس وليد خيرا؟

- لقد فكرت في ما سألتني عنه.

- القتل الرحيم؟

- نعم.. تذكرت شيئا قد يكون له علاقة.. منى طلبت مني قبل
وفاتها بأيام أن أحول مبلغ سبعين ألف جنيه لزميلة لها.

- هل أخبرتك بالسبب؟

- لا.. لم أسألها.

- وما اسم زميلتها؟

- لحظة..

فتح وليد رسالة التحويل البنكي من على الهاتف وشغل مكبر الصوت وقرأ الاسم:

- رقية عبد الصمد شعراوي.

- منقوم بالتحقيق في الأمر.

تردد وليد قبل أن يضيف:

- هناك شيء آخر..

صمت المحقق في انتظار ما سيقول.

- أميرة أخت المرحومة..

- مالها؟

- قبل وفاة مئى بفترة وجيزة استخدمت التوكيل الرسمي الذي سجلته لها لبيع شقة الزوجية لأختها. لم أتوقع ذلك منها لمئى لم تكن مادية ولم تبد اهتماما بالأموال من قبل..

- ربما مرضها الشديد الميؤوس من شفائه جعلها تكتب الشقة لأختها.

.....

- والأولاد؟ ألم يكن من المنطقي أن تكتبها باسميهما؟

- فهمت.. أنت تشك أنها كتبت الشقة لأختها في مقابل أن تنهي حياتها.

- بابا!

صرخت جنى من خلفه فاستدار، عرف من أمارات الصدمة على وجهها أنها استمتعت للمكالمة، أو على الأقل.. للجزء الأخير منها.



استيقظت فدوى على رنين هاتفها، أغلقته أكثر من مرة ولكن المتصل بدا مصرًا. أجابت الرقم غير المسجل بصوت ناعس فتناجأت بالنبرة الرسمية الجافة للمتصلة:

- والدة فهد وفارس؟

السؤال الكفيل بتفجير قلقها على مدى سنوات دراسة ولديها الطويلة.. اعتدلت في الفراش وقد تسارعت ضربات قلبها وسألت المتصلة في توتر:

- خيرا؟

٢ - لقد أرسلنا لك أكثر من رسالة استدعاء ولي أمر عبر تطبيق نظام الإدارة المدرسي ولكنك لم ترددي ولم تأتي في الموعد المحدد.

خبطت فدوى جبهتها براحتها، لقد غاب عنها تماما تفقد تطبيق المدرسة في الأيام الفائتة.

- معذرة، آ كنتُ أمرَ بظروف صعبة.

- نعرف كل شيء عن تلك الظروف، ولذلك استدعيناك.

هل اشتمت فدوى نبرة سخرية مبطنة؟

- حسنا سأحضر غدا.

- في تمام التاسعة صباحا من فضلك، وأذكرك أن فهد وفارس ممنوعان من دخول المدرسة.

- ماذا؟

- لقد أبلغناك بذلك في الرسائل.

- ولكن...

أنهت الموظفة المكالمة قبل أن تكمل فدوى عبارتها فقذفت بالهاتف على الفراش في حنق، بالطبع الأمر له علاقة بالمنشورات المسيئة، ولكن ما ذنب الأولاد؟ وكيف لمؤسسة تعليمية عريقة مثل مدرستهما تتشدد إدارتها دوماً بأن مصلحة الطالب هي الأساس، كيف توقفهما عن الدراسة في مثل هذا الوقت الحرج من العام الدراسي؟ أمسكت بهاتفها وكتبت في تصميم نقاط الهجوم الذي ستشنه على إدارة المدرسة في الغد وقد عازمت على تصعيد الأمر للإدارة التعليمية إن لم يستجيبوا، يجب ألا يظنوا أنها أصبحت مهيضة الجناح لمجرد أنها تعرضت لحملة تشويه ظالمة.



رفع المقدم منصور المصري عينيه متفحصا السيدة التي دخلت
هليه الغرفة. امرأة طويلة جادة الملامح ذات عوينات مذهبة الإطار
وشفتين رفيعتين مشدودتين وحجاب مثبت حول رأسها جيدا بدبايس
كبيرة ظاهرة. دخل وراءها معاون المباحث الرائد أنور الدجوي ويده
دفتره الأسود الشهير وجلس في ركن الغرفة في صمت. أجلس منصور
السيدة واستهل كلامه:

- أهلا دكتورة رقية. نعتذر عن الاستدعاء المفاجئ.

- لا بأس. فهمت أن الأمر يخص وفاة زميلتي دكتورة منى
مرزوق.

- هل تعرفين كيف لقيت مصرعها؟

أجابت بحذر:

- متحرة؟

لم يجيبها منصور بل انتظر لحظة ثم سألها:

- هل سمعت عن الموت الرحيم؟

طرفت الطيبة بعينها وهي تجيبه:

- لا.. أعني نعم.. سمعت عنه بالطبع، ولكن ما علاقته بدكتورة
منى؟

قرب المحقق رأسه نحوها يسألها:

- لماذا حوّلت لك مبلغ سبعين ألف جنيه قبل وفاتها بأيام؟

تفاجأت الطيبة وارتجّ عليها القول فابتسم وقد أدرك أنه أصاب
وترا..

- في الحقيقة.. آآ هذا أمر خاص.

- هذه الإجابة لا تصلح في تحقيق شرطة رسمي.

زمت شفيتها فقال بنبرة ناعمة:

- لا أرى أمامي سوى احتمالين، إما أن يكون هذا المبلغ نظير
اتفاق بالقتل الرحيم وإما..

حاولت الهروب من نظراته وهو يكمل عبارته:

- وإما الابتزاز.

اتسعت عيناها فأكمل:

- وكلاهما يعاقب عليه القانون.

أسرعت تقول:

- القانون لا يعاقب على القتل الرحيم.

ضاقت عيناها وعقّب بنبرة ذات مغزى:

- ووضح أنك بحثت في الأمر جيدا.

ازدردت ريقها ويدا وكأنها تحاول الوصول لقرار ما قبل أن تصرّح:

- لا أنكر أن هذا الطرح قد أثّر مع المرحومة، ولكننا لم نتفق على

شيء.

- إذن لماذا حوّلت لك المال؟

- السبب ليس له علاقة بما تظن.. أرجوك صدقني.

- أخبريني واتركي لي الحكم.

- لا أستطيع، إنه أمر خاص بها ولا أستطيع خيانة ثقتها، خاصة بعد موتها.

قالت عبارتها الأخيرة بصوت مختق بالعبرات.

- أخبريني عن علاقات د. موني في العمل.

تنفست الصعداء لتغيير الموضوع فأجابته في سرعة:

- لم تكن لديها علاقات تُذكر، فدكتورة موني ظلت منذ تعيينها في معامل وزارة الصحة تجدد إجازة تلو الأخرى، ما بين إجازة وضع ورعاية طفل ومرافقة زوج، ولم تنضم إلى قوة العمل إلا منذ سنوات قليلة بعد عودتها مع أسرتها من الكويت..

- كم سنة تقريباً؟

صمتت تحاول التذكر ثم قالت:

- ست أو سبع سنوات.

- ست سنوات كفيلاً بعقد صداقات.

- ربما ولكن ليس مع دكتورة موني. كانت لديها شخصية متحفظة، وأحياناً آآآ.. صدامية.

.....
- صدامية؟

- أعني.. عدم خبرتها في تسير أمور العمل في مصر جعلتها كما نقول «حنبلية»، تريد أن تسير الأمور كما يقول الكتاب، ترفض الإهمال والتجاوزات، وتظن أن بإمكانها محاربة عقود من فساد وترقل أجهزة الدولة وإداراتها المختلفة.

ابتسم منصور ابتسامة ذات مغزى وهو يقول:

- ألا نريد ذلك جميعاً؟

تلعثت الطيبة..

- بالطبع، ولكن بالعقل.. هي كانت تحارب طواحين الهواء، ولم تكن تحاول حتى أن تتودد أو تتلطف مع رؤسائها أو مرؤوسيهـا.

- فجعلها ذلك مكروهة، بلا أصدقاء، ولا حتى زملاء،

أشاحت بوجهها..

- لم أقل ذلك. دكتورة منى كانت طيبة مجتهدة وملتزمة.

- حسناً.. شكراً لك.

تفاجأت الطيبة.

- أهذا كل شيء؟

- حتى الآن..

انتظر الرائد أنور حتى خرجت رقية ثم هتف:

- كيف تركتها تخرج دون أن تعترف بسبب تحويل المال؟

- الصبر.

- لو تركتني أستجوبها بطريقتي لا عترفت على الفور.

تجهم منصور..

- تعرف أنني لا أحب طريقتك. لقد تعمدت تركها حاليا لأنني لا أزال في مرحلة تجميع الخيوط قبل بدء الاستجواب الحقيقي. تعرف كيف أعمل يا أنور، هذه ليست قضيتك الأولى معي.

- أعرف، ولكن...

أسكته منصور بنظرة، ثم قال:

- من فضلك أدخل التالية.



خرجت الدكتورة رقية من غرفة التحقيق لتجد أميرة أمامها، تفاجأت كل منهما بالأخرى، امتنع وجه أميرة واقتربت تسألها بنبرة خافتة:

'- ما الذي أتى بك إلى هنا؟

مزيج القلق واللوم في عبارتها جعل رقية تجيبها بانفعال:

- تم استدعائي للتحقيق، ما الذي يحدث؟ ألم تخبريني أن الوفاة تم تقييدها كانتحار؟

أجابتها أميرة وهي تتلفت حولها:

- اهذهني.. إنها مجرد إجراءات روتينية.

- أميرة أرجوك أنا لا أريد التورط في أي شيء.. ما فعلته كان من أجل المرحومة.

اتسعت عينا أميرة وانفرجت شفاتها في لحظة فهم مفاجئة قبل أن تتمالك نفسها سريعا وترت على كتف رقية..

- ششش.. هذا ليس المكان المناسب للحديث. لا تقلقي لن يحدث شيء.. أغدك.

رمقتها رقية في شك فمنحتها أميرة ابتسامة مشجعة. قبل أن تضطر للابتعاد حينما استدعاها العسكري الواقف على باب غرفة التحقيق للدخول.



أدخل الرائد أنور أميرة إلى غرفة التحقيق وأغلق الباب من خلفها في هدوء ثم جلس في الركن كعادته. تفرس منصور فيها، كان بها شيء مختلف. حينما التقاها يوم اكتشاف الجثة، ثم أثناء التحقيق معها بعدها، أظهر وجهها رباطة جأش وقوة شخصية برغم فداحة الحدث، ولكن الآن تبدو عليها أمارات التشتت والفكر المشغول وربما.. شيء من عدم اليقين. ترى ما السبب؟

انتظر منصور حتى جلست ثم خرج من خلف طاولة مكتبه ووقف أمامها..

- لا بد أنك التقيت بدكتورة رقية في الخارج.

- نعم..

- تبدو صديقة مخلصة للمرحومة أختك.

- هذا صحيح.

واقفته في نفاد صبر كأنما تستعجله للدخول في الموضوع
فاستجاب لها..

- أخبرني المهندس وليد أن المرحومة طلبت منه تحويل مبلغ

مالي كبير للدكتورة رقية قبل أيام من وفاتها، هل تعلمين السبب؟

- هذا هو الأمر إذن، خطة من وليد كي تتجه أصابع الاتهام نحو

رقية.

ضاقت عينا المحقق وهو يسألها:

- اتهام أي اتهام؟

ارتج عليها القول وتلعثمت:

- ماذا؟ أعني.. لست أدري. ولكن وليد ليس بريثا كما تظن.

- هل لديك اتهام رسمي له؟

- اتهام بماذا؟

- هذا هو ما أسأله.

فرّغت أميرة توترها في زفرة طويلة ثم اغتصبت ابتسامة مقتضبة وهي تقول:

- اعدرني لارتباكى. وليد غاضب لأن مُنى كتبت لي الشقة قبل وفاتها فتوقعتُ أن يحاول توريطي في أي شيء كي يستقم.

- ماذا عن أملاكها الأخرى؟ هل كتبتها لك؟

- ليس لديها أملاك أخرى فهي لم تعمل إلا منذ عدة سنوات، وراتب الوزارة لا يضمن ولا يغني عن جوع، وهي لم تكن ممن يهتمون بجمع المال أو الادخار. حتى الشقة لم تكن ملكها، لولا أن كتب لها وليد توكيلا رسميا بالتصرف فيها.

- أليس غريبا أن تكتب الشيء الوحيد الذي تملكه باسمك أنت؟
دونا عن ولديها؟

ازدردت أميرة ريقها وقد شعرت بالتهديد...

- علاقة مُنى بأولادها مرت بعشرات كثيرة، خاصة في الفترة الأخيرة إذ تزوجت جنى وابتعدت عنها واستعاضت بعائلة زوجها عن عائلتها فارتمت في أحضانهم، وإياد نسخة من أبيه، يبحث عن مصلحته، كما أن مُنى تعرف أنهما سيرثان الكثير من أبيهما.. بعد عمر طويل بالطبع. أما أنا فكنتُ أقرب الناس إليها، خاصة في مرضها، تركتُ بيتي وزوجي وأقيمتُ معها لفترات طويلة.

- وطلبتِ الشقة في المقابل؟



مسارات بديلة

- اشعلت عبارة منصور غضب أميرة فأجابت في تحفّز:
- بالطبع لا، هي من أصرت أن تكتب لي الشقة.
- هل سمعتِ عن مصطلح الموت الرحيم؟
- زاغت عيناها للحظة خاطفة لقطها منصور غير أنها تمايلت نفسها وأجابت بصوت ثابت:
- مثل تلك الممرضة البريطانية الشهيرة التي قتلت العجائز من المرضى لإراحتهم؟
- لا أعلم عن تلك الممرضة ولكن نعم، نفس الفكرة.
- وما علاقة سؤالك هذا بأختي؟
- ابتسم المحقق وقد أعجب برباطة جأشها..
- لا أظنك بحاجة إلى الشرح، خاصة وأنك من رفضتِ فرضية انتحارها.
- أطرقت برأسها قائلة:

- هذا صحيح، مُنى كانت مؤمنة بالله ولكن.. من منا لا يضعف
تحت وطأة المرض والخذلان؟

- حقا؟

عقب بنبرة ذات مغزى جعلتها ترفع رأسها إليه في ترقب فسألها:
- أليس غريبا التغير المفاجئ في موقفك من رفض غاضب لفرضية
الانتحار إلى قبولها بل وتبريرها؟

لم ينجح منصور في استفزازها مجددا فبرغم شرارة الغضب التي
التمعت في عينيها أجابته في هدوء:

- فكرتُ في معاناة مُنى وأزمتها الأخيرة مع زوجها.

- ومن في رأيك صاحب اليد الرحيمة في إنهاء حياتها؟

لم تُحب صياغته للعبارة، هل ينصب لها فخا ويزينه بكلمات
تحمل في ظاهرها الرحمة وفي باطنها الاتهام؟ هربت بعينيها وهي
تجيبه:

- لا أعرف.

- حسنا سأخبرك أنا.. إصرارك على رفض فكرة الانتحار في البداية
ثم قبولها الآن ليس له سوى تفسير واحد: أردتُ توجيه أصابع الاتهام
نحو وليد بقتل زوجته كي تتخلصني منه ولا يثأرك على ملكية الشقة..
لم تتوقعي بالطبع أن نعرف نحنُ بشأنها مسريعا، ولا أن تُطرح فرضية
القتل الرحيم. أما الآن والشبهات تتجه نحوك لإنهاء حياة أختك

وقبض الثمن، أصبح الانتحار فرضية مقبولة ومبررة، فإنقاذ رقبتك أولى من وضع جبل المشنقة حول رقبة وليد.

فقدت أميرة السيطرة على نفسها أخيراً فصرخت:

- غير صحيح، لم أكن لأؤذي منى أبداً. ولكن وليد... وليد قاس متحجر القلب ويفعل أي شيء من أجل مصلحته.

صمتت للحظة ثم قالت بنبرة متلهفة:

- أنا متأكدة أن وليد هو من أقنع منى أن يُنتهي حياتها بدعوى إراحتها ولكن في الحقيقة لكي يوقف سيل المنشورات المسيئة له وللغندورة ويتزوجها في سلام على أنقاض حياة أختي.

افترت شفتا المحقق عن ابتسامة رضا وعاد ليجلس على مقعده خلف طاولة المكتب بعد أن نجح في استنزاز أميرة فالغضب يجعل لسان المرء يفلت بما يحاول العقل حجب.

الآن أصبح لديه مثلث مكتمل للاتهام، ومعلومات لا بأس بها عن عداوات المتوفاة وصراعاتها. لا ينقصه سوى صدور تقرير الطب الشرعي كي ينقض على فريسته.



ارتدت فدوى ملابس بسيطة وجمعت شعرها في ذيل حصان وخرجت بدون مساحيق تجميل على غير عاداتها. لم تسألها والدتها عن وجهتها ولم تأبه بها داليا التي مرت بجوارها وسبقتهما نحو باب الخروج: هل يمارسون عليها الصمت العقابي؟ لا بأس.

وصلت المدرسة قبل التاسعة بقليل ولكنها عانت حتى صفت
سيارتها في أحد الشوارع المحيطة بالمدرسة فدخلت الاجتماع متأخرة
نحو عشر دقائق. نظرت المديرية إلى فدوى ثم في ساعتها وزفرت.
تجاهلت فدوى تلميحتها وجلست، لاحظت بطرف عينها جلوس نادين
الإحصائية النفسية على يمين المديرية ويدها قلم ودفتري ورقي صغير،
شعرت فدوى وكأنها أمام جهة تحقيق وأمين السر مستعد لتدوين أقوالها،
لن تجعل ذلك يفت عضدها فالجميع معرضون لما حدث لها، وهي لم
تخطئ. لقد أتت عازمة على الدفاع عن نفسها وولديها بشراة.

استهلت المديرية الحديث بنبرة رسمية:

- سيدة فدوى، نحن لسنا بصدد محاسبتك على حياتك الشخصية
واختياراتك، ولكننا لن نسمح بزج سمعة المدرسة في ما يحدث.

- ماذا تعنين بسمعة المدرسة؟ أنا امرأة مطلقة ومخطوبة إلى آخر،
الصور التي انتشرت ما هي إلا محاولة فاشلة لتشويه صورتي.

- كما قلت فحياتك الشخصية لا تهمنا، ولكن للأسف بما أن
طلاقك هذا لم يكن معلنا، ولا خطوبتك المزعومة، ولكونك مؤثرة
على مواقع التواصل الاجتماعي ووجهك معروف، ولأن الصور
المسيئة تضمنت صوراً لفهد وفارس في المدرسة ويرتدون زيها
فالامر لم يعد شخصياً..

فهمت فدوى مما تقول أن هناك قراراً قد اتخذ ولم يبق سوى إبلاغها
به فانتظرت بصبر، ولم تخيب المديرية توقعها إذ أردت بصراحة:

- لا مكان لولدك لدينا.

برغم عزم فدوى على اتباع استراتيجية هادئة لم تتمالك نفسها إزاء
هجرة المديرية فهتفت:

- هذا ليس قرارك. فهد في سنة حاسمة ونحن على مشارف
اختبارات نهاية العام، أنا لن أنقل الأولاد من المدرسة، وإن لزم الأمر
سأشكركم في الإدارة التعليمية. لن تلووا ذراعي وتجبروني على فعل
ما لا أريد فعله.

حاولت نادين نزع فتيل الأزمة قبل اشتعاله فقالت في هدوء:

- مدام فدوى.. إذا أردت رأيي المهني ف...

قاطعتها فدوى قائلة:-

- لا أريده.. ولا تقنني كونك فقدت ابنك ثم درست بضع دورات

تدريسية في مجال علم النفس يؤهلك للحديث عن ابني.

ظهر الغضب على وجه المديرية وهمت بالرد عليها ولكن نادين

سبقتها..

- أرجو أن تهدئي، لسنا هنا من أجلي ولا من أجلك، نحن هنا من

أجل الولدين، والتراشق بالاتهامات لن يفيد في شيء.

استغزل لطفها وهدوؤها فدوى أكثر ولكنها منعت نفسها من التعقيب

فأكملت نادين:

- بقاء فهد وفارس هنا مؤذٍ لهما وضد مصلحتهما..

رفعت فدوى حاجبا وهي تقول لنفسها ما قد بدأت الألاعيب
النفسية فسألتها في تحد:

- وكيف ذلك؟

- أنت لا تعرفين ما تعرض له الولدان من أذى، لقد انتشرت صورك
بين زملائهما من الطلاب فأصبحتا ماثرا للسخرية والتندر، وأكثر ما
يؤلم الأولاد في هذه السن هو الإساءة للأم والخوض في سمعتها.
اتسعت عينا فدوى فذكرتها نادين:

- هذا ليس رأينا بالطبع، ولكنه ما حدث. تعلمين معزة فهد وفارس
لدي.

كررت فدوى في سرّها عبارة نادين المعتادة: «فارس نسخة من
المرحوم ياسين ابني وفي معزته»، بسخرية ثم بزغ لديها إدراك مفاجئ
بخطورة ما تقوله نادين.. لاحظت نادين تلك الاستجابة الطفيفة في
لغة جسد فدوى حينما فكّت ذراعيها المعقودتين ومالت بجسدها
نحوها فأكملت:

- وجود الولدين في المدرسة يهدد بقاءهما في العملية التعليمية
بأسرها، فهد ضرب أحد زملائه ضربا مبرحا ولولا تدخل المدرسة
واقناع ولي الأمر بالتنازل مراعاة للضغط الذي تعرض له ابنك ووقاحة
زميله لكان فهد الآن نزيل المؤسسة العقابية.

تفاجأت فدوى بما سمعت، فهد في الأيام الأخيرة أظهر تجاهها
برودا ولا مبالاة جعلتها تظن أنه قد تخطى مرحلة الغضب وأصبح

أكثر تعقلا.. لاحظت المديرية الخوف في عيني فدوى فهنأت نفسها
على ترك ناصية الحديث لنادين التي أردفت قائلة:

- لقد فكرنا كثيرا، وتوصلنا إلى أن الخيار الأفضل هو نقل الأولاد
إلى نظام تعليمي مختلف يسمح لهما بالمكوث في المنزل فترة مناسبة
إلى أن ينسى الناس الأمر. فحتى إذا انتقلا إلى مدرسة أخرى، الطلاب
في هذه السن لن يرحموا هناك.

قلبت فدوى كلام نادين في عقلها وسألتها:

- هل هناك مثل هذا النظام بالفعل؟

- هناك بعض المدارس التابعة لنظام التعليم الأمريكي تسمح
بنظام التعليم المنزلي. سيكون ذلك أفضل خيار لفهد وفارس، مع
المتابعة بالطبع مع إخصائي نفسي.

أومات فدوى برأسها وابتلعت ريقها وقد أَلانها كلام نادين قليلا
فهذا غضبها الدفاعي وبدأت بالتفكير في مصلحة الأولاد. لم تكن
تعلم لأي مدى وصلت إليه الأمور في المدرسة، كما لم يخبرها
أحد عن واقعة فهد تلك، لا يمكن أن تتخيل فهد وهو يقضي ليلته
في المؤسسة العقابية ويضيع بعدها مستقبله. فكّرت أن تغيير النظام
التعليمي فكرة لا بأس بها نظرا للوضع، واتخذت قرارا فوريا بضرورة
أن يعاود فهد المتابعة مع معالجته النفسية، وكأنما قرأت نادين
أفكارها، قالت بلهجة تحذيرية:

- ليس فهد وحده من يحتاج لعلاج نفسي، فارس كذلك.

رفعت فدوى رأسها فأردفت نادين:

- صمت فارس وانطواؤه وعزوفه عن الاختلاط بزملائه وتوقفه عن ممارسة هواياته ليس طبيعيا، خاصة في سن المراهقة.

عزوفه عن ممارسة هواياته! ألم تره فدوى يرسم بالأمس رسوم المانجا التي يحبها؟ انتابها شعور مفاجئ بالغربة، إنها لا تعرف ولديها، أشعرها ذلك بالضيق.

انتبهت من أفكارها على نظرة المديرية لها وهي تنتظر قرارها، لا تريد أن تشعر أنها مهزومة وأنها انتصرتا عليها، ولكنها تأثرت رغما عنها بكلام نادين فقالت:

- سأتكلم مع عمرو.

أسرعت المديرية بقول:

- لقد تكلمت نادين معه وهو مقتنع بأن نقل الأولاد هو الأفضل لهما حاليا.

شعرت فدوى بالغدر، هل اتفقوا عليها جميعا؟ لاحظت نادين ما ألم بها فقالت:

- لقد تواصلنا مع الأستاذ عمرو بعد فشلنا في الوصول إليك، وبرغم اقتناعه قال أن القرار الأخير يعود لك، لذلك حرصنا أن نجتمع بك.

هدأها كلام نادين قليلا فوقفت تلملم شتات نفسها.. رفعت رأسها
وحاولت التشبث بآخر خيط من كرامتها واعتدادها بنفسها فقالت:

- سأبلغكما بقراري قبل نهاية اليوم.

قالتها وخرجت مسرعة قبل أن تفضحها نبرتها التي اختنقت
بالعبرات.



على طاولة التشريح

وقف الدكتور علاء أمام جثمان المتوفاة متحيرا، صاحبة هذا الجثمان ترغب في قول شيء ما بعد أن انقطعت بها الأسباب.

أزاح حجابها القطني عن رأسها وعنقها وحيث.. لاحظ شيئا صحيح أنه لا وجود لكدمات واضحة، ولا علامات حمراء مميزة تشير إلى خنق مباشر، ولكن عند الضغط على المنطقة الجانبية لعنقها شعر بتورم خفيف، ويذا الجلد أكثر تحسنا مما ينبغي.

استخدم عدسته المكبرة فتمكن من تمييز احمرار خفيف متقطع يكاد يكون مطموسا تحت نسيج الجلد. لم تكن علامات خنق عنيف، بل أقرب إلى ضغط مطول، ربما بقطعة قماش!

وشاح مثلاً؟ تساءل الطبيب دون صوت.. وشاح سميك، قابل للشد، لا يترك علامات واضحة.. خصوصاً إذا كانت الضحية ترتدي حجاباً يغطي العنق، ويحول دون التلامس المباشر مع الجلد.

لا وجود لكسر في العظمة الالامية، ولكن الشعيرات الدموية المتفجرة تحت الجفن في ملتحمة العين تؤكد تعرض الضحية

لفحص حاد في الأكسجين.. وهو مؤشر آخر واضح على محاولة الخنق.

وسط هذه الملاحظات، راود الطبيب سؤال لا يمكن تجاهله:

إذا كانت المسألة انتحارا كما ورد في تقرير النيابة، لماذا تستخدم
الطريقة طريقتين مختلفتين للموت؟ خنقا، ثم قطعاً للرسغ؟

نعم التزيف موجود، والقطع دقيق.. ولكن الانتحار لا يحب التردد
بين وسيلتين.. إما أن يخنق حتى النهاية، وإما أن يقطع حتى الفراغ
ولكنه لا يخلط الأدوات. لا شيء أمامه يشبه الانتحار، ومع المشاهدات
الجديدة، لا يبدو كقتل رحيم كذلك، بل يبدو كـ.. جريمة قتل!
جريمة نُفذت على مراحل.

جلس أمام شاشة الحاسوب، وبدأ بتسجيل ملاحظاته:

«الحالة: وفاة مشبوهة - يُشتبه بأنها جريمة قتل مدبرة.

يجب إجراء تحليل شامل للسموم، وفحص للألياف النسيجية في
منطقة العنق وعلى حجاب المجني عليها القطني لتحديد لون ونسيج
الوشاح المستخدم للخنق».

أرسل الطبيب مشاهداته إلى المقدم منصور المصري ثم رفق
الجنة بنظرة أخيرة قبل أن تُعاد إلى برودة الثلاجة وتمتم بطمئنتها:

- لا تقلقي.. سنعرف من فعل بك هذا.



أوقف وليد سيارته أمام الفندق الذي يقيم به وتردد في التزول
جنى ابنته بالأعلى مع رضيعتها، لم يكادا يتبادلان بضع كلمات منذ أن
وصلت إلى القاهرة. لم يدرك أي منهما يتهرب من الآخر، غير أنه متأكد
أن مواجهة قاسية آتية ولا ريب. يشعر برياحها مقبلة عليه، ويتوقع أن
يخرج كل المسكوت عنه إلى السطح، فهل هو مستعد؟

رن هاتفه باسم فدوى فقطع حبل أفكاره، لم يجيبها فواصلت
الاتصال في إلحاح حتى رد عليها أخيرا في نفاذ صبر:

- خيرا يا فدوى؟

- وليد..

- ألم أطلب منك عدم الاتصال بي؟

- هل تهزبيني؟

أراد أن يصرخ فيها وينهي المكالمة ويطلق هاتفه ويلقي به بعيدا
ولكنه صمت لحظة تمالك فيها أعصابه قبل أن يرد:

- ألا تدركين ما حدث؟ زوجتي ماتت.. أو انتحرت أو قتلت.

- الآن أصبحت مهتما بزوجتك! وماذا عني؟

- هل تريدني حقا لإجراء هذه المحادثة الآن؟

لم تجبه، ولكن أناه صوت نهضة عبر الهاتف، لان قلبه قليلا فهي
لا تزال المرأة التي ملكته لنيف وعشرين عاما..

- فدوى افهميني.. أنا في وضع صعب، ابتسي وصلت بالأمس في حالة صدمة، وهناك تحقيق جار وضابط مباحث يزعمني كل يوم كما أنني لم أباشر عملي لأيام وشريكى متذمر والأوضاع في الشركة خرجت عن السيطرة.

- وأنا؟ أين مكاني من كل ذلك؟

...

- الرسالة وصلت.

- فدوى انتظري..

- لقد دخلت حياتي فدمرتها. رفعتني إلى الذرى ثم رميت بي إلى الثرى. والآن.. وأنا في أمس الحاجة إليك! تتخلي عني! كم كنت غيبة لأصدق قصة حبك البلهاء المصحوبة بماسات ووعود وورود.

صمتت لحظة ثم أردفت بمرارة مشوبة بالحقد:

- لن أنسى هذا الدرس ما حييت.

ثم أنهت المكالمة.



بغّ القدم منصور المصري بضع بخات من عبوة المبيد الحشري الجديدة في سماء غرفته، كم مرة أمر العسكري شعبان بعدم ترك النافذة مفتوحة ولا مجيب. يدخل غرفته فيجدها تعجّ بالذباب وكأنه في القراقة فلا يجديه نفعا سوى المبيد الذي يترك صدره مختنقا بعدها

لساعات. راقب ذبابة وقعت على ظهرها على سطح طاولة المكتب وأخذ يلاعبها بسن القلم ويتأمل تفاصيلها الدقيقة حينما رن هاتفه بوصول رسالة، حمد الله أنه ليس الهاتف الداخلي فلم يكن في مزاج يسمع بمكالمات اللواء ورداني الروتينية المملة، نظر في هاتفه فوجدها رسالة من الدكتور علاء الطيب الشرعي، وضع الهاتف على أذنه، بدأت الرسالة بكلمة «مفاجأة..»، ضغط الهاتف على أذنه وأنصت:

- الضحية تعرضت للخنق أولا فخارت قواها مما جعلها غير قادرة على المقاومة، لذلك لم أجد أي جروح دفاعية أو آثار مقاومة على جسدتها. لم أجد سوى كدمات خفيفة تشير أماكنها وعمقها إلى أن المجني عليها وقعت أرضا. الوفاة لم تكن بسبب إسفكسيا الخنق، بل شق الجاني معصمها للإجهاد على حياتها.

أكمل منصور في شرود:

- ثم أحكم قبضتها على السكين ليوهمنا بالانتحار!

وضع منصور هاتفه وفتح ملف القضية ودون ما أخبره به الطيب الشرعي في نقاط سريعة وهو يراقب الذبابة المنقلبة التي لا تزال تعافر من أجل حياتها، لا يعرف لماذا تخيل الدكتورة منى وهي ممددة على الأرض تكافح من أجل أنفاسها والجاني يقطع رسفها بدم بارد.

سيجده.. وسيقدمه للعدالة.

مهما كلف الأمر!



عداوات

تتهدد منصور في حنق بعد مراجعته أوراق القضية لأكثر من مرة.. فريق البحث الجنائي لم يجد أدلة تُذكر في مسرح الجريمة، ولكن لا بأس، ما لا يُدرَك كله لا يُترك كله، اتصل بوكيل النيابة وطلب منه كل ما جمعه فريق الأدلة الجنائية من شقة المجني عليها. أراح منصور ظهره على الكرسي وهو يفكر في قائمة المشتبه بهم. عاد إلى أوراق القضية، هذه المرة لفتت نظره المنشورات المسيئة، لم يأخذها بخدية حينما كان ينظر للقضية كانتحار أو قتل رحيم، ولكن في ضوء المستجدات، المنشورات تصلح كدافع للقتل. كما تذكر كلام الدكتورة رقية عن سلوك المجني عليها في العمل، يجب أن يعيد استجوابها ليعرف أكثر عن أطراف الصدام المحتملة.

تتهدد وهو يغلق ملف القضية ويفتح زجاج النافذة ويتلقى الذباب رغمًا عنه بعد أن اختنق من هواء الغرفة المشبع بالمبيد الحشري فامتلات الغرفة بالهواء النقي والكثير من الأبواب من جديد فينح عدة بخات على استحياء وترك النافذة مفتوحة وعاد إلى كرسيه. فتح تطبيق «الإنستغرام» وأدخل الكلمة البحثية التي كانت العنوان الأشهر

للمنشورات «#عن_العهر_أحدث» فطالعت مئات المنشورات، بعضها من صفحة فتاة عربية-أمريكية تحكي عن إساءة زوجة أبيها لها على مر السنوات، ثم عشرات الصفحات التي أعادت نشر القصة والفيديوهات. أخذ يبحث حتى ظهرت أمامه صورة لوليد زوج المجني عليها مع سيدة جميلة ذات شعر أشقر داكن وهما في حالة انسجام واضحة. كان الرسم أسفل الصور بالإضافة للكلمة البحثية هو «#النسخة_المصرية_#فدوى_بنت_فؤاد».. ضغط على الرسم فظهرت منشورات أخرى لوليد مع فدوى وصور لآخرين بدا أنهم مرتبطون بشكل أو بآخر بأحد الطرفين.. صورة لسيدة في نهاية الثلاثينيات ذات ملامح جادة وشعر معقوص ترتدي بدلة حسنة التفصيل وتقف باعتداد أمام مبنى وزارة الخارجية، وعدة صور لولدين مراهقين في مدرسة لغات شهيرة، وصور لرجل أربعيني حليق الوجه ذي ابتسامة باهتة جالس خلف طاولة مكتب ضخمة ومن ورائه لوحة كبيرة عليها علامة تجارية معروفة، ثم صور أخرى له وعلى رأسه قرنان، وصور لامرأة أربعينية ذات وجه نحيل شاحب تحتضن كلبا ذهبيا ضخما، وغيرها من الصور. أدرك منصور أن المنشورات مسيئة بشكل يتجاوز السخافة ليصل حد التشهير الممنهج. الأشخاص الذين ظهروا في الصور شكلوا له قائمة دسمة من المشتبه بهم، فلا ريب أن كلا منهم رغب في إسكات الفاعل مهما كان الثمن.

تذكر المرة الأولى التي سمع فيها بالمنشورات.. كانت على لسان أميرة أخت منى حينما اتهمت وليد بإنهاء حياتها لإيقافها. عليه أن يتأكد أولا أن منى هي المسئولة عن المنشورات خاصة وأن الحساب

الذي نشرها مجهول لا يمت لها ظاهريا بصلة. ثم كيف اكتشفوا تلك
المعلومة بهذه السرعة؟

استدعى منصور الرائد أنور ولخص له المستجدات ثم أصدر
أوجيهاته:

- قم بحصر الأشخاص الموجودين بالمنشورات، اعمل تحرياتك
عنهم وجهاز ملفا مبدئيا لكل منهم. وسّع دائرة البحث ولا تكفي بمن
ظهر في الصور فقط، فربما المتضرر شخص لم يظهر في الصور
ولكن له علاقة بمن تم التشهير بهم. تأكد من معلومة أن منى وراء
المنشورات، واعرف من كان يعرف هذه المعلومة وكيف عرفها.

- أترك سيادة المقدم.

- واطلب من النيابة أمرا بتفريغ تسجيلات كاميرات المراقبة في
البنية والبنائات المواجهة لها.

زفر أنور قائلا:

- المشكلة أن هذه البنية بالذات بها العديد من الأنشطة التجارية ما
بين فرع كبير لإحدى سلاسل المتاجر الشهير، وصالة ألعاب رياضية
ومركز للدروس الخصوصية.

- أعلم.. غير عيادات الأطباء وصالون التجميل.

- سيكون من الصعب البحث عن مشتبه بهم وسط كل من

ارتادها..

- الطب الشرعي حصر وقت الوفاة ما بين العاشرة صباحا والثالثة عصرا. لن يكون صعبا تفريغ تلك الساعات من الأشرطة ومشاهدتها، كلف الرائد تميم بذلك. السرعة مهمة مخافة أن يتم مسح تلك التسجيلات.

- سأفعل.

قالها أنور ثم خرج مسرعا بينما عاد منصور يراجع المنشورات، أغلب الصور لم تكتف بالإساءة للشخص نفسه وإنما تعمّدت التشهير بالمكان الذي ينتمي إليه كوزارة الخارجية أو الشركة التي ظهرت علامتها التجارية واضحة أو مدرسة اللغات الشهيرة.

لم يتوقع منصور أن تكون المجني عليها بهذه الجراءة، ولم تتوقع هي بالتأكيد أن يتسبب لها الأمر بالقتل، هذا لو صحت شكوكه وكانت المنشورات هي الدافع، فكل صورة هي بمثابة قبلة موقوتة تهدد بانفجار صاحبها. توقف عند إحدى الصور: صورة مدرسية جمعت نيفا وثلاثين طالبا وقفوا في ثلاثة صفوف متتالية. كانت وجوه الطلاب في الصورة مموّمة وكذلك وجهها المعلمتين اللتين وقفتا على يمين ويسار الطلاب. وجه ولد واحد فقط هو الذي ترك واضحا دون تمويه، فخمن منصور أن له علاقة مباشرة بالأمر، بالتأكيد ليس ابن وليد فلن تفعل مئى ذلك بابنها، إذن هو ابن فدوى بنت فؤاد. لاحظ منصور شيئا في الصورة جعل قلبه يختلج، هذا الشعر المجعد الداكن وهذه القامة الدقيقة، يعرفهما جيدا.. نادين؟

يعرف إنها تعمل إخصائية نفسية في إحدى المدارس، صدقة غريبة!

لم يهده القدر فقط قضية تشعل حماسه وترضي شغفه بل أهده
أيضا وسيلة للتواصل مع المرأة التي شغلت قلبه وفكره. فتح هاتفه
ويبحث عن اسمها في جهات الاتصال وتردد..

هل يتصل بها؟

✱

ضغطت بإصبع مرتعش على أيقونة الإجابة واستمعت..

- رقية.. هل اتصل بك المحقق؟

- نعم، يطلبني للتحقيق مجددا.

- وأنا أيضا ولكن...

انفجرت فيها رقية:

- اسمعي يا أميرة.. أنا لستُ قوية مثلك. لقد ظللتُ طيلة حياتي
أؤثر السلامة وأمشي جوار الحائط، خسرتُ فرصا كثيرة في مسيرتي
المهنية بسبب ذلك. والآن...

- اهدئي يا رقية لا يوجد ما يستحق قلقك.

- إنه يقول إنها جريمة قتل.. قتل يا أميرة.

هتفت في هلع فحاولت أميرة تهدئتها قائلة:

- لم يصدر تقرير الطب الشرعي بعد، لقد سألته. أنا متأكدة أن في
الأمر خطأ ما.

- لن أتستر على أحد، سأخبر المحقق بكل ما أعرفه.

تغير صوت أميرة:

- ومن طلب منك التستر؟

ارتبكت رقية وهي تقول:

- أعني...

- لا عليك، أستطيع الاعتناء بنفسى جيدا.. المهم أن تعتني أنتِ بنفسك.

هل اشتقت رقية نبذة تهديد في عبارة أميرة؟

همت بالرد عليها ولكن المكالمة كانت قد انتهت. عضت على شفتها، لم يكن عليها التورط في ما حدث.. ماذا ستفعل الآن؟

*

دخلت فدوى الغرفة فوجدت داليا مستلقية على الفراش، وما إن رأتها حتى هبت واقفة لتخرج وكأنما لدغها ثعبان، أوقفتها فدوى وسألتها بنبرة مستضعفة:

- إلى متى ستتجنيني؟

لم تجبها داليا وإنما حدجتها بنظرة فارغة، فأضافت في استجداء:

- أمر بالكثير وأحتاجك بجواري.

- ألا تدركين حقا ما فعلته بي؟

- لم أقصد.

أجابتها في جفاء:

- أعرف.. ولكن قصدك من عدمه لا يشكل أي فارق. أحيانا يكون الغباء سيئا بنفس قدر التعمُّد.. تصرفاتك هي ما أوصلتنا لهذه النقطة. قصة حبك البلهاء تلك وسفرك معه وإغلاقك لهاتفك في عز الأزمة
...

هتفت فدوى تسكتها:

- داليا.. لقد انتهى الأمر.

- بالنسبة لك.. أما بالنسبة لي فالخسارة لا تزال مستمرة.

قالت فدوى في لهفة:

- بخصوص عملك؟ زوج ماهيتاب يعمل في رئاسة الوزراء
وبإمكانه...

قاطعتها داليا قائلة في مرارة:

- ليس عملي فقط، هناك خطوط حمراء ما إن يتجاوزها المرء
حتى لا يستطيع العودة لنفس النقطة ثانية أو أن ينظر لذاته نفس النظرة
أبدا.

قالتها وأزاحت كف فدوى من على ذراعها وخرجت. لحقت بها
فدوى فسمعت فهد يهتف وقد أخرج يدا ممسكة بهاتفه من فرجة باب
غرفته:

- فارس.. تعالى كلم ميس نادين.. إنها تريدك.

أتى فارس مسرعا وأخذ الهاتف من يد أخيه وابتعد بينما سألت
فدوى فهد:

- ما الذي يجري؟

أجابها يبرود:

- ماذا؟ ميس نادين تريد فارس.

- هل تتصل بكما كثيرا؟

- بابا طلب منا أن نتواصل معها.. هل يضايقك ذلك؟

لم ينتظر إجابتها وأغلق باب الغرفة في وجهها.

«بابا»!

تبا لتلك المرأة.. إذن عمرو على اتصال بها. ذلك يفسر الطريقة
التي نطقت بها اسمه في اجتماع المدرسة الأخير، وثقتها وهي تتكلم
عنه وعن رأيه في أمور الأولاد. وربما تجمعهما أشياء أكبر!

نغزتها غصّة فاستغربت.. لماذا يهتمها أمر عمرو الآن؟

قالت لنفسها أن المسألة ليست عمرو، بل الأولاد، هذه المرأة تريد
الاستحواذ على ابنيها وزوجها بعد أن فقدت ابنها وزوجها. ولكنها لن
تسمح بذلك أبدا. مهما كان الثمن!

قنبلة موقوتة

لاحظ منصور خطوط القلق التي ظهرت حول عيني أميرة وفمها
قبل أن يسألها:

- إذن أنت تتهمين المهندس وليد بقتل أختك؟

- ومن غيره؟ ليخلو له الجو.

- وإذا ثبت أن وليد كان في الإسكندرية وقت مقتلها؟

أسقط في يدها فصمتت للحظة ثم سأله بنبرة فيها ضعف
مفاجئ:

- هل أنت متأكد أنها قُتلت؟ أعني...

اندهش منصور من رد فعلها فأجابها:

- قلتُ لك هناك آثار خنق على رقبتها.

- أليس من المحتمل أن تكون تلك الآثار من جلسة الكيماوي؟

أعني كدمة بسبب حقنة أو شيئاً من هذا القبيل؟

- لا.. غير محتمل.

- أحيانا تُحكّم مُنى رباط وشاحها حول رقبتها بشدة خاصة أيام
الجلسات التي تشعرها بالبرد الشديد.

- لماذا تحاولين نفي فرضية القتل؟

- لأن مُنى لم يكن لها أعداء سوى وليد والأفعى.

- ولكن الدكتور رقية أخبرتنا بغير ذلك.

شحب وجه أميرة..

- بماذا أخبرتكم؟

- يمكنك سؤالها فأنتما صديقتان كما أظن.

- آه.. سأفعل.

- شكرا لك يمكنك الانصراف.

تململت في مكانها ثم استسلمت وخرجت ومعها خرجت هالة
ثقيلة كانت تحتل فراغ الغرفة. استغرب أن تشكّل امرأة دقيقة الحجم
مثلها كل هذا الثقل!

*

دخل الرائد أنور ممسكا بملف ورقي كبير وضعه أمام منصور

قائلا:

- التحريات الخاصة بالمنشورات. المجني عليها وراءها بالفعل.

تحريات مباحث الإنترنت أوصلتنا إلى شاب اسمه سعيد جيغا يعمل

في مقهى بنزلة السّمان، اعترف أنه تقاضى مبالغ مالية مقابل إنشاء حساب مجهول ونشر الصور والفيديوهات عليه.

- والمحرض؟

- الدكتورة منى مرزوق. وقد عرفت أسيرة فدوى بذلك عن طريق داليا أختها، تعمل في منصب حساس بوزارة الخارجية واستطاعت التواصل مع مخترق مواقع محترف تقاضى مبلغا ماليا لكي يبلغها بصاحب الحساب.

- عظيم.

أكمل أنور قائلا:

- تسلمت اليوم من فريق الأدلة الجنائي كما كبيرا من الأوراق المحرزة من شقة الضحية بعد أن انتهوا من فحصها.

- ممتاز، ابحث فيها عن أي شيء غريب أو لافت للنظر، واطلب كذلك تقارير المجني عليها البنكية وسجلات الهاتف.

- سأفعل.. تسلمت أيضا تقرير البصمات، للأسف لم يجدوا سوى بصمة جزئية.

ومد يده بالظرف ففضّه منصور على الفور وجرى بعينه على
مطور التقرير:

مصلحة الأدلة الجنائية

الإدارة العامة لتحقيق الشخصية

التاريخ: 2025\5\13

رقم التقرير: 6480\ب\2025

جهة الطلب: قسم شرطة مدينة نصر

بيانات الطلب:

- الواقعة: مقتل المجني عليها / منى مرزوق

- تاريخ الواقعة: 2025\5\5

- مكان رفع البصمة: شقة المجني عليها - السطح الرخامي

لخزانة المطبخ.

نتائج الفحص:

تم استلام شريط البصمة المرفوعة من مسرح الجريمة، وبعد

إجراء الفحص الفني تبين الآتي:

• البصمة المرفوعة جزئية وغير مكتملة، تحتوي على عدد

محدود من نقاط التمييز (5 نقاط فقط)

• لا يمكن إجراء تطابق مؤكد بنسبة موثوقة في ظل المعايير

المعتمدة (الحد الأدنى المطلوب: 8 نقاط)

ملاحظات:

• البصمة قد تكون ناتجة عن لمس سريع أو غير مباشر للسطح.

• تم حفظ صورة البصمة داخل النظام للمقارنة المستقبلية في حال توفر بيانات جديدة.

التوصية:

يُرجى موافاة الإدارة بأي أسماء مشتببه بها لأخذ بصماتهم يدوياً وإجراء المقارنة المباشرة مع العينة المحفوظة.

محرر التقرير:

م. أحمد فؤاد - خبير بصمات أول

أنهى منصور قراءة التقرير وهدف:

- اللعنة على البصمات الجزئية التي لا تسمن ولا تغني من جوع، ولكن على أي حال سنعد قائمة المشتبه بهم ونسلمها لمعمل الأدلة الجنائية لمصاحبة البصمات. هل من جديد بخصوص تفرغ الكاميرات؟

- استلمنا عدة شرائط من النيابة وكلفت الملازم تميم بمراجعتها ومصاحبة الداخلين والخارجين بصور المشتبه بهم.

- ممتاز. سأكون بانتظار النتائج.

أوما أنور برأسه وخرج. يحبّ فيه منصور همّته وجدّيته، ولكنه يفتقد أحيانا معاون المباحث السابق، كان الحوار بينهما يمتد لساعات، بخصوص قضايا معلقة وأمور شخصية وأسئلة جدلية وحتى مناقشات فلسفية عقيمة.

تطلّع منصور إلى ملف تحريرات المنشورات المسيئة. لقد أحسن أنور العمل، كل الشخصيات موجودة.. حتى نادين!

اختلج قلبه وهو يتأمل صورتها المرفقة مع الملف، صورة قديمة تملأ فيها ضحكاتها وجهها المليح، والحيوية واللمعان سكتان لفائف شعرها المجعد. قرأ المعلومات المدوّنة عنها:

«نادين أبو النجا 37 سنة - إحصائية اجتماعية بمدرسة...».

جرى بعينه حتى وصل إلى السطور التي تصف مأساتها:

«فقدت ابنها الوحيد منذ ستين على أثر طلق ناري انطلق من أحد الأفراح القريبة، وقد صدر حكم غيابي على المتهمين بالسجن سبع سنوات بتهمة القتل الخطأ، بالإضافة إلى تهمة حيازة أسلحة نارية وذخيرة بدون ترخيص، ولا تزال القوات تلاحق المتهمين الهاربين. وفي هذه الأثناء أقامت نادين حملة على مواقع التواصل الاجتماعي للتوعية بمخاطر ضرب النار في المناسبات وقد لاقت تلك الحملة انتشارا واسعا».

توقف منصور عن القراءة..

كيف يمكن اختصار فاجعة إنسانية كالتي مرّت بها نادين في بضعة أسطر جافة؟



طس منصور وجهه بماء بارد. وجود نادين في القضية يشنت انتباهه
برغم كونها لا تعتبر طرفا أصلا، والملف متخم بغيرها من الأشخاص
الواجب الاهتمام بهم واستجوابهم.

عاد ففتح الملف، لفتت نظره صورة المرأة صاحبة الوجه الشاحب
التي كانت تحتضن الكلب في المنشورات المسيئة، تفاجأ أنها أخت
وليد، لم تكن تشبهه! قرأ تفاصيل التحريات فاسعت عيناه..

لقد وقع على صيد ثمين.



دخلت روبانا غرفة التحقيق ترتدي سروالا أسود ملتصقا بجسدها
النحيل وقميصا قطنيا أسود فضفاضا قصير الكمين، وعلى كتفها حقيبة
جلدية ضخمة. جلست أمام منصور فلاحظ على الفور ارتجافة يدها
الخفيفة وعينيها الغائرتين الزائغتين، تساءل إن كانت تتعاطى عقاقير
ما!

- أستاذة روبانا..

'- دكتورة من فضلك. أظن مكتوب لديك أنني حاصلة على
بكالوريوس الصيدلة.

قالتها وهي تشير إلى بطاقة تحقيق الشخصية الموضوعة أمامه
فقلبها منصور بين يديه وهو يسألها:

- هل تعملين؟

أجابته في ضيق:

- لا..

ثم أضافت:

- متفرغة لرعاية الوالد فهو مصاب بالزهايمر.

أوما منصور برأسه، أشارت التحريات أمامه إلى أنها لم تعمل سوى سنتين بعد التخرج مباشرة ولكنه لم يرغب في إثارة حفيظتها فسالها:

- ما علاقتك بالمجني عليها منى مرزوق؟

ارتسم حزن فوري على ملامحها وقالت بنبرة حانية:

- الله يرحمها، كانت طيبة، أحببتها كأختي.. وغضبت كثيرا من ولید حينما أراد الزواج بأخرى.

أعجب منصور بمهارتها في تغيير صوتها وتعبيراتها، لو امتهنت التمثيل ستكون ذات شأن كبير، قرر إنهاء اللف والدوران فقال:

- غريبة.. مكتوب في التقرير أمامي أنها تسببت لك في حادث سيارة أليم مكثت على أثره في المستشفى عدة أشهر وخضعت لأكثر من عملية جراحية.

التمع الغضب في عينيها..

- كانت حديثة العهد بالقيادة، وطلب مني وليد الذهاب معها إلى طبيببة النساء لأنها كانت في أواخر الشهر التاسع، توقفت سيارة نقل ثقيل أمامنا فجأة، صرختُ فيها كي تضغط على الفرامل ولكن الغيبة ارتبكت وضغطت على دواسة البترين لنجد أنفسنا معجونتين تحت مؤخرة سيارة النقل. هي لم تصب بأذى يذكر، كانت تلبس حزام الأمان وناحيتهما لم تتأثر، أم أنا فلم أكن أرتدي الحزام والسيارة تحطمت تماما من جهتي.

- كنتِ مخطوبة؟

- نذل. تركني بعد الحادث مباشرة.

هتفت في احتقار فنظر منصور في الأوراق أمامه، لقد مرّ على الحادث أكثر من عشرين عاما ولا يزال غضب روبانا على زوجة أخيها وخطيبها السابق متأججا بداخلها وكأن حياتها توقفت عند تلك اللحظة! وغضبها هذا يشكل قبلة موقوتة.

سألها في هدوء:

- أين كنتِ يوم الاثنين الذي قتلت فيه مني؟

- مع والدي في المنزل.

- هل لديكِ شهود؟

تبدل مزاجها ثانية للغضب:

- وهل أنا متهمة؟

- إجراءات روتينية.

- لن أسمح لها بإفساد حياتي حية وميتة.

- من؟

- منى.

- آه.. هل كنت متحمسة لعلاقة أخيك بفدوى؟

- فدوى كانت زميلتي في الجامعة وأنا من عرّفتها ببعض، ولولا أمها الحيزبونة لكانت هي زوجة أخي بدلا من منى. بالطبع كنت متحمسة، ففدوى تليق بأخي.

- ماذا كان رد فعلك حينما رأيت صورتك ضمن منشورات منى؟

- تمنيت لو اختارت صورة أفضل لي.. ولكنها لم تكن لتفعل بالطبع فكرا هيتا متبادلة، أعني كانت...

قالتها في لا مبالاة وهي لا تفتأ تلف الخاتم الذهبي الضخم الذي يزين إصبعها يمينا ويسارا ثم أضافت بابتسامة خبيثة:

- خاصة حينما أخبرتها أنني من رتبت اللقاء الثاني بين فدوى ووليد.

عاد منصور في كرسيه إلى الوراء..

- أنت من أخبرتها إذن.. وماذا كان رد فعلها؟

رفعت زاوية فمها في شبه ابتسامة..

- انفجرت من الغضب، مُنى الساكنة الباردة انفجرت. أتعرف،
هي لم تكن تمنع أن يتزوج وليد عليها أي امرأة. إلا فدوى..

قالتها باستمتاع غريب أقلق منصور. نهض من مكانه ووقف
أمامها، لاحظ اهتزاز قدمها، وحينما رأت هي نظرتة حاولت تثبيتها
بيدها فلم تفلح.

شكرها منصور، وما إن خرجت حتى كتب لديه ملاحظة بالتحري
عن طبيعتها النفسي واستجوابه، أم هل يتصل بنادين ويأخذ رأيها؟

الفاكهة المحرمة

وضع وليد كيس الشطائر أمام جنى وقد فاحت منه رائحة شهية ولكنها أشاحت بوجهها. لقد أتى لها بشطائر الشاورما التي تحبها من المطعم السوري القديم بمنطقة «روكسي» خصيصا لعلها تأكل. فبعد عدة أيام قضتها معه في غرفة الفندق لاحظ أنها لم تأكل إلا القليل، ولكن حينما أشاحت بوجهها بعيدا عن الأكل مجددا علم أنه حان وقت الحديث.

- جنى..

رفعت إليه عينين معبأتين باللوم والعتاب.

- أعلم أنك غاضبة، ولكن صدقيني لم أتخيل أن يحدث كل ذلك. لقد أردتُ زوجة في الحلال وأمك كانت موافقة.

حدجته بنظرة فارغة ولم تعقب فأشار إليها قائلاً:

- أنتِ بنفسك سمعتها أكثر من مرة.

- المسألة لم تكن أبدا الزواج الثاني. بل هي أقدم من ذلك بكثير.

قالتها بمرارة فرفع إليها عينين متسائلتين فأنفجرت فيه:

- لماذا تزوجت ماما وأنت لا تحبها؟ ربما لم تكن مسئولاً عن موتها ولكنك حتماً مسئول عن حياتها التعسة وحياتنا نحن أيضاً.

- أنا؟

- نعم أنت.. أنت الرجل القوام المسئول. لماذا تزوجت امرأة وأنت تحب أخرى؟ هذا ليس عدلاً. لقد عاشت أمي مكسورة القلب فنهش الحزن روحها قبل أن ينهش السرطان جسدها.

- صدقيني حاولتُ أن أحبها.

- لا.. أنت كنت تحب تلك الفدوى منذ اليوم الأول.. أنا نفسي حينما وعيتُ لمعنى الحب كنت أراقبك وأنت جالسٌ بجوار أمي وعيناك شاردتان إلى بعيد. هي تكلمك بحرارة وأنت لا ترد سوى بهممات باردة مقطعة.. ثم كنت أرى ابتسامتك تتسع وعينيك تتوهجان وأنت تفتح صنفحة فدوى خلصة وتمرر إصبعك على صورها ومنشوراتها.

- أنا...

- وهكذا عشت أنا وأخي بين طرفين متنافرين، ندور في فلك علاقتكما البائسة دون حتى أن نكون مرئيين لكما.

- جنى..

- هيا اذهب وتزوجها.. ماذا تنتظر؟ لقد ماتت أمي مكلومة وأصبح الطريق لسعادتك ممهداً.

- لن أتزوجها يا جنى.

- لماذا؟ هل رفضتك ثانية كما رفضتك في الماضي؟

احتقن وجهه وهم بأن يصرخ فيها بكل ما يعتمل بداخله من توتر
وغضب ولكنه أحجم في اللحظة الأخيرة!

ربما ابنته محقة..

ربما هذا هو لب الموضوع ومربط الفرس: أنه لم يستطع قبول
رفضهم له في الماضي حينما كان في عنقوان شبابه ونجاحه ويظن
الدنيا قد حيزت له. لم يصدق أن ترفضه عائلة فتاته ثم تنصاع
هي لرفضهم ولا تتشبث به، لقد جرحه ذلك كثيرا، جرح كرامته
واعتداده بنفسه. البشمةهندس وليد الذي اعتاد طعم النجاح يفشل
في أهم مشروع! وهكذا.. بدلا من أن ينصرف عن فدوى إلى زوجته
وعائلته الجديدة أصبحت رمزا لفشله وهاجسا يقض مضجعه.
صورته كانت دوما أمام عينيه.. الفاكهة المحرمة والحلم بعيد
المنال الذي داعب خياله لسنوات دون أن تطاله أصابعه. الشعور
الممض المستمر بأن نجاحه ناقص ولن يكتمل إلا بالحصول عليها
وهو الذي اعتاد أن يحصل على كل ما يريد. وكلما مرت بها السنين
ازدادت جمالا وإغراء في عينيه مقابل زوجته التي بهتت وانزوت.
لا يصدق كم كان أعمى منقادا لحلمه القديم. هو الذي أصبح
جدا منذ أسابيع معدودة دار بفدوى هنا وهناك وكأنه شاب صغير
بلا حسابات ولا اعتبارات. فدوى.. التي كانت رمزا لحياته الجديدة
وشبابه المفقود أصبح اسمها ثقيلًا على لسانه وقلبه، كيف زهد فيها

نجاة وكم أصبحت خيالا بعيدا ونذير شؤم بعد ما حدث، وما يهاب
أن يحدث من تطورات!

أجاب سؤال ابنته بنبرة مهزومة:

- لن أتزوجها لأنني لم أعد أرغب فيها.

*

دخلت غرفة التحقيق تتهادى بخطوات بطيئة فطغى عطرها النفاذ
على رائحة المبيد الحشري ودغدغ حواس منصور فأجبره على رفع
وجهه.. امرأة رشيقة جذابة ذات عينين ساحرتين وشعر أشقر داكن
مصفف برقة ذكره بأميرات العائلة الملكية البائدة.. ولكن.. هناك شيء
مختلف بها! نظر في ملف التحريات، آه إنه الحجاب. صورتها في
الملف بالحجاب... غير أن الاختلاف كان أكثر من قطعة قماش،
وجهها بالحجاب فيه براءة لم تعد موجودة، هل أبرز شعرها لون
عينها فأشعل فيهما غواية وعمقا؟ أم الحلق اللؤلؤي الجميل الذي
يتدلى من أذنيها يضفي عليها دلالة وغنجا؟

أيا كان.. هي تعرف أنها امرأة جميلة وتتصرف على هذا الأساس.
أشار بكفه نحو المقعد أمام طاولة مكتبه فجلست برقة.

أمسك ببطاقتها الشخصية بين يديه وتدارك ما أزعج روبانا فقال:

- دكتورة فدوى. ما علاقتك بالمجنني عليها الدكتورة منى

مرزوق؟

هزت رأسها يمينا ويسارا ليراقص الحلق على جانبي وجهها وهي
تجيب بصوت له جرس محبب:

- لا أعرفها. لم أرها من قبل.

- وما علاقتك بزوجها المهندس وليد المحمدي؟

أحنت رأسها قائلة:

- مشروع زواج لم يتم.

- هل كنت تعلمين أن زوجته الأولى لا تزال على ذمته؟

- نعم. وليد أخبرني بذلك ولكنني لم أوافق على الزواج منه حتى
أراني فيديو لها تقول فيه إنها لا تمانع أن يتزوج من أخرى.

قالتها. ثم أخرجت هاتفها من حقيبتها فضغطت على أيقونة ماثم
مدته إلى منصور. شاهد منصور الفيديو مرتين ثم أعاد إليها الهاتف
قائلا:

- فهمت. ما تفسيرك إذن للمنشورات المسيئة؟

- لا أعرف.. منذ رأيت المنشورات وكل ما حدث بعدها وأنا
أسأل نفسي هذا السؤال.

- ألم يخبرك المهندس وليد بتفسير مقنع؟

أرخت أهدابها ولمست سلسلتها الماسية..

- وليد..

نظقت اسمه بحزن ثم أردفت:

- لم يحدث بيننا تواصل يُذكر منذ ما حدث.

- مذكور أمامي أنك مطلقة، وقد انتهت شهور العدة. لماذا أحدثت المنشورات المسيئة هذه الضجة؟

أطرقت فدوى وهي تجيب:

- لم نعلن طلاقنا بناء على رغبة الأولاد.

- أين كنتِ يوم وقوع الجريمة؟

- كنت مع وليد في الإسكندرية.

قالتها ثم استدركت:

- ولكن كل منا أقام في كوخ منفصل، يمكنك الاتصال بفندق «ريكسوس» بالمنتزه والتأكد.

منحها ابتسامة خفيفة..

- لا تقلقي.. سنفعل بالتأكيد.

تنهدت في ارتياح ثم تصلب جسدها..

- هل أنا مشتبّه بها؟

- دكتورة فدوى، أنتِ امرأة ذكية، في رأيك من لديه أكبر دافع

للتخلص من المجني عليها؟

- ولكتني لم أعرف بأمر المنشورات إلا بعد موتها حينما أعطاني
وليد هاتفي في الطائرة.

- هل كان هاتفك مفقودا؟

- لا.. وليد وضع هاتفينا في خزانة الغرفة كي لا ننشغل عن بعضنا
البعض.

- حقا!

غزت الحمرة وجتيتها لتعليقه وقالت:

- أرجوك اطلب سجلات هاتفي من شركة الاتصالات. ستجد
أنني لم أستخدمه حتى مساء الثلاثاء.

تبادل النظرات مع أنور ثم قال:

- سنفعل بالطبع. وماذا عن أفراد أسرتك؟

جفلت..

- ماذا عنهم؟

- لقد أساءت لهم المنشورات كثيرا.

- أرجوك لا تزج بهم في التحقيقات. يكفي ما حدث لهم بسببي.

- للأسف لن يكون ذلك ممكنا. نظرا للضرر المتوقع وقوعه

عليهم فلديهم دافع قوي للتخلص من المجني عليها.

أخفت وجهها بين كفيها للحظة ثم رفعت رأسها في إياء..

- هل هذا كل شيء؟

- نعم.. تفضلي.

قالها وهو يمد لها بطاقة كرتونية صغيرة..

- هذا رقمي إذا تذكرت شيئا.

أومات برأسها وأخذت منه البطاقة وتحركت نحو الباب، ومع حركتها انتشر عطرها ثانية.. راقبها منصور وهي تخرج من الباب فمنحه أنور نظرة باردة جعلته يحول عينيه عنها سريعا، انتظر حتى خرجت ثم سأله:

- هل أنت صنم؟ ألم يحرك فيك جمالها أي شيء؟

- ليست طرازي.

- فعلا؟ حسنا.. ما رأيك في ما قالتة؟

سأله منصور وهو يتمنى أن يتجاوب معه في العصف الذهني..

- من السابق لأوانه القطع بأي رأي. أرى أن نفحص سجل هاتفها أولا.

أوما منصور برأسه فأضاف أنور:

- كل ما أستطيع استنتاجه أن وليد هو من أهداها السلسلة الماسية التي ترتديها، وأنها.. تفتقده.

ضحك منصور..

- ملاحظة في محلها، ولكنها هل ستفيد التحقيق؟

- من يعلم.. والآن اسمح لي أن أعود لفحص الأوراق المحرزة من شقة الضحية.

- تفضل يا أنور.

قالها بنبرة استسلام وهو يشير بكفه نحو الباب. خرج أنور فعاد منصور يتصفح ملف التحريات. كان منصور قد وضع قائمة للمشتبه بهم:

■ وليد المحمدي: التخلّص من زوجته لمانعتها زواجه من أخرى

أو بسبب منشورات مسيئة - هل هناك سبب آخر؟

■ أميرة مرزوق: الشقة ذات القيمة المليونية هي دافع لا بأس به

للتخلص من حياة صاحبها.

■ رقية شعراوي: يجب معرفة سبب تحويل المبلغ النقدي.

■ رويانا المحمدي: وجود خصومة منذ سنوات.

■ فدوى فؤاد: الضحية الأساسية للمنشورات المسيئة.

■ داليا فؤاد: ضحية للمنشورات مع الأخذ في الاعتبار حساسية

الجهة التي تعمل بها.

■ عمرو حماده: ضحية أساسية للمنشورات المسيئة.

■ د. متولي: مدير المجني عليها في وزارة الصحة.

كان قد أضاف الاسم الـ ١١ حير للماتمه بناء على شهادة د. رقية بوجود خلافات بين المجني عليها وبين رئيسها في العمل والتي رفضت الإفصاح عن أي تفاصيل مخافة أن يعرف د. متولي ويتقصدها. منذ اليوم الأول للقاء منصور بدكتورة رقية ولديه استغراب تجاه خوفها وخنوعها، عهده بمعشر الأطباء اعتدادهم بأنفسهم. تُرى ما السبب في خوفها؟ هل لديها ماضٍ تخشى أن ينكشف؟ أم تورطت مع المجني عليها في أمر مشبوه؟

*

اتصلت به فلم يرد عليها.. تماما كما توقعت. حاولت عدة مرات ولكن الخط أصبح مشغولا باستمرار فأرسلت إليه رسالة على تطبيق «الواتساب»:

«لقد تذكرتُ شيئاً.. يوم الاثنين الذي حدثت فيه الجريمة أنت لم تكن معي. أليس كذلك؟ نحتاج للتحدث معا».

ظهرت علامة صح واحدة على الرسالة، انتظرت العلامة الثانية طويلا ولكنها لم تظهر. وحينما جنّ الليل عليها أدركت -متأخرة- أن وليد قد حظرها على جميع وسائل الاتصال الخاصة به!

نوبة جنون

بحلول اليوم التالي بدأت خيوط القضية تتجمع..

تلقى منصور مكالمة من وكيل النيابة أخبره فيها أن فريق الأدلة الجنائية كان قد حرّز ضمن محتويات شقة القتيلة كمية كبيرة من أقراص بيضاء مجهولة الهوية مخبأة في إحدى الحقائب وقد تم إرسالها للمعمل لتحليلها وتحديد ماهيتها.

تعجب منصور.. في كل مرة تظهر معلومات جديدة في القضية يتحير أكثر إزاء شخصية المجني عليها. ترى ما الأسرار الأخرى التي تختبئ وراء طيبة وزوجة أربيعينية محترمة؟

قرر منصور النزول في زيارة ميدانية لمقر عملها للتعرف عن قرب على زملائها قبل استدعائهم للتحقيق الرسمي. وصل إلى الصرح الطبي التابع لوزارة الصحة وصعد من فوره لغرفة المدير الذي قرر أن يبدأ به جولته.

احتل المدير غرفة فسيحة في الطابق الثالث ذات نوافذ زجاجية كبيرة مغلقة بينما انسابت من مكيف الهواء الجديد نسيمات باردة

منعشة. غطت أرض الغرفة الخشبية سجادة شبه مهترئة وتناثرت على جدرانها وحدات خشبية تكدمت فيها الملفات وكستها الأتربة. قام المدير من على كرسيه مرحبا بمنصور فتفاجأ بقامته الفارحة وجسده القوي. بدأ بالكلام قائلاً:

- أهلاً سيادة المقدم، كنت أتمنى أن أتعرف بك في موقف أفضل من هذا. لقد فقدنا زميلة عزيزة في ظروف شديدة الأسى.

قالها بنبرة رسمية رنانة وكأنه يخطب في موظفيه، أو ما منصور برأسه قائلاً:

- أخبرني أكثر عن طبيعة عمل المجني عليها وعلاقتها بزملائها.

- دكتورة منى كانت شخصية شديدة التفاني والإخلاص في العمل، تأتي قبل موعدها ولا تمانع في استقبال المزيد من المرضى بعد انتهاء الوقت المخصص لعيادتها الخارجية.

- ولكنتني سمعت أنها شديدة المراس وغير محبوبة من زملائها.

ابتسم المدير ابتسامة وجدها منصور لزجة وهو يقول:

- اذكروا محاسن موتاكم.

تجهم منصور..

- أريد معرفة تفاصيل علاقتها بالجميع. الدكتورة ماتت مقتولة، ولا أستبعد أن ينتمي القاتل إلى هنا.

احتقن وجهه د. متولي بالدماء إلا أنه حافظ على لباقة قائلاً:

- أنا لا أضيع وقتي في تتبع أخبار خلافات الموظفين، طالما كانت
الدكتورة تقوم بواجبها فلا يعنيني أن تكون محبوبة أم لا.

- وماذا عن علاقتها بك؟

احمر وجه الطبيب..

- قلتُ لك كانت ملتزمة ولم تكن لديّ أي شكوى في حقها.

- وماذا عنها؟

سكت الطبيب فأردف منصور متمهلاً:

- دكتور متولي.. لقد قمْتُ بعمل تحرياتي قبل المجيء إلى هنا
وأعلم جيداً الخلاف الكبير الذي وقع بينكما.

قالها منصور على أمل أن يقع الطبيب في الفخ ولكنه مسد شاربه
الفضي بعصبية لم يحاول إخفاءها قائلاً:

- كلام فارغ، لم تحدث بيتنا أي خلافات.

- قبل مقتلها بيوم سمع العاملون شجاراً.

- بخصوص مواعيد العمل، أرادت استثناء وأنا رفضت و...

- حسناً يا دكتور شكراً لك. توقع مني استدعاء قريباً للتحقيق

الرسمي.

خرج منصور من الغرفة مهموماً، طبيب مراوغ على رأس صرح
يدين له بالولاء، ماذا سيفعل معه؟ وكيف سيعرف تفاصيل الخلافات

بين مُنى وزملائها؟ يحتاج إلى مصدر سري من داخل المكان يكشف له الأسرار والمكائد. وقبل أن يفيق من أفكاره وجد نفسه وجها لوجه مع رجل ما إن رآه حتى أطلق ساقيه للريح، بوغت منصور للحظة ثم انطلق خلفه، ولكن بعد كثير من الجري واللهات نجح الرجل في مراوغته واختفى. وقف منصور لاهثا يتلفت حوله فظهرت أمامه امرأة بدينة ذات شعر برتقالي ترتدي زي الممرضات وترمقه بنظرات اهتمام وفضول، سألها بأنفاس متلاحقة وهو يشير نحو الجهة التي اختفى فيها الرجل:

- هل رأيته؟ أين ذهب؟

- من؟

كانت الدهشة في عينيها حقيقية فأشاح بكفه قائلا:

- لا عليك.. أنا المقدم منصور أحقق في مقتل دكتورة مُنى مرزوق.

- كلنا نعلم من أنت منذ اللحظة الأولى لدخولك المبنى.

قالتها بثقة جعلته يقرر أنها هي مصدر المعلومات المنشود، سألها:

- ما رأيك في كوب شاي في الكافيتريا؟

- ما رأيك في وجبة كباب وكفتة في المطعم المقابل للمستشفى بعد ساعة من الآن؟

- ما رأيك في استدعاء رسمي بالقسم؟

رفعت كتفيها وأنزلتهما قائلة في برود:

- ليس لديّ ما أقوله.

اغتاظ منصور، ليس لديه صبر للملاوعة، هل يقتادها إلى القسم ويستجوبها رسمياً؟ ثم فكّر: الطعام يفك عقدة اللسان أكثر من استخدام القوة وهو نفسه جائع.

- حسناً، كباب وكفتة بعد ساعة.

تحرك منصور سريعاً نحو باب الخروج وهو يبحث بعينه وسط الوجوه عن الوجه الحليق شديد السمرة للرجل الهارب.

خرج من البوابة الأنيقة التي تم تجديدها وكسوتها بالرخام مؤخراً في تناقض صارخ بينها وبين المباني المتهاكمة بالداخل. عبر الشارع في خطوات سريعة ودخل إلى المطعم المقابل ينتظر ظهور المرأة البرتقالية.

*

أغلق فهد باب غرفته وأدار المفتاح من الداخل في هدوء مخافة أن تسمع جدته التي لديها حساسية غير مفهومة بالنسبة له مع الأبواب المغلقة. وضع سماعات الرأس وقام بتشغيل مجموعة من أغاني الـ «هارد روك» على أعلى صوت وأخذ يلكم كيس الرمل الأسود لكمات متتالية بكلتا قبضتيه. بعد لحظات خرجت داليا من غرفة والدتها وبدأت تطرق على باب الغرفة وهي تصرخ:

- كف يا فهد عن اللكم، لا أستطيع النوم.

استمرّ فهد في اللكم بوتيرة أسرع فازداد غيظها وكادت تركل فارس
المكّوم بجوار الباب من الخارج منكبا على دفتر الرسم الخاص به.
نظرت إليه في ازدراء وهي تسأله:

- ماذا تفعل؟ وما هذه الرسوم العجيبة؟

أجابها دون أن يرفع رأسه عن دفتره:

- أنتظر حتى يفتح لي فهد الباب.

صرخت ثانية:

- ألم ننبه ألف مرة ألا تغلق الأبواب بالمفاتيح في هذا البيت؟

هرولت نحو غرفتها التي تركتها لفدوى ففتحت الباب دون طرق،
جفلت فدوى التي كانت جالسة على الفراش تحتضن ركبتيها في
صمت. لم تأبه داليا لعيني أختها الغائرتين ولا الحزن البادي على
ملامحها بل صرخت فيها:

- اجعلي ابنك يتوقف عن اللكم. لديّ عمل في الصباح.

قامت فدوى بأكية وتجاوزت داليا دون أن تنظر إليها وذهبت تطرق
على باب الغرفة وتحرك مقبضها دون جدوى، قال لها فارس:

- لن يسمعك.

طربت بقبضتيها في عنف فرد فهد أخيرا:

- ماذا؟

- افتح الباب.

- سأفتح حينما أريد.

لم تدر فدوى بنفسها إلا وهي تصرخ صرخات متواصلة وتطرق الباب بكتفها. انكمش فارس على نفسه وتراجعت داليا خطوتين إلى الوراء وأقبلت والدتها على صوت الصراخ، وفتح فهد الباب.. رفعت فدوى فارس من ياقته فدفعته إلى داخل الغرفة ثم ذهبت إلى المطبخ وجلبت سكيناً كبيراً أخذت تطعن به كيس الملاكمة حتى انقطع. اتسعت عينا فهد وهو يراقب خيوط الرمال تنساب من الكيس إلى الأرض في هدوء. احتقن وجهه بمزيج من الخوف والغضب واغزورت عيناه بالدموع، بينما دفن فارس وجهه في وسادته. صرخت فيهما:

- إذا وجدت هذا الباب مغلقاً ثانية سأخلعه من مكانه.

ثم مرت بجوار أختها وأمها عائدة إلى الغرفة وهي تقول لهما بغل:

- ارتحما؟

تبادلت داليا النظرات مع أمها في صمت بينما دخلت فدوى إلى غرفتها ورزعت الباب من خلفها ثم انهارت على الفراش تبكي.

تهاني

مرّ الوقت على منصور وهو جالس في صالة المطعم شبه الخالية في هذا الوقت من اليوم يدون ملاحظاته عن القضية وقد سال ريقه واضطربت أخشاؤه بسبب رائحة المشويات اللذيذة بينما تيّس ظهره بسبب جلسته على الكرسي الأرايسك الضخم القديم. دخلت تهاني فرأت منصور على الفور. حيّته برأسها ثم سحبت قائمتي طعام من على طاولة خشبية جانبية وجلست أمام منصور في هبة دينا صورية ومدت له إحداها قائلة:

- نطلب الطعام أولاً..

تصفح منصور القائمة المهترئة في بطاء، انتظرت لحظة ثم انتزعتها منه في نفاد صبر قائلة بصوتها الأجش:

- ليست كيمياء، ماذا تتوقع في مطعم مشويات؟ سأطلب لك.

تلفتت حولها بحثاً عن النادل ثم قامت فدخلت إلى المطبخ وبعد لحظات عادت إليه تفوح رائحة الشواء من ملابسها وقالت:

- طلبت طرب وكباب وكفتة وریش ونيفة وسجق، ربع كيلو من

كل شيء ولكن الریش نصف.

حذق بها منصور فأضافت مبتسمة:

- ولم أنس الحساء والسلطات..

ثم جلست وهي تقول في ثقة:

- لن تندم على هذه الغدوة حينما أخبرك بما أعرف.

لوى منصور شففيه فقالت في امتعاض:

- لا أحب النظر إلى وجه مكشّر وأنا أكل.

- حسنا.. أخبريني بما تعرفين.

- كنت سأؤجل الكلام لما بعد الطعام ولكن لا بأس، فلي تطمئن

أنها صفقة رابحة.. سأبدأ بدكتور متولي.

سردت له تهاني كل ما تعرفه عن الدكتور متولي منذ أن تم تعيينها في المستشفى منذ عشرين عاما حينما كان متولي طبيبا صغيرا وكيف أنشأ على مر السنوات مافيا لتهريب الدواء والتجارة فيه خارج الملفات الرسمية. تشقّب أعضاء المافيا بين منعدمي الضمير من الأطباء والتمريض والصيادلة، بحيث يستغلّ الطبيب جهل المريض فيكتب له دواء معينة من القائمة المتفق عليها، فيقوم الصيدلي بصرفه والاحتفاظ به ثم يبيعه بالسوق السوداء. طريقة بدائية للسرقة ولكنها نجحت على مر السنوات بل وانتعشت في الأوقات التي كانت الأدوية فيها تنقص من السوق. سألتها منصور:

- وما علاقة دكتورة منى بالأمر؟

وصل الطعام فتوقفت تهاني عن الكلام وكأنها شهرزاد ومدت يديها في لهفة تتناول الأطباق من النادل وترصها على المنضدة..

- أين الخبز والسلطات؟

وضع نادل آخر سلة خبز وعدة أطباق صغيرة من السلاطة فاقتطعت تهاني رغيفا إلى نصفين وبدأت تغمره في سلاطة الطحينة ثم مدت يدها نحو المشويات وسحبت ريشة مصمصتها بسرعة شديدة، رمقت منصور بنظرة سريعة فوجدته يراقبها فمدت إليه رغيفا من العيش قائلة:

- مد يدك يا باشا ويسم الله.. الكلام لن يطير.

«ولا الأكل».. أراد أن يجيها ولكن عصافير معدته اعترضت وزقزقت فاستسلم ومد يده.

انتهت موقعة الطعام بسلام وأحضر النادل إبريق شاي بالنعناع فصبت تهاني لهما كوبين وارتشفت من كوبها رشفة سريعة وهي تسأله:

- أين كنا؟

تنهد منصور وهو يحاول مقاومة الوخم الذي أصابه بعد الأكل:

- ما علاقة دكتورة منى بما قلته عن دكتور متولي؟

- دكتورة منى اكتشفت هذه المافيا، وحينما عرف دكتور متولي حاول أن يضمها إليهم فغضبت وثار، وهددته بإبلاغ الشرطة.

- وهل فعلت؟

- لا، الدكتور متولي احتواها ووعدتها بالتوقف. وبالفعل أبلغ أعضاء عصابته أن يتوقفوا فترة. بدأت الأمور قليلا، ثم منذ عدة أشهر بدأت دكتورة منى تتغيب كثيرا وتطلب إجازات فانتهز الدكتور متولي الفرصة واستأنف النشاط.

- فاكشفت ثانية.

- وصفعته..

انتصبت قرون استشعار منصور:

- ماذا؟

ظهر التلذذ على وجهها وهي تتبادل رشف الشاي مع الحكي:

- يوم الأحد كانت د. منى هنا في المستشفى، أوقفت سيدة ريفية تحمل ابنها المريض بمرض عضال يُصرف له دواء غال، طلبت منها «الروشتة» ونظرت فيها ثم انتظرتها عند باب الخروج فنظرت في كيس الأدوية الذي استلمته من الصيدلية والذي احتوى على ثلاث علب بدلا من الخمسة المكتوبين. احمرّ وجهها وأسرعت على السلالم نحو مكتب المدير.

ثم ابتسمت متصنعة البراءة وهي تكمل:

- كنتُ هناك بالصدفة.. فوقفْتُ بجوار الباب وسمعتها تصرخ في المدير وتهدهده، ثم رأيتُه يقترب منها فجأة بجسده الضخم فصفعته ثم تراجعت في خوف وخرجت مسرعة من الغرفة.

- عظيم..

دَوِّنْ بضع كلمات في دفتره ثم سألها:

- والآن أخبريني.. من الرجل الذي هرب لرؤيتي؟

- يا باشا لدينا من المخالفات ما يجعل الكثيرين يهربون لمراك.

لم يسألها كيف عرفوا أنه من الشرطة، فقد اعتاد أن يميزه الخارجون
عن القانون من لغة جسده. سألها مجددا:

- من هو؟

- ألن نحلي؟ اطلب لنا مهلية.

أخذ منصور نفسا عميقا ثم نادى النادل وطلب منه المهلية بينما
طلبت هي منه لف بواقى الطعام قائلة:

- الولد سعيد ابني يحب المشويات مثلي، يقول إن اللحم الجيد
هو ما يجعله عبقرى في الكمبيوتر.

- حقا!

علّق منصور في شرود والوجه الأسمر الهارب يحتل فكره.
وصلت المهلية وبدأت تهاني تأكل فظهر لها شارب أبيض مضحك
أعلى فمها لم تتبه له وهي تقول:

- سألتني عن الرجل الأسمر، هناك الكثير من الرجال الأسمر كما

تعرف..

ضاق منصور ذرعا بتلاعب تهاني فقال بنبرة غاضبة اشتمت فيها
هي نبرة التهديد:

- أسمر.. ضئيل الجسد.. وله شعر أسود لامع.

- آه هذا رجب.

- رجب؟

- رجب أبو جبل الممرض.

ثم مالت نحوه تسأله:

- هل تعرف الدكتور رقية؟

آه.. الدكتورة رقية تظهر من جديد. أوما لها برأسه إيجابا فهمست
له وهي تشير إلى عينيها:

- رأيتها بهاتين مع رجب في غرفة التمريض.

لاحظت اندهاش منصور من مقصدها فتعالت ضحكاتها ثم أشارت
نحو طبق المهلبية الخاص به وسأله:

- ألن تأكله؟



عاد منصور إلى مكتبه منهكا، كان بإمكانه العودة إلى البيت، ولكنه
يشعر به موحشا على الدوام منذ انفصاله العنيف عن زوجته، يفضل
المكوث في المكتب ما أمكنه ذلك. انشغل ذهنه بما سمعه من تهاني،
تهديدات منى للدكتور متولي ووقوفها حجر عشرة أمام مكتسباته

هو ومافيا تجارة الأدوية المسروقة دافع كافٍ جداً، ولو أضفنا عليه صفعاتها المهينة له، سيكون لدينا مشتبه به مناسب. ثم هناك الهروب الغامض للممرض رجب والعلاقة المزعومة بينه وبين الطيبة رقية! يجب استدعاؤه للتحقيق على الفور.

هَمَّ بالاتصال بالرائد أنور فوجده يدخل عليه ومعه الملازم تميم يحمل الحاسوب المحمول بين يديه. اللعة في أعينهما أنباته بأن لديهما كشفاً ما! وضع تميم الحاسوب أمام منصور وقام بتشغيل فيديو كاميرا المراقبة، بعد مرور ثوان تذكر منصور كم هي صعبة ومملة مهمة مراجعة الأشرطة، أشخاص يدخلون البناية ويخرجون طوال الوقت، كما يدخل البعض ويخرج من باب المتجر الكبير الموجود في الدور الأرضي والذي له مدخل آخر بداخل البناية. أوقف تميم الفيديو وهو يشير إلى أحد الوجوه. تمنع منصور في الصورة وتمكن رغم رداءتها من تمييز الوجه النحيل. رنا بعينه إلى ركن الشاشة ليقرأ التوقيت ثم قال:

- استدعها للاستجواب حالا.

أوما برأسه وهم بالخروج فاستوقفه قائلاً:

- هناك شيء آخر.

وحكى له ما أخبرته به تهاني وطلب منه إجراء تحرياته حول د.

متولي وذلك المدعو رجب واستدعاهما للتحقيق.

خيوط جديدة

جلست رويانا أمام منصور ووضعت حقيبتها البنية الضخمة على
ساقها فأخذت تهتز مع اهتزازهما في حركة أزعجته. راقبها للحظة
وهي تنفخ وتهش بحركات عنيفة ذبابة لزجة حامت حول رأسها في
إصرار ثم سألتها:

- قلت أنك كنتِ مع والدك يوم مقتل المجني عليها؟

كفت عن مجارية الذبابة وأجابته:

- نعم.

- ولكن تحرياتنا أثبتت غير ذلك..

تململت رويانا وبدأت تقرض أظافرها..

- ها ما قولك؟

- متى كان ذلك؟

- يوم الاثنين الماضي.

- لحظة أراجع المواعيد فأنا لا أتذكر.

فتحت هاتفها ثم قالت دون أن ترفع وجهها عنه:

- كنتُ عند طبييتي النفسية.

- وأين تقع عيادتها؟

رفعت إليه عينين بريتين:

- في نفس البناية.

ضيق منصور عينيه..

- بناية القتيلة؟ صدفة غريبة!

هتفت رويانا:

- بالعكس.. وليد هو من رشحها لي لأنني لم أكن مرتاحة مع

طبيبي السابق.

- ومتى كان موعدك معها؟

- في الحادية عشرة صباحا.

طلب منها منصور بيانات الطبيبة، واتصل بها فور خروجها.. رحبت

به فسألها منصور عن مواعيد زيارات رويانا، راجعت الطبيبة سجلاتها

وأكدت أن إحدى الزيارات كانت في نفس يوم وتوقيت مقتل مُنى.

مزيد من الصدف الغريبة!

ما الذي يمنع رويانا من المرور على مُنى بعد موعدها؟ ربما

لتشمت بها، أو تتشاجر معها بسبب المشورات المسيئة التي تضمنت

صورة لها، فاندلع الشجار بينهما ولم تشعر رويانا إلا وهي تخنقها.
الخنق وسيلة قتل بدائية تعبر عن الغضب والتهور، وهما صفتان تليقان
كثيرا برويانا. سأل الطيبة عن احتمالية ذلك فأكدت:

- الاضطراب النفسي الذي تعاني منه رويانا منذ سنوات يجعل
هذا الاحتمال وارداً.

- ولكن لماذا احتفظت بغضبها تجاه منى كل هذه السنوات؟

- البشر يختلفون في طريقتهم في التعامل مع الصدمات. كما أن
الغضب عادة ما يتناسب طردياً مع الخسارة، وخسارة رويانا كانت
كبيرة.

- تركها خطيبها؟

- نعم، وهناك أمور أخرى لا أستطيع ذكرها احتراماً للسرية، لكن
ما خسره رويانا لا يعوض. رغم العلاج النفسي، لم تستطع تجاوز
الحادث. كأنها إن سامحت منى، ستفقد غضبها، والغضب هو الركيزة
القوية التي لازمتها لسنوات حتى باتت تعرف نفسها به وتعتبره جزءاً
أصيلاً منها.

أنهى منصور المكالمة وهو يتأمل الكلمات. فهمها جيداً، فقد
تشابهت قصته مع قصة رويانا، لكنه كان وحده، والوحدة كانت حليفته
التي يرفض التخلي عنها. لكم ألف وحدته وأحبها، لولا نادين، الومضة
التي تأتيه كل حين لتذكره بما يفقده ويفتقر إليه.

أبعد بكفه الذبابة اللزجة التي جعلته هدفا بعد خروج روبانا وأبعد
معها أفكاره عن الوحدة ونادين. روبانا لديها الفرصة والدافع فما الذي
ينقصه؟ الدليل المادي القاطع!

أخرج قائمة المشتبه بهم ووضع نجمة بجوار اسمي روبانا
والدكتور متولي وأضاف اسم رجب.. لم يتوقع أن تحيد القضية بعيدا
عن المنشورات المسيئة التي ظن أنها الدافع.

وتساءل عما سيكتشفه لاحقا؟



أتى المساء سريعا فاستقل منصور سيارته باتجاه بيته لكي ينعم
بقسط من النوم ولكنه وجد نفسه يتوجه نحو «كوبري عباس». ابتسم..
فبعد تفكيره عن الوحدة وجد نفسه يبحث عن أنيس، ولن يجد خيرا
من النيل والجسر والبشر عليهما. صف سيارته أعلى الجسر بجانب
مجموعة مقاعد بلاستيكية رصتها بائع مثلجات على الرصيف بمحاذاة
السور. عربة المثلجات اليدوية الملونة وأغاني التسعينيات المنبعثة
منها اجتذبت مجموعة من الشباب فاستندوا إلى السور يأكلون الآيس
كريم. بالإضافة إلى أسرة من أب وأم وطفلين ترجلوا من على دراجة
الآب النارية وجلسوا على المقاعد بانتظار أن يأتيهم أبوهم بالمثلجات.
استند منصور بدوره على السور يتأمل النيل الممتد إلى ما لا نهاية..
كان الجو جميلا بشكل استثنائي، فداعب نسيم الليل شعره الأسود
الذي ازدادت فيه الشعيرات البيضاء مؤخرا لتذكره بعمره الذي يمر..

لم يستطع الاسترسال في أفكاره بسبب مزاح الشباب الصاخب فابتعد قليلا يلاحقه صوت المطرب إيهاب توفيق من بعيد يوقظ ذكريات حبه الأول:

«بحبك يا أسمراني.. بحبك يا أسمراني».

اتسعت ابتسامته وهو يدندن مع الأغنية على لحن النايات مسترجعا الفيديو المصور لها وإيهاب توفيق يرقص بكتفيه بين فتاتين جميلتين مرتديا قميصه الأصفر الفاقع. تعالى رنين هاتفه ليفصله عن الأغنية ويعيده إلى وقائع القضية، إذ تلقى مكالمة من وكيل النيابة أخبره فيها أن الفحص المعملي للأقراص البيضاء التي وجدوها في بيت المجني عليها أفاد بأنها أقراص «التامول» المخدرة الممنوع تداولها تجاريا!

تعجب منصور.. ما الذي كانت تفعله طيبة مشهود لها بحسن السيرة مثل منى بهذه الكمية؟ يعلم أنها مريضة سرطان ومن الطبيعي حيازتها لمسكن آلام قوي المفعول ولكن الكمية المذكورة كبيرة إلى حد الاتجار. هل لهذا علاقة بالدكتور متولي ومافيا تجارة العقاقير الطبية؟ هل انضمت منى لعصابته؟ أم سرقت الأدوية لعرقة نشاطاته؟ هل الأقراص المضبوطة هي الدافع الحقيقي لقتلها؟

قبل أن يسترسل في أفكاره أتته مكالمة أخرى، من أنور هذه المرة، أخبره فيها باكتشاف تميم لظهور اثنين آخرين من المشتبه بهم في شريط كاميرا المراقبة غير رويانا، فكلّفه منصور باستدعائهما للاستجواب ثم عقب في شروده:

- يا لغرابة تحولات القضية، من انتحار لقتل، ومن فراغ إلى خمسة
مشتبه بهم دفعة واحدة.

- بل ستة، عثرت في سجلات هاتفها على رقم مجهول اتصل بها
عدة مرات قبيل مقتلها بقليل.

«داوي.. بالشوق آهاتي».

- ماذا تقول؟

- معذرة، كان هذا إيهاب توفيق، ها قد ابتعدت عن الصوت.. تقول
وجدت رقما مجهولا؟

لم يفهم أنور علاقة إيهاب توفيق بالتحقيق ولكنه أجابه على كل
حال:

- أعني رقما غير مسجل ضمن أرقام المشتبه بهم أو الذين لهم
علاقة مباشرة بالمجني عليها، سأعد لك ملفا عنه صباحا.

أنهى أنور المكالمة سريعا كعادته دون أن يترك لمنصور فرصة
المشاركة في أي عصف ذهني، ولكنه نظر أمامه وأدرك أن لديه شريكا
مثاليا؛ النيل الممتد تحت أضواء الكورنيش وصوت إيهاب توفيق
الآتي من بعيد.

جار السوّ

استيقظ منصور متأخرا على غير عادته فأسرع إلى عمله بالقسم حيث وجد بانتظاره صاحب أحد الوجهين اللذين اكتشفهما تميم في تسجيل كاميرا المراقبة؛ عمرو حماده الذي ميّزه منصور من صورته الموجودة في ملف القضية وصوره ضمن المنشورات المسيئة. أجلس عمرو أمامه وتأمله قليلا قبل أن يبدأ التحقيق، رجل أربعيني متوسط الطول يميل إلى الامتلاء، له وجه مستدير ولحية سوداء مشنّبة وشعر مجعد قصير مصفف بشكل مرتب.

- أستاذ عمرو لن أطيل عليك. لقد كشفت التحريات أنك تواجدت بالقرب من مسرح الجريمة وقت وقوعها فما قولك؟
بدت الدهشة على وجه عمرو..

- مسرح الجريمة؟ أنا لا أعرف أين هو أصلا.. أعني أعرف أنها ماتت في بيتها ولكتني لا أعرف أين يقع.

- تقاطع شارع مكرم عييد مع شارع أشرف يكن.
ضيق عمرو عينيه وقال في حذر:

.....
- الشركة التي أعمل بها تقع في شارع متفرع من شارع مكرم
عبد.

فقال منصور في نفاذ صبر:

- بناية «أسواق البركة»، السوبر ماركت الشهير.

- آها.. أعرف تلك البناية، أعرج عليها كثيرا مؤخرا في طريقي إلى
العمل منذ انفصالي عن زوجتي لشراء شطائر للإفطار.

- كاميرا مدخل البناية هي التي التقطت وجهك لا كاميرا مدخل
المتجر.

ابتسم عمرو وهو يقول ببساطة:

- أفضل الدخول إلى المتجر من مدخل البناية لأنه يفضي مباشرة
إلى ركن الجبن بدلا من المرور وسط ممرات المتجر الضيقة المزدحمة
بالمشتريين.

كان عمرو محقا في وصفه، فذلك ما فعله منصور أيضا، فهو
كأعزب كثيرا ما يملّ من إعداد الإفطار لنفسه أو شراء شطائر الفول
والطعمية من عربة الفول القريبة فيعرج على «أسواق البركة» ويختار
نوع الخبز ومكونات الشطيرة من ركن الجبن مباشرة. يبدو أن عزاب
حي مدينة نصر يتشابهون كثيرا. سأله منصور:

- هل لديك شهود؟

- أنني كنتُ بالسوبر ماركت؟ بالطبع لا.

- ولكن توقيت منتصف النهار لا يتناسب مع موعد الذهاب إلى العمل.

- مواعيد عملنا مرنة.

أوما منصور برأسه، ردود عمرو منطقية ولا غبار عليها. قرر أن يستغزه قليلاً..

- كيف تعاملت مع المنشورات المسيئة؟

لاحظ منصور اختلاجة سريعة في عينيه ولكنه أجاب في هدوء:

- وكأنني لم أرها.. التجاهل دوماً سلاح في مواجهة المسيئين.

- ألم تفعل أي شيء على الإطلاق؟ ماذا عن عملك؟ تأثر ولا ريب بتلك المنشورات.

مز عمرو رأسه نافياً..

- لم يكن للأمر تأثير يذكر، إذ إنني لست واجهة للشركة ولا أتعامل مع العملاء. لذلك أثرُ التغيب بضعة أيام حتى ينسى زملائي الأمر أو يتناسوه.

- بهذه البساطة؟

رسم عمرو ابتسامة على شفثيه جاءت مشدودة وهو يجيب:

- تعرف المثل الذي يقول «اصبر على جار السوء ميت سنة.. يا يرحل يا تجيله مصيبة تأخذه»؟ هذا هو مبدئي في الحياة.

أكدت الذبابة الواقعة على أذن عمرو في أريحية دون أن يحاول
هشها على مبدئه فأجابه منصور؛

- أعرفه، كما أعرف المثل الذي يقول «اتق شر الحليم إذا
غضب».

- ليتني أعرف كيف أغضب.. ما كان سيبقى هذا حالي. فقدتُ
زوجتي وسمعتي ولم أستطع حتى حماية أولادي من التمر.

صوته المليء بالمرارة جعل منصور يتساءل إن كان قد تدخل في
اللحظات الأخيرة كي يحمي نفسه وأحبائه!

صرفه منصور واستدعى الرائد أنور الذي دخل ويده ملف جديد
وضعه أمامه قائلاً:

- صاحب الرقم المجهول لم يعد مجهولاً.

- من هو؟

- رجب أبو جبل، الممرض الذي أخبرتني عنه.

ظهر الاهتمام على وجه منصور، فأردف أنور:

- هناك المزيد. فبعد التعرف على وجه المدعور رجب، تم تمييزه
ضمن الذين دخلوا العقار محل مسرح الجريمة في توقيت وقوعها.

ضرب منصور سطح الطاولة في غضب وهو يتذكر الوجه الأسمر
المدعور وهو يولى هارباً..

- كان يجب أن أقبض عليه في حينها..

- لا تلم نفسك، لم يكن لديك أي سبب لتشك فيه، ونحن اعتدنا أن يفر من وجوهنا الخارجون عن القانون. المهم.. لقد رأينا في الفيديو يصعد إلى العقار حاملا بيده حقيبة بلاستيكية خرج من دونها كما أنه أظهر غضبا ملحوظا أثناء الخروج بخلاف حالته عند الدخول..

زم منصور شفتيه، كان يجب القبض عليه فور أن عرف اسمه من تهاني. لو هرب سيكون الأمر برمته خطأ ومسئوليته. انتبه من أفكاره على صوت لطمة. نظر فوجد ذبابتين قيتلتين على سطح طاولة المكتب أرداهما أنور بضربة سريعة بواسطة الملف قبل أن يخرج!



تفاجأت ماهيتاب حينما رأت صديقتها..

- فدوى.. ما هذا الشعر الأبيض؟ شعرك يحتاج إلى صبغ جذور. وما هذه التجاعيد حول عينيك؟ هل أهملت روتين بشرتك؟ تحتاجين إلى المواظبة على «الريتينول» فورا. لا تتظري موعد حقن النضارة.

أجابتها فدوى بابتسامة جانبية يائسة، كانت تعرف أن هذا سيكون تعليقها على هبتها لذلك حاولت تحاشي لقاءها والتحجج بمختلف الحجج حتى فاجأتها ماهيتاب بزيارة منزلية دون اتفاق مسبق.

- فدوى، لا تجعلني وليد يشمت بك، أريه من هي فدوى الجميلة التي أدارت رأسه وذكره بما فقده. هيا معي إلى صالون التجميل.

قالتها ماهيتاب وهي تقوم من مقعدها وترفع فدوى من ذراعها..

- هيا.. وسنقوم بعدها بتصوير عدة فيديوهات تعودين بها
لمتابعيك.. لا نريد أن نفقد «الريتش» العظيم الذي حققته المنشورات
المسيئة.

قاومتها فدوى قائلة:

- لا تذكريني أرجوك.

لمعت عينا ماهيتاب في إثارة وهي تقول:

- تلك المنشورات كانت أفضل ما حدث لك. غدا ستقولين
ماهيتهاب قالت. هيا بنا.

لم تقاومها فدوى أكثر، ربما هي محقة.. في قرارة نفسها أرادت
الخروج من أزمته وإثبات لمن حولها أنها قوية ولن تنكسر، خاصة
وليد. في هذه اللحظة تعالى صوت شجار عنيف، خرجت مسرعة من
الغرفة لتفاجأ بمشهد لم تره من قبل:

فهد ممدد على الأرض وفارس يوسعه ضرباً!

صرخت فيهما وهي تحاول إبعاد فارس عن أخيه:

- ماذا حدث؟

أجابها فهد وهو يجاهد للقيام:

- ابنك المجنون يضربني لأنني أخبرته إن بابا مشتبه به.

امتقع وجهها وصرخ فيها فارس:

- ضابط المباحث استدعاه للتحقيق لأنه دخل بناية تلك المرأة يوم مقتلها.

- وهل دخلها حقاً؟

أجابها فهد في غيظ وهو يهندم ملابسه:

- نعم.. لأنها بناية أسواق البركة التي يشتري منها فطوره.

تملص فارس من بين ذراعيها ووقف في مواجهتها قائلاً:

- أنت السبب في كل ما حدث، عليك إصلاح ما فعلته..

سألته في ضعف:

- ماذا تعني؟

- اتصلي بذلك المحقق وأخبريه أن بابا ليس له أي علاقة بمقتل تلك المرأة.

أتمن فهد على كلام أخيه صارخاً:

- نعم.. تحملي مسئوليتك تجاهنا ولو لمرة!

قالها ثم دخل غرفته ورزع الباب من خلفه بشدة جعلت طلاء إطار الباب الأبيض يتساقط على الأرض تاركاً فارس واقفاً وحده يلهث في غضب.



امراة لحظية

دخلت صاحبة الوجه الثاني الذي اكتشفه تميم في فيديو كاميرا المراقبة غرفة منصور ببدلة رسمية سوداء وظهر مشدود وذقن مرفوعة وشفتين مزمومتين وشعر مشدود ومعقوص في كعكة أعلى رقبتها، كانت شديدة الاختلاف عن أختها الجميلة الممتلئة بالأنوثة برغم تشابه ملامحهما. أجلسها منصور ونظر في بطاقتها الشخصية وقرأ بصوت عال:

- أستاذة داليا فؤاد.. أهلاً بك..

أومات له في صمت فقال:

- لن أطيل عليك، بضعة أسئلة سريعة، لقد شوهدت في مشادة كلامية مع المجني عليها منى مرزوق أمام العقار محل إقامتها صباح يوم الجريمة، فما قولك؟

بنبرة رسمية سريعة أجابته:

- هذا ما حدث بالفعل. أساءت لي المنشورات كثيراً وأثرت على عملي فكان يجب عليّ إيقافها بأي طريقة فالتقيت بالمرحومة لمحاولة إقناعها.

- كيف حصلتِ على عنوانها؟

- من رويانا.. المنشورات أريكتني كثيرا ولم أستطع الوصول
لفدوى فخطر على بالي الاتصال برويانا، وهي من اقترحت عليّ
التواصل مباشرة مع منى وأعطتني رقم هاتفها ولكنها لم تجب على
مكالمتي فعدت للاتصال برويانا، التي أعطتني عنوانها وأوهمتني أن
اللقاء سيكون مشمرا.

- أوهمتك؟

- نعم.. لأن ما حدث كان كارثة، بمجرد أن رأيت منى أمامها
عرفتني وانفجرت في السباب قبل حتى أن أنطق بأي كلمة، وكنت أنا
الأخرى على أعصابي فلم أتحمل هجومها فرددت لها السباب الصاع
صاعين. كان لقاء عاصفا انتهى سريعا بلا أي نتائج.

- ثم ماذا؟

- لا شيء.. عدت إلى البيت أرتعش من الغضب ولم أتواصل
معهما مجددا حتى حدث ما حدث.

- لم تفكري في انتظارها حتى تعود، فتحاولين معها مرة أخرى؟
- لم يحدث..

- ولكن سيارتك لم تغادر الموقع إلا بعد عدة ساعات.

اختلجت عينها للمرة الأولى منذ بداية الاستجواب، ولكنها
أجابت بذات النبرة الرسمية:

- لم أتحرك على الفور، فكما قلتُ لك كنتُ أرتعش من الغضب.
فضلت أن أبقى في السيارة بعض الوقت حتى أتمالك أعصابي. ثم
نزلتُ منها ومشيت قليلا في الشارع، فالمشي دوما يهدئني. وجدتُ
منهى قريبا فدخلت وشربت فنجانا من القهوة.

- ومتى غادرت المكان؟

- لا أعلم.. كنتُ في حالة من عدم الاتزان أفقدتني إحساسي
بالوقت.

- هل دخلتِ البناية أو أيا من المتاجر الواقعة فيها في وقت
خلال انتظارك؟

نظرت في عينيهِ بثبات وأجابته:

- لا.. لم أفعل.



وجدتها واقفة في انتظاره.. كالعادة.

تلاشت ابتسامته، وفهمت هي نظرتَه فهمت بالرحيل. ناداها
فجأة:

- أستاذة نادين.. من فضلك.

أشرق وجهها، فانتقبض قلبه لما أحياء في قلبها من أمل زائف
فأسرع قائلا:

- لذني استشارة بخصوص قضية جارية.

- قضية!

هتفت في حيرة ففتحت لها باب غرفة مكتبه وأدخلها ثم أوصى شعبان أن يأتيها بمشروبها المعتاد؛ ينسون مُحلّى بالعسل، العسل الذي اشتراه منصور خصيصا لها واحتفظ به في بوفيه القسم بعد أن تتابعت زياراتها على مكتبه. جلس منصور ونظر إليها، الحزن الكامن في عينيها وفي جوارحها لا يزال حيا ينبض، من قال إن الحزن شعور ساكن؟

- سيادة المقدم ما الأمر؟

انتبه من أفكاره فسألها:

- هل تابعت قضية مقتل الدكتورة منى مرزوق؟

ضيق عينيها..

- منى مرزوق؟

- نعم.. وفدوى بنت فؤاد، وولديها فهد وفارس.

ظهر على محياها الاهتمام:

- آه آه.. طبعاً.

لم يجد منصور ما يقوله، فهو لا يعلم لماذا طلب دخولها في المقام الأول.. بل يعلم بالطبع، لن يكذب على نفسه، أدخلها كي ينعم بقربها قليلاً، ولكن ماذا سيقول؟ ارتجل سؤالاً:

- ما رأيك في مدام فدوى؟ أعني من الناحية النفسية. هل هي

قادرة على القتل؟

ظهر الاستغراب في عينيها..

- وهل هي مشتبه بها؟

- كل الاحتمالات قائمة.

أجابها وقد بدأ يستشعر خطأ ما يفعل.. رفعت كتفيها وخففتها

قائلة:

- أنا لست متخصصة في علم نفس الإجرام كي أجيب على هذا

السؤال.. بالتأكيد لديكم خبراء في هذا الأمر.

شعر منصور بالإحراج ولكنها أنقذته بقولها:

- على أي حال سأخبرك بانطباعي عنها ربما ينفعك..

- تفضلي أرجوك.

- فدوى امرأة لحظية.

رفع منصور حاجبيه في استغراب فأضافت:

- تعبير أحب أن أصف به الشخصيات التي تنظر تحت قدميها

وتبحث عن حلول سريعة وسعادة سريعة ونجاح سريع.

- اممم..

- انتظر.. أنا لا أحكم عليها. فنحن جميعا نشد السعادة والنجاح

والراحة بشكل أو بآخر. ولكن هناك من يختار الطرق الطويلة المضمونة

التي يدفع فيها ثمن ما يريد ليناله بالنهاية، وهناك من يختار الطرق السريعة

السهلة التي قد تنجح مؤقتا ثم تتفارق لاحقا. أقول هذا من خلال تعاملتي معها ومع ولديها.. الولدان لديهما مشكلات نفسية مثلها مثل أي مراهق يمر أبواه بتجربة الانفصال. استدعيناها لمناقشة الأمر، فلم تبد اهتماما يذكر، ولم نلاحظ أي تحسن على الولدين، ثم بعد المنشورات المسيئة استدعيناها ثانية، بدت لي وقتها كمن يبحث عن حلول سريعة لإنهاء الأمر دون الأخذ في الاعتبار حلولاً طويلة المدى ذات فعالية أكبر.

أوما منصور برأسه ممثلاً مجاراتها بينما كان شاردا في ملامحها الهادئة وخصلات شعرها المجدد التي تتحرك مع حركة وجهها بشكل لولي جميل. أضافت هي:

- لقد شاهدت عدة فيديوهات من المحتوى الذي تقدمه على مواقع التواصل الاجتماعي رغبة في فهمها.. محتوى سريع يعتمد على الإبهار البصري دون قيمة حقيقية. أعتقد أن هذا ما تمثله فدوى على وجه العموم. وهو لا يسيئها، فلكل منا اختياراته في الحياة، بخلاف الأستاذ عمرو والد ابنيها الذي يحاول احتواء الولدين وعبور الأزمة بهما بأقل الخسائر.

قالتها ثم هزت رأسها وأضافت:

- إنه رجل محترم، وفهد وفارس محظوظان به كأب.

عقب منصور سريعا دون تفكير:

- إنه مشتبه به أيضا.

- ماذا؟

- نحن لم نستبعد أي أحد حتى الآن.

شردت نادين بعينها وهي تقول:

- لا أظنه فعلها فهو رجل شريف.

ثم أشاحت بوجهها وأردفت بنبرة جشَاء استغرب لها منصور:

- هكذا نفعل دوما.. نغض الطرف عن الجاني ثم نلوم الضحية إذا قررت دفع الظلم عن نفسها؟

- ماذا؟

قبل أن تجيبه تعالى رنين هاتفه برقم غير مسجل؛ لم يجبه ورفع رأسه إلى نادين:

- ماذا قلت؟

تجاهلت سؤاله وقامت وهي تقول:

- أنا تحت أمرك في أي وقت.. إذا احتجت لأي شيء بخصوص هذه القضية فلا تردد في الاتصال بي. فأنا.. أنا أهتم لأمر الولدين.

أمر الولدين أم أمر والدهما الأعزب؟ أراد منصور أن يسألها في غيظ ولكنه رسم على وجهه ابتسامة وشكرها محاولاً ألا يبدو إحباطه ظاهراً. تعالى رنين هاتفه مجدداً بذات الرقم المجهول فخرجت نادين وأجاب هو المكالمة في ضجر سرعان ما تحول لاهتمام فاعتدل في كرسيه وهو يستمع للمفاجأة التي فجرتها المتصلة!

إوزة تبيض ذهباً

استدعى منصور أنور كي يخبره بالمفاجأة:

- فدوى اتصلت منذ قليل..

اتسعت عينا أنور في فضول فأكمل منصور:

- أخبرتنى أن اليوم الذي قُتلت فيه المجني عليها، ولید لم يكن معها في المتزّه كما زعم. بل لم تراه يومها إلا في السادسة مساءً

ارتسم اهتمام فوري على وجه أنور وهو يعقب:

- هذا لا يعني فقط عودة ولید إلى رأس قائمة المشتبه بهم..

أكمل منصور:

- وإنما عودة فدوى أيضاً. ابدأ بالتحقق فوراً من إدارة فندق المتزّه ومن المطار والمنافذ البرية. يجب أن نكشف تحركاتهما في ذلك اليوم. من اليسير أن يسافر أحدهما إلى القاهرة فيقترب جريمته ثم يعود إلى الإسكندرية في نفس اليوم، سواءً جواً أو براً. كلّف تميم بمراجعة تسجيلات كاميرا البناية بحثاً عن وجهيهما، ربما دخل القاتل منهما من مدخل المتجر متخفياً وسط الزبائن.

- سأفعل، ولكن...

- ماذا؟

- لماذا أبلغتك فدوى بهذه المعلومة؟ ولماذا الآن؟

- يبدو أن علاقتها بوليد قد تأثرت بما حدث.

- أوريما تعرف شيئاً يدين أبا أولادها الذي حققنا معه مؤخرًا فأرادت أن تحميه وتوجه أنظارنا بعيداً عنه؟ يجب أن نعيد استجوابها.

- سنفعل.. ولكن بعد أن تأتيني بتفاصيل تحركاتها هي ووليد في ذلك اليوم. هل وصلتكم للمدعو رجب؟

نكس أنور برأسه فهتف منصور في غضب:

- لم تجدوه؟

- لم نستدل عليه في محل سكنه المسجل بالبطاقة، وزملاؤه في العمل أخبرونا أنه لم يظهر منذ أن رأته.

- هل قلت منا؟ وزع مواصفاته على الأمانة.

أوما أنور برأسه وخرج بينما شعر منصور بمراحل الغضب تغلي بداخله، رجب كان بين يديه فتركه يهرب في حماقة.

ولكن الندم لا يفيد. يجب أن يتحرك.



عبر منصور بوابة المركز الصحي وسأل على الدكتور ر
فأرشده أحد الموظفين إلى قسم العيادات الخارجية وهناك أخبر
أن وقت عيادتها شارف على الانتهاء. انتظر منصور على أحد
الذكاء الخشبية المتناثرة في القاعة الفسيحة لقسم العيادات، جاء
جلسته مؤلمة ومزعجة بسبب انبعاج الألواح الخشبية من ته
والفراغ الذي خلفه نقصان أحدها فقام يتجول في القاعة متحاشي
النظر في وجوه المرضى التي انحفر عليها الهم وفجأة سمع صر
من ورائه يناديه:

- منصور باشا.

استدار ليجد تهاني البرتقالية تقف خلفه هاشة هاشة، سأله بصوته
الأجش:

- جئت من أجلي يا باشا؟

- لا.. كما أنني تناولتُ غدائي.

أجابها مستبقاً فتغيرت ملامحها ووضععت كفيها على خصرها
وهي تقول بنبرة غليظة:

- هل هذا تعليق يليق بأولاد البلد؟ تعالى لتعرف أنني لستُ
بخيلة.

- أنا بانتظار الدكتور رقية.

- حسناً.. لا تتحرك سأعود لك.

اختفت تهاني في إحدى الغرف للحظة ثم ظهرت وفي يدها علبة معدنية ذات غطاء بلاستيكي شفاف وفي الأخرى شوكة بلاستيكية وهي تقول:

- سأذيقك محشي لم تذق مثله من قبل.

امتعض منصور ورفع كفه رافضاً ولكنها فتحت العلبة تحت أنفه لتسلل منها رائحة مسيلة للعاب دكت كل حطونه. لقد كذبت حينها قالت أنه لم يذق مثله من قبل.. هذه هي رائحة محشي جدته في الشرقية، المحشي الذي كانت تطعمه باللبنة الضاني وتدهن وجهه بالقشدة وتسويه على الكانون. لم يستطع المقاومة وهو العازب الذي قلما يذوق طعام البيت. مد الشوكة وأخذ صباعاً ذاب في فمه، أغمض عينيه والتهم الثاني والثالث والرابع وهو يغيب في الذكريات ولم يفق حتى أجهز على محتويات العلبة كلها. فتح عينيه وأخرج منديلاً مسح به فمه فني حرج فأخذت تهاني العلبة الفارغة وغطتها بدون تعليق مكتفية بابتسامة وهزة رأس.

انفتح باب العيادة وخرجت الدكتورة رقية متجهمة. ظهر على وجهها الاستغراب المشوب بالقلق حينما رأت منصور الذي اقترب منها وطلب الجلوس معها على انفراد. عادت به إلى داخل غرفة العيادة وأغلقت الباب وجلست خلف طاولة المكتب المعدنية الرمادية الصغيرة وسألت في تجهم:

- خيراً يا سيادة المقدم؟ لماذا أتيت إلى محل عملي؟

- أتفضلين استدعائك إلى القسم؟

- لا فارق، المهم أن تنتهي من الأمر سريعاً فلديّ عيادة أخرى بانتظاري.

- هنا؟

- لا..

تململت في جلستها..

- في المركز الطبي التابع للمسجد القريب.

- حسناً، لن أطيل عليك، ما علاقتك بالمرض المدعو رجب أبو جبل؟

أصاب وترا واضحا لدى الطيبة إذ اتسعت عيناها واختلجت شفاتها وهي تقول:

- ماذا تعني؟ لا توجد علاقة سوى العمل.

- سأخبرك بما أعلم. أنت متورطة مع رجب في تجارة غير شرعية للعقاقير الطبية.

شحب وجهها وحركت رأسها يمينا ويسارا:

- لا.. لا يمكن أن أفعل ذلك.

قرب منصور وجهه من وجهها قائلاً:

- دكتورة رقية، أخبريني بالحقيقة فتعاون معاً لكشف ما جرى لصديقتك، أو...

ازداد وجهها شحوبا وانزلت نظارتها على أنفها بفعل العرق الذي
نفصد من وجهها فأكمل منصور:

- ستعرضين للمساءلة القانونية لإخفائك معلومات وعرقلة
مسار التحقيق، ولتعاونك مع رجب أبو جبل في تجارة العقاقير
المحظورة.

انهارت دفاعاتها وتسابقت الكلمات على لسانها:

- لا علاقة لي برجب أو تجارة الأدوية، كل ما فعلته كان لإراحة
صديقتي من آلام قاتلة في أيامها الأخيرة.

عاد منصور بظهره إلى الوراء وهو يتساءل إن كان بصدد الاستماع
إلى اعترافها بالقتل الرحيم ولكنها خالفت توقعاته بقولها:

- آلام السرطان في مراحله الأخيرة لا تخففها سوى العقاقير
المخدرة شديدة المفعول، ولكن الجرعات التي كانت تُصرف لُمُنِي
وفق الخطة العلاجية لم تكن كافية، مُنِي أرادت أن تعمل وتتحرك
أمام الجميع بشكل طبيعي حتى اللحظة الأخيرة. لذلك احتاجت إلى
كميات كبيرة ولم تجد أمامها سوى رجب.

عقد منصور حاجيه بينما توالى الكلمات من فمها:

- رجب الذي اكتشفت مُنِي سابقا اختلاسه للعقاقير المخدرة من
غرف العمليات وهذته بالإبلاغ عنه، اضطرت بعد مرضها أن تكون
هي زيوتته.

أنهت كلامها فجأة واتبعتة بزفرة طويلة وكأنما تخلصت من العبء الذي كان يورقها. انتظر منصور لحظة حتى هدأت قبل أن يقول بتمهل:

- دكتورة رقية..

تعلقت عيناها بفمه انتظارا لما سيقول..

- أصدقك.

تنفست الصعداء.. فسألها:

- والآن لديّ سؤال، هل تعلمين أين ومتى سلم رجب آخر دفعة من المخدر للدكتورة موني؟

- كان الاتفاق أن يسلمها هنا، يوم الأحد السابق لوفاتها.

- ألم يفعل؟

- طلب يوما إضافيا ليستطيع جمع الكمية المتفق عليها.

- أي أن التسليم تم يوم الاثنين.

- لا أعرف إن كان قد تم قبل وفاتها أم لا.

واختق صوتها، فقال منصور:

- ضبطنا في منزلها كمية كبيرة وكاميرات المراقبة للعقار محل سكنها أظهرت رجب دخولا ثم خروجها وعلى وجهه آيات الغضب.

شهقت رقية..

- رجب هو من...؟

- كانت لديه الفرصة، ولكن ما دافع رجب لقتلها؟ ألم يكن
يخشى من ورائها؟ هل كان في نيتها الإبلاغ عنه؟

أجابته رقية في حيرة:

- لا على الإطلاق، تسكين آلامها كان كل همها في أيامها
الأخيرة. وكانت تدفع له أضعاف ثمن المخدر في مقابل أن يأتيها به
دون شوشرة.

- إذن؟ هل هناك أي شيء آخر يجب أن أعرفه؟

- أخبرتك بكل ما أعرف.

- بماذا تفسرين ملامح الغضب التي ظهرت على رجب أثناء
خروجه من بناية المجني عليها؟

- ربما تشاجرا.

- وما الأسباب المحتملة؟

فكرت رقية للحظة ثم قالت:

- الكمية.. اعتاد رجب أن يتفق مع منى على كمية محددة ويأخذ
ثمنها ثم يسلمها كمية أقل، ولكن في المرة الأخيرة المبلغ كان كبيرا
وبالتالي كان عليه جمع كمية كبيرة سواء عن طريق اختلاسها أو
شراؤها من السوق السوداء كما كان يقول.. أغلب الظن أنه سلمها
الطلب ناقصا كمية كبيرة فغضبت وتشاجرت معه.

- حسنا.. أشكرك.

خرج منصور من عندها واتصل بوكيل النيابة وسأله عن كمية التامول المضبوطة بشقة الضحية فوجدتها لا تزيد على نصف الكمية التي أخبرته بها رقية فتوقع أن يكون ذلك سبب الخلاف الذي وقع والذي ربما أدى لقتل منى في لحظة غضب. اتصل بأنور وأبلغه بالمستجدات وكلفه بسرعة ضبط المتهم، ولكن السؤال الذي لم يستطع كبحه عن ذهنه:

- هل كان الخلاف بين رجب والمجني عليها يستحق قتل الإوزة التي تبيض له ذهباً في أيامها الأخيرة؟

الفراق الثاني

فتح أنور باب غرفة منصور دون طرق هاتفا:

- تم ضبط رجب.

تهلل وجه منصور:

- عظيم.. أين؟

- أفادت التحريات بوجود ابن أخ له يعمل فتيا في حقل رأس غارب للبتروول فوجدناه مختبئا عنده. تم القبض عليه وسيصل إلى هنا في خلال ساعات. ولكن مدام فدوى وصلت الآن هل أدخلها؟

- اتركها بالخارج حتى يأتي وليد وراقب لقاءهما ثم أخبرني بانطباعك قبل إدخالها.

، أوما أنور برأسه وخرج. مرّت قرابة العشرين دقيقة قبل أن يدخل ثانية والاهتمام باد على وجهه..

- أنت محق، العلاقة بينهما ليست على ما يرام. فوجئ وليد بمرآها وحاول أن يتواري ولكنها لمحتة فظهر عليها الغضب.

- أي أنه هو من قام بقطع العلاقة.

- مما يشكل دافعا كافيا لها للانتقام منه وإفساد حجة غيابه واتهامه بقتل زوجته.

- سنرى، أدخلها.

غاب أنور لحظة ثم عاد بها وانزوى في الركن كعادته. دخلت فدوى وقد عقصت شعرها الأشقر الداكن في ذيل حصان مرتفع وارتدت فستانا باللون البيج له أزرار سوداء كبيرة وحزام أسود حدد خصرها بدقة ونظارة شمسية كبيرة أخفت نصف وجهها. طلب منها منصور خلع النظارة، ترددت ثم رفعتها عن عينيها وأسندتها على مقدمة رأسها. لاحظ انطفاء بريق عينيها والهالات التي ظهرت تحتها ولكنه قال:

- هكذا أفضل.. والآن، أخبريني عما حدث يوم الاثنين في المتز.

- لم يحدث شيء يذكر، استيقظت صباحا فلم أجد وليد، غاب النهار كله ثم ظهر في المساء.

- بماذا فسر لك اختفاءه؟

- ترك لي خطابا يقول فيه أن لديه عملا هاما وأنه سيأتي في السادسة مساء.

- وهل فعل؟

- نعم.. وذهبنا لتناول العشاء معا.

- هل لاحظتِ أي شيء غريب عليه يومها؟

حاولت فدوى استعادة ذكرى ذلك اليوم..

«ارتدي الفستان الأخضر من أجلي»، جزّت على أسنانها في غيظ
حينما تذكرت كم كانت ساذجة يومها لتصدق وعود الحب وأحلام
اللقاء الثاني الوردية. أيقظها منصور من أفكارها:

- هل تذكرت شيئاً؟

هزت رأسها نافية فنظر منصور في عينيها وقال:

- مدام فدوى.. هل أنت مدركة أن عدم وجود المهندس وليد
معك يوم الاثنين يدينك مثلما يدينه؟ لم تعد لديك حجة غياب.

بُهِتَ وجه فدوى تدريجياً وهي تستوعب ما يقول، هتفت:

- ولماذا سأقتلها؟

- لرفضها زواجكما.. أو لإيقاف الحملة المسيئة التي شنتها
ضدك.

- ولكنني أخبرتك أنني لم أكن أعلم شيئاً حينها. هل تأكدتم من
سجلات الهاتف؟

تجاهل منصور سؤالها..

- لماذا لم تخبرينا من البداية أن وليد لم يكن معك يوم الجريمة؟

مررت فدوى كفها على شعرها في ارتباك ثم قالت بنبرة بدت

صادقة لمنصور:

- في البداية تاهت عني المعلومة فالأحداث جرت سريعاً ولم أكن مدركة في أي يوم ماتت ولم أربط التوقيت بالأيام التي قضيناها معاً. ثم حينما ميزت الأمر لم أظن أن له أهمية فتقتني وقتها في وليد كانت مُطلقة.

- وما الذي تغير؟

طرفت بعينها ولم تجبه فقال:

- دعيني أسألك السؤال بطريقة أخرى، هل اعترافك له علاقة باستجوابنا للأستاذ عمرو وزوجك السابق؟

أشاحت بوجهها وهي تقول:

- لا يوجد أي تواصل بيني وبين عمرو.

- وماذا عن الأولاد؟

- أرجوك لماذا تضغط عليّ بهذه الأسئلة؟ أخبرتك بكل ما أعرف.

حدجها منصور بنظرة أخيرة ثم سمح لها بالرحيل. وما إن خرجت من الغرفة حتى قال أنور:

- لقد تحققنا من سجلات هاتفها وهي صادقة.

- أعلم.. ولكنني استدعيتها لأكشف حقيقة العلاقة بينها وبين وليد، وأكشف دافعها للإبلاغ عنه.

- أما زلت تشك في وليد رغم كل الدلائل التي تشير إلى رجب؟

- هل راجعت تحركاته مع المطار والمنافذ البرية؟

- لم يغادر الإسكندرية عن طريق المطار إلا مساء الثلاثاء مع فدوى، ولم تعبر سيارته المنافذ البرية ولكنه كان يمكن له بالطبع أن يستقل وسيلة مواصلات غير معروفة.

- أي أن النتيجة صفر.

- للأسف..

- حسنا أدخله.



أسرعت فدوى خطاها في اتجاه باب الخروج من القسم. ثبتت عينيها على بلاط الأرض وهي تمر من أمام وليد فهاجمتها رائحة عطره، الرائحة التي كانت تدغدغ مشاعرها وتعددها بالحب أصبحت تصيبها بالغثيان. فوجئت بوليد يقطع عليها طريقها وينادي باسمها في خفوت. لم تصدق بجاحته، رفعت رأسها إليه فقال:

- هل لي في كلمة معك؟

انتفشت فتحتا أنفها من الغضب، كيف يجرؤ؟ ولكنه كرر:

- فدوى.. كلمة؟ لن أطيل عليك.

توقفت واستدارت نحوه ولاحظت الرائد الضخم الذي يراقبهما بنظراته من خلفه فسأله:

- ماذا تريد؟

- أنا آسف.

- حقا؟

صرخت بها رغما عنها فالتفت نحوهما رؤوس الموجودين فظهر عليه الحرج وهو يقول:

- أرجو أن تفهميني. لم أتعمد أي شيء مما حدث. كنتُ صادقا معك، أحبتك سنوات عمري كلها وأردت الزواج منك وجعلك ملكة حياتي..

أجابته متهمكة:

- ثم ماذا أيها الملك الوسيم؟ لم تجد فردة حداثي الكريستالي على درجات قصرك؟
احمر وجهه..

- أردت فقط الاعتذار. والتأكيد على أنني لم أتعمد إيذاءك ولكن الظروف كانت أقوى مني.

- بل نرجسيتك هي الأقوى من كل شيء، حتى في هذا الموقف! كل ما يهمك أن تبرئ نفسك، وتظهر بمظهر الرجل الذوق الذي يعتذر عن أخطائه.. حقا! ماذا يعني اعتذارك أو يساويني أمام كل ما فقدته؟ أرجوك اعفني من ذكر رأيي فيك ومشاعري تجاهك..

قلبت عبارتها في وجهه ثم نظرت إليه من أسفل إلى أعلى وتركته وابتعدت تدب بكعب حداثها على الأرض بقوة.



أنهى منصور استجواب وليد سريعا دون جديد، أصر الرجل على أنه لم يغادر الإسكندرية وأنه كان في اجتماعات طيلة اليوم، ثم واجه منصور بسؤال:

- لماذا سأقتها؟ ما الدافع؟

- لكي تتزوج فدوى.. لكي توقف المنشورات المسيئة.

- كنت سأتزوج فدوى في كل الأحوال، ومُنَى كانت تعرف ذلك. كما أن المنشورات لم تؤثر عليّ كثيرا فلا أنا وجهها معروفا على السوشيال ميديا ولا أنا أعمل في شركة أو جهة سيسوؤها موقفي. أنا رجل أعمال حر ولستُ حتى الواجهة التجارية لشركتي. لماذا سأقتها؟ لا دافع لديّ.

قال وليد عبارته الأخيرة بثقة ثم أعطى منصور قائمة بمواعيد وأسماء الناس الذين اجتمع بهم يوم الجريمة. لم يكن منصور متأكدا إن كان وليد يتعاون معهم بحسن نية أم يعتمد إغراقهم في تفاصيل وشهادات مختلفة، غير أنه قرر تتبعها في كل الأحوال.

صرف منصور وليد، وبعد لحظات دخل أنور يقتاد رجلا قصير القامة نحيل الجسد له وجه أسمر رفيع وشعر أسود لامع مثبت إلى الوراء بمادة لزجة. وقف الرجل أمام منصور منكس الرأس فسأله في غلظة:

- رجب أبو جبل، ما علاقتك بالمجنّي عليها الدكتورة مَنى

مرزوق؟

- علاقة عمل عادية يا باشا، صحيح طباع المرحومة كانت صعبة،
ولكنني أعرف كيف أسير مراكب العمل.

- لماذا هربت حينما رأيتني؟

- أنا؟ يقطعني يا باشا. أنا لم أرك أساسا.

- تمام.. لماذا زرت المجني عليها في بيتها يوم مقتلها؟

امتقع وجهه رجب ولم يحر جوابا فعاجله منصور:

- كاميرات العمارة رصدت وجهك، كما تبين لنا اتصالك بالمجني
عليها قبل مقتلها بقليل.

أشاح الرجل بذراعيه وهو يهتف:

- أعلم ما تفعلون.. تلفقون لي التهمة لأن ليس لي ظهر.

دفعه أنور دفعة مفاجأة في كتفه تأوه لها وهو ينهره:

- دعك من ذلك التمثيل البرخيص، نلفق لك ماذا يا تافه؟ وجهك
في الكاميرات ورقمك في سجل مكالمات القتيلة.

لوى رجب شفثيه ثم قال في استسلام:

- حسنا.. الدكتوراة طلبت مني بعض الأوراق الخاصة بالعمل
فجتها بها.

- وما تلك الأوراق؟

- أوراق مناقصة لتوريد حقن وسرنجات للمعمل.

- لم نجد أي أوراق مما تزعم في ما حرزنه من شقة المجني عليها.

دأرت عينا رجب في عقلته وهم بالكلام فأوقفه منصور قائلاً
بخشونة:

- أتعلم ماذا وجدنا؟ وجدنا أقراص التامول.. كمية كبيرة، هل تعرف عنها شيئاً؟

- تامول! أنا يا باشا ممرض غلبان على باب الله.

- وما قولك في أنك كنت تبيع أقراص التامول للمجني عليها؟
وأنك استلمت من الدكتورة رقية خمسين ألف جنيه لتوفير كمية كبيرة لها.

خرج هسيس من بين شفثيه:

- بنت الكلب وشت بي.

- ماذا تقول؟

تغيرت ملامح رجب وهو يقول:

- سأعترف.. أنا فعلت ذلك، ولكن من باب الأخوة والمروءة
تجاه زميلة مريضة.

- والأخوة والمروءة هي ما جعلاك تتخلص منها؟

شحب وجهه..

- ثلاثة بالله العظيم ما فعلت شيئا من ذلك. أنا سلمتها التامول ورحلت.

- وعلى وجهك غضب قاتل.

- لأنها أهانتني واتهمتني بسرقتها، وكل ذلك لماذا؟ لأن الكمية نقصت قليلا، ماذا أفعل؟ من الصعب جمع كمية كبيرة في وقت قصير، فعلت ما بوسعي.. لولا أنها كانت مريضة ويبدو عليها الضعف الشديد لجعلتها تدفع ثمن كلماتها.

- رجب أبو جبل أنت مقبوض عليك بتهمة قتل مثنى مرزوق، سيتم حجزك وعرضك على النيابة. خذه يا عسكري.

جره شعبان من ياقته وهو يصرخ:

- مظلوم يا باشا. أنا تركت الدكتوراة في شقتها حية ترزق، حتى اسأل الست العارجة ذات الوجه الطويل. كانت تطرق بابها وأنا خارج من عندها، وما إن رأتها المرحومة حتى ظهر عليها الغضب. صدقني أنا مظلوم.

تبادل أنور ومنصور النظرات بينما اصطحب العسكري رجب إلى الخارج وهو يصرخ مستعظفا تارة ومهددا ومتوعدا تارة أخرى، وقبل أن يلفظا بقول دخل عليهما تميم وهنف وهو يلوح بورقة في يده:

- لدي اكتشاف سيغير مسار التحقيق!



خمس وثلاثون دقيقة تكفي للقتل

انفجر منصور بالضحك فجأة فرفع تميم حاجبيه غير فاهم بينما
ضيق أنور عينيه فمسح منصور براحتيه على صفحتي وجهه ليبدد
إرهاقه شاكيا:

- كل لحظة معلومة جديدة تغير اتجاه التحقيق حتى فقد التحقيق
بوصلته!

خفت ملامح الحماسة على وجه تميم فندم منصور على رد فعله
وأشار له أن يتكلم. وضع الشاب الورقة التي بيده أمام منصور فوجدها
وصفة طبية تحمل اسم رويانا المحمدي مدونا بها بعض أسماء لعقاقير
طبية ومختومة بختم طبييتها النفسية. جعله الإجهاد غير قادر على
تحليل المعلومات التي قرأتها عيناه فرفع رأسه عن الورقة متسائلا،
طلب له أنور فنجان قهوة «دوبل» من شعبان بينما أشار له تميم إلى
خانة التاريخ. يوم الاثنين إياه، وما الجديد؟ لقد عرفوا سالفا أن رويانا
كانت عند طبييتها في نفس يوم مقتل المجني عليها. ثم ومض شيء
ما في عقله فسأل:

- أين وجدتها؟

- في شقة المجني عليها ضمن الأوراق المحرزة.

التمعت عينا منصور، رجب كان صادقا!

قفز اسم رويانا إلى رأس قائمة المشتبه بهم، فإذا كانت قد تواجدت بشكل أو بآخر في شقة المجني عليها وقت وقوع الجريمة، فلماذا لم تخبرهم؟ وماذا كانت تفعل؟ أصدر أوامره باستدعاء رويانا للاستجواب مجددا وكلف تميم بمراجعة الكاميرات للتأكد من إفادة رجب بأن زيارته لمُنَى سبقت زيارة رويانا. خرج أنور وتميم لتنفيذ التوجيهات بينما قام منصور بمهاقفة طيبة رويانا النفسية، اندهشت الطيبة لاتصاله بها ثانية ولكنه طلب منها أن تخبره بدقة عن موعد وصول رويانا إلى العيادة والفترة التقريبية التي قضتها، راجعت سجلاتها وأخبرته بما طلب فأنهى المكالمة تزامنا مع عودة تميم إليه بالتوقيتات الزمنية التي أخذها من شريط المراقبة، وبمقارنتها بما قالته الطيبة اتضح وجود فجوة زمنية مدتها خمس وثلاثون دقيقة. خمس وثلاثون دقيقة تفصل بين خروج رويانا من عيادة الطيبة وبين خروجها من البناية.

خمس وثلاثون دقيقة تكفي للقتل!



وضع منصور رأسه بين كفيه فتعالى رنين الهاتف الداخلي فجأة. نظر منصور إلى تميم مستغهما فظهرت أمارات الذنب على وجهه وهو يعترف:

- استوقفني اللواء مندور الورداني منذ دقائق وسألني عن
المستجدات فأخبرته.

- هذا بالفعل ما ينقصنا.. تشويش ورداني.

استمر الهاتف في الرنين يالحاح فاستسلم منصور وأجاب رئيسه
وأوما برأسه ووضع السماعة وقال بنبرة متعبة:

- اجتماع.

اجتمع ثلاثتهم حول المائدة الخشبية الدائرية بغرفة اللواء مندور.
وكالعادة كان اللواء غائصا في كرسيه الوثير ومنكبا على مراجعة ملف
ضخم. بعد دقائق، رفع اللواء عينيه عن الملف وخلع نظارة القراءة
ونظر إليهم في تجهم قائلا:

- لماذا التأخير؟

تبادل تميم وأنور نظرات الحيرة بينما ابتسم منصور ابتسامة جامدة
قائلا:

- معذرة يا سيادة اللواء، إنه العمل كما تعرف.

أشاح اللواء بلباؤه قائلا في تفهم:

- كان الله في العون.

وجد منصور دفاتر جديدة وأقلاما فاخرة موزعة على سطح الطاولة
أمام كل مقعد، وسبورة بيضاء كبيرة على حامل خشبي وكوبا به عدة
أقلام أشار لهم اللواء قائلا:

- طلبتهم من شعبان لكي نعمل على القضية. هيا يا منصور ابدأ،
واستخدم الألوان كلها من فضلك في الشرح.

هذا هو اللواء ورداني.. مولع بالشكليات!

انصاع منصور مغالبا ضيقه وشعوره بتضييع الوقت وأمسك بالقلم
الأسود وكتب أسماء المشتبه بهم على السبورة:

وليد المحمدي - رويانا المحمدي - رجب أبو جبل - د. متولي
الغمرأوي - فدوى فؤاد - داليا فؤاد - عمرو حماده - أميرة مرزوق -
د. رقية عبد الصمد - تهاني البرتقالية.

- اكتب أسماء النساء بالأحمر لو سمحت.

علق اللواء قائلاً فجز منصور على أسنانه وفعل.

- حسنا، ماذا لديكم من أدلة بخصوص كل منهم؟

قام أنور من مكانه وأخذ القلم من منصور قائلاً:

- سأقوم أنا بتلخيص القضية.

نظر إليه منصور في امتنان، ترك القلم بين يديه وعاد يجلس
حول المائدة. تكلم أنور أولاً عن وليد المحمدي وما لديهم من
معلومات عنه، مذكراً بأن الإحصائيات عادة ما تشير إلى أن الزوج
هو أكثر المشتبه بهم ترجيحاً في جرائم قتل السيدات. تدخل تميم
قائلاً:

.....
- قمت بالاتصال بالأرقام التي تركها لنا بخصوص اجتماعات العمل يومها، أغلبهم ردوا بإثبات وجوده معهم، ولكن لا تزال هناك فجوات زمنية في ذلك اليوم. وضعت بها جدولاً.

قالها تميم وأخرج من جيبه ورقة مثنية فردها أمامهم، نظر فيها منصور باهتمام ثم أخرج هاتفه والتقط لها صورة، ثم بدأ في تدوين ملاحظاته وأسئلته في الدفتر الورقي الفاخر أمامه. لا يعرف لماذا لا يزال الشك يراوده تجاه وليد رغم وجود مشتبه بها على رأس القائمة الآن، أهو الحدس؟ أكمل أنور كلامه عن رويانا وعشورهم على دليل جديد يؤكد وجودها بداخل شقة المجني عليها وقت وقوع الجريمة بالإضافة إلى شهادة رجب برويتها.

- ولكن دليل الإدانة هذا ظرفي، لا يربطها بشكل مباشر مع اقتراف الجريمة.

استغرب منصور تعليق اللواء مندور، يبدو أنه استفاد من الدورة التدريبية الأخيرة! رفع تميم يده على استحياء فأشار له اللواء إشارة مسرحية ليتكلم.

- وإذا كان الدافع مشكلات مزمنة منذ سنوات فلماذا قتلها الآن؟

- ربما بسبب المنشورات المسيئة فقد تضمنت صوراً لها هي أيضاً.

قالها أنور فعقب منصور:

- ولكن لم يبدُ عليها الغضب من ذلك بالعكس بدت في الاستجواب وكأنها تتسلى بمسألة المنشورات تلك.

- إذن نريد إجابة السؤال، لماذا الآن؟ ونريد أيضا دليل إدانة يربطها بالجريمة. هل توصلتم لصاحب البصمة الجزئية؟

- ليس بعد. قام الطب الشرعي بمقارنتها مع بصمات المشتبه بهم ولم نحصل على نسبة تطابق أكثر من ثلاثين بالمئة ومع كونها بصمة جزئية فهذه النسبة لا يعتد بها.

أجابه أنور ثم لخص ما يعرفونه عن رجب أبو جبل وختم كلامه عنه بقوله:

- هو موجود الآن بحجز القسم تمهيدا لعرضه على النيابة ولكنه أفاد برؤيته لرويانا تدخل شقة المجني عليها أثناء خروجه. إذا أكدت رويانا إفادته سنضطر لإخلاء سبيله..

- هل لديكم أي دليل مباشر يربطه بالقتل؟ بصمات أو أداة جريمة؟

- ليس بعد سيادتكم.

اعترف منصور لنفسه أن اجتماع ورداني ليس بالفكرة السيئة، فأسلوب أنور المنظم ومداخلات تميم جعل الأمر أشبه بجلسة غصف ذهني وساعده على تصفية أفكاره وتحديد الثغرات الواجب سدها. أكمل أنور فليخص ما يعرفونه عن الدكتور متولي فهبّ اللواء قائلا:

- ما كل هذه المخالفات؟ هل أبلغتم الجهات المختصة؟

- تم بالفعل إبلاغ الرقابة الإدارية والجهات المختصة.

- هل ظهر وجه متولي ذلك في كاميرات المراقبة؟

أجابه تميم:

- لا.

- إذن احذفوه من قائمة المشتبه بهم.

- ولكنه ربما دخل إلى البناية من مدخل السوق التجاري.

- لا أحب التشبث، ستتبع الخيوط التي ظهر فيها المشتبه بهم في الكاميرات، إذا لم نصل لشيء سنبحث خلف الآخرين.

اللواء مندور الورداني يتطور ويصبح ذا عون حقيقي، غريبة! تفكر منصور.

أكمل أنور:

- فدوى فؤاد - السيدة التي كا...

قاطعها اللواء ورداني مطلقاً ضحكة متقطعة:

- فدوى بنت فؤاد. أشهر من نار على علم. قلبي يحدثني أنها القاتلة، فلا كيد مثل كيد النساء، خاصة الجميلات والشقراوات منهن.

تجاهل أنور تعليق رئيسهم واستمر في سرد ما يعلمونه عن فدوى وأخبره أنها أفادت في التحقيق أنها لم تكن تعلم برفض المجني عليها

لزوجها من زوجها. وكذلك لم تعرف بمسألة المنشورات إلا بعد وقوع الجريمة فتعالت ضحكة اللواء ثانية حتى أصبحت مصدر إزعاج..

- وصدقتهما؟

ظهر الضيق على وجه منصور فأسرع تميم يقول:

- لقد راجعنا سجلات الهاتف المحمول الخاص بها. لم يشهد هاتفها أي نشاط منذ مساء السبت وحتى مساء الثلاثاء. كما راجعت مع إدارة الفندق، لم تجر منه أي مكالمات سوى مرة واحدة بلا رد. تجاهم اللواء وهو يقول:

- وماذا عن عدم وجود حجة غياب؟

- كاميرات الفندق أثبتت أنها لم تغادره طيلة اليوم.

- وهل يغادر المجرم بوجهه أمام الكاميرات؟ إذا وضعت قبعة قش ونظارة شمسية وتمشت حتى نهاية الشاطئ وخرجت من مخرج آخر فمن سيرصدها عندئذ؟

أطرق تميم ولم يعقب، وشعر أنور بالتوتر الذي بدأ يسود الجلسة إثر تعليقات اللواء فاقترح:

- ما رأيكم في استراحة قصيرة نشرب فيها القهوة ونصلي المغرب ثم نعود بأفكار طازجة؟

أراد منصور بشدة تلك الاستراحة ولكن ورداني اتجه نحو الثلاثة الصغيرة في مكتبه وفتح بابها قائلاً:

- تفضلوا، عصائر وقهوة مثلجة.. ويمكنكم استخدام حمام غرقتي
للوضوء وها هي سجاجيد الصلاة. لن نخرج من هنا قبل الانتهاء من
جميع المشتبه بهم.

منذ متى يتفانى اللواء هكذا في حل القضايا؟ بل منذ متى يفتح
ثلاجه أمام مرؤوسيه ويسمح لهم باستخدام حمام غرفة مكتبه
المقدس! نساء منصور في غيظ وهو يتبادل نظرات اليأس مع
زميله.

أرض حلوان

انتهت الاستراحة التي لم تكن باستراحة وعادوا للمائدة المستديرة واستأنف أنور كلامه بتلخيص ما يعرفونه عن داليا فؤاد أخت فدوى، لم يكن تميم مقتنعا بالشبهات حولها فقال:

- ولكن المجني عليها كانت حية ترزق بعد المشادة الكلامية بينهما وذهبت إلى جلسة الكيماوي ثم عادت إلى منزلها.

- ربما شعرت داليا بالغضب والعجز إزاء عناد المجني عليها وإصرارها على النشر فانتظرتها حتى عادت ثم تسلمت للتخلص منها. الانتظار يجعل الغضب يشتعل أكثر في النفوس والشيطان يزين الجريمة في قلب وعقل الغاضب.

قالها اللواء فعقب أنور:

- إذا اعتمدنا قاعدة سيادتك باستبعاد من لم تظهر وجوههم على شريط كاميرا المراقبة وقت وقوع الجريمة، فنستبعدا.

ثم أكمل، فعرض معلوماتهم عن عمرو حماده زوج فدوى السابق فسأل اللواء:

- هل ظهر وجهه على الكاميرات؟

- في الحقيقة نعم.. ولكنه أفاد بدخوله السوبر ماركت من مدخل العمارة، وهو سلوك معتاد من رواد المتجر. وفي نفس الوقت أفادت التحريات أنه أودى كثيرا في عمله وفقد ترقية مستحقة بسبب المنشورات كانت ستقله نقلة نوعية ماديا واجتماعيا.

- إمام.. ومن بعده؟

- الدكتورة رقية صديقة المجني عليها وزميلتها في العمل، كانت تعمل أحيانا كواسطة بينها وبين رجب أبو جبل في مسألة «التامول».

- وما دافع القتل؟

- لا يوجد دافع سوى مسألة الموت الرحيم.

- وهي الفرضية التي نفاها الطب الشرعي.

- في الحقيقة لا أزال أراها فرضية قائمة وأفضل الإبقاء عليها أمام أعيننا.

- هل ظهر وجهها على الكاميرات؟ لا.. إذن تعرف ما عليك فعله.
من بعدها؟

- أميرة مرزوق أخت المجني عليها، كتبت لها شقة تساوي ملايين الجنيهات مستبعدة زوجها وأولادها من الميراث.

- إمام.. المال يشكل دوما دافعا قويا للقتل.

- وربما القتل الرحيم.. تضرب عصفورين بحجر، تبيع أختها وتستحوذ على الشقة. لم يظهر وجهها على الكاميرات ولكنها تحفظ مداخل ومخارج البناية جيدا وكان يمكن لها الدخول من أي منهم متخفية.

نظر اللواء مندور الورداني إلى السبورة التي امتلأت بالتفاصيل وعلق قائلا:

- عادة ما نفتقر إلى مشتبه بهم مقنعين، ولكن في هذه القضية عدد المشتبه بهم الذين يتوافر لهم الدافع والفرصة كثر.

ثم أشار إلى الاسم الأخير ضاحكا:

- تهاني البرتقالية! ما هذا؟

انبرى منصور مفسرا:

- ممرضة في المركز الصحي، أطلقت عليها ذلك الاسم بسبب لون شعرها المميز. ليست مشتبه بها بالمعنى المعروف، ولكنها مصدر المعلومات حول دكتور متولي ورجب أبو جبل. كما أنني اكتشفت أنها والدة سعيد جيغا، الشاب الذي أجرته منى لنشر المنشورات المسيئة، وأنها الواسطة بينها وبين فتحي أبو الروس الذي قام بتصوير وليد وفدوى. أرى أن نستقدمها للاستجواب الرسمي ربما لديها المزيد لتخبرنا به.

قال اللواء مندور:

- ربما طمعت هي وابنها في المزيد من أموال الدكتورة موني فقررا قتلها وسرقتهما، أو ربما قاما بابتزازها.

لا يدري منصور لم شعر بالضيق إثر تعليق رئيسه الأخير، هل يتعاطف مع تهاني؟ بسبب المشويات والمحشي؟ هل نشأت بينهما رابطة ما بسبب الطعام؟ أكمل ورداني قائلاً:

- ضعوها في قائمة المشتبه بهم وابدأوا برويانا ورجب، ابحثوا عن أدلة مادية تدين أحدهما وتربطه بالقتل.

قالها ثم أوما لأنور كي يجلس وأردف مشيراً للسبورة:

- أرى مما كتبت أن دوافع القتل لا تخرج عن أربعة: المال، خلافات العمل، المنشورات المسيئة، والزواج الثاني. أي منهم في رأيكم هو الدافع الأقوى للقتل؟

ساد الصمت على سماء الغرفة وكل منهم يفكر..

ما الدافع الأقوى للقتل؟



على غير ما توقع، خرج منصور من غرفة اللواء ورداني وقد صفا فكره وتجدد نشاطه. التحليل المنطقي والمعلومات التي تداولوها رتبت القضية في ذهنه وساعدته على تحديد الأولويات. قرر السهر في المكتب لمراجعة أوراق القضية ووضع ملاحظاته استعداداً لاستجواب رويانا في الغد، ولم يكديداً حتى فوجئ بأنور يفتح عليه غرفته وملامح الجدية مرتسمة على وجهه ملوحاً بملف بلاستيكي أصفر:

- انظر ما وجدت.

وضع الملف أمام منصور قائلا:

- كلفتني بالتدقيق في الأوراق المحرزة من شقة المجني عليها. أعطيت قسما لتميم وكنت أقوم بمراجعة القسم الخاص بي حينما وجدت هذا الملف.

فتح منصور الملف فوجد بداخله ورقة مفرودة وأخرى مطوية؛ الورقة المفرودة كانت صورة من تقرير جيولوجي بتاريخ عام 2004 لقطعة أرض بمنطقة حلوان. قرأ التقرير بعينه فوجده يفيد بأن الأرض رملية مخلوطة بتربة طينية بنسبة لا تؤثر على التأسيس، وأنه لا يوجد أي خطر من البناء السطحي عليها. فتح الورقة المطوية فوجدها تقريراً جيولوجياً ثانياً، لنفس قطعة الأرض! ولكن بتاريخ يسبق الصورة بثلاثة أشهر ومطبوعاً على ورق مميز.

قرأ منصور التقرير الثاني فانتصبت قرون استشعاره على الفور. نتيجة فحص التربة بذلك التقرير كانت مختلفة. أفاد التقرير بأن التربة انتفاخية وتحتوي على نسبة رطوبة عالية وأنها لا تصلح للبناء بدون أساسات عميقة أو معالجة كيميائية. لم يفهم منصور المصطلحات العلمية ولكن ما قرأه كان كفيلاً بإثارة شكوكه. رفع رأسه إلى أنور وفي عينه تلك اللعة التي يعرفها جيداً..

- هل تظن أن تلك التقارير لها علاقة بقضيتنا؟

- ربما.. ولكن هذا ليس اختصاصي ولا يمكننا أن نترك الأمر
للتخمين.

- ماذا ستفعل؟

- سأستشير الدكتورة وداد خضير.

كانت الدكتورة وداد خضير الأستاذ بقسم الجيولوجيا بكلية العلوم
بجامعة الأزهر قد تعاونت مع منصور في إحدى القضايا من قبل.
بحث عن اسمها في قائمة جهات الاتصال لديه حتى وجده فاتصل
بها وشرح لها الأمر سريعا وأرسل لها صورة من التقارير وانتظر ردها
في صبر.

في تلك الأثناء عاد ينظر في التقريرين. «أرض صلبة»، «أرض
طينية»، «أساسات».. لقد قرأ هذه الكلمات من قبل، حتى أنها
استوقفته حينها لأنه لم يفهم المغزى منها.. ولكن أين قرأها؟ عصر
خلايا مخه للتذكر ولكن دون فائدة..

وضع التقريرين متجاورين وقارن بينهما. لفت نظره جهة الصدور،
التقرير الذي أفاد بأن الأرض غير صالحة للبناء صدر من معمل تابع
لجامعة القاهرة، بينما التقرير الذي أفاد بأن الأرض صالحة للبناء صدر
من مكتب استشارات جيولوجية خاص. شعار المكتب بدا واضحا أعلى
التقرير، وكذلك توقيع المهندس المختص. طلب من أنور القيام ببحث
سريع على الإنترنت عن ذلك المكتب ففعل، وبعد قليل من البحث
أخبره بأن المكتب متوقف عن العمل منذ سنوات ثم هتف فجأة:

.....

- هذا الاسم.. ليس غريبا عليّ. انتظر.

خرج أنور مسز عايم عتاد بملف آخر ومعه تميم. فتح الملف
وراجع فيه عدة أوراق ثم قال:

- صاحب المكتب الاستشاري هو المرحوم عبدالرؤوف العربي،
والد كمال عبدالرؤوف، شريك وليدا

الرسالة

حاول تميم التعقيب على اكتشاف أنور ولكن منصور أوقفه
بإشارة من يده وأغلق عينيه وضغط بكفيه على صدغيه متفكرا. انتظره
مساعداه في صبر حتى فتح عينيه وقال لتميم:

- أحضر لي تفريغ هاتف المجني عليها.

- ولكننا لم نجد به شيئا يـ...

قاطع منصور في صرامة:

- أسرع.

عاد تميم بالملف المطلوب ففرّ منصور في أوراقه تحت نظرات
أنور الفضولية حتى توقف عند ورقة بعينها وهتف:

- هذه الرسالة!

مد الاثنان رأسيهما يحاولان قراءة محتوى الرسالة:

«وليد... أخبرني دوما أن الأرض تحتنا صلبة، وأن لا شيء سيؤثر
على بناء أسرتنا الصغيرة.. ولكن الحقيقة أنها كانت أرضا من الطين

الخالص، وأنها كانت تحتاج لأساسات عميقة كي لا تنهدم على رؤوس الجميع.. أعتقد أن بحوزتي أوراقا تهمك.. هل ستلغي زواجك من فلوى؟».

كان هذا هو نص رسالة أرسلتها منى إلى وليد قبل مقتلها يوم واحد!

عقب منصور:

- حينما قرأت هذه الرسالة شعرت أنها غريبة، غير أنني لم أفطن لمغزاها فظلت في ذاكرتي تحيرني.. ولكن الآن!

هم أنور بسؤاله عما يعني ولكن تعالى رنين هاتفه..

- أهلا دكتور وداد.

.... -

- حسنا.. سأبحث عن تفاصيل أكثر.. شكرا لك.

أنهى المكالمة ورفع رأسه إلى مرؤوسيه وفي عينيه التمتع نظرة غابت عنها طويلا.. نظرة انتصار!



هم أنور بسؤاله فأسكته منصور بإشارة من يده وهو يمد إليه صورة التقرير قائلا:

- أجر تحريرات عن قطعة الأرض هذه، هل تم البناء عليها؟ وما هو مصير العقار؟

- اشرح لي أولاً ما قالته لك.

أراد منصور أن يحثه على الإسراع ولكنه يعلم شخصية أنور جيداً..
زفر وجلس على كرسيه يخبره بما قالته الدكتورة وداد:

- بين يدينا تقرير أصلي وآخر مفبرك تم استبداله بالتقرير الأصلي
من أجل التحايل على عدم صلاحية الأرض للبناء. د. وداد تشك بأن
قطعة الأرض المذكورة في التقرير تقع في مخر سيل قديم، وأن العقار
الذي تم بناؤه عليها قد انهار مؤخراً.. تأكد من صحة كلامها واكتشف
هل تم التحقيق في سقوط العقار؟ وبماذا أفاد التحقيق؟

نظر أنور في ساعة يده وهو يتشاءب، فقال منصور مشجعاً:

- أعلم أن الوقت قد تأخر ولكن يجب أن نحسم هذا الأمر بأسرع
ما يمكن. لا تنس أن هناك شخصاً قد يكون بريثاً يقضي ليلته في
الحجز، وأخرى سيتم استجوابها في الصباح وربما اتهمها بارتكاب
الجريمة. الدافع ما كان ينقصنا لوضع وليد في دائرة الاتهام.. ويبدو
أن الدافع بين أيدينا الآن!

*

استيقظ منصور على أزيز مزعج، اكتشف أنه وضع رأسه على طاولة
المكتب قبيل الفجر طلباً لبضع دقائق من الراحة فوجد نفسه قد نام
حتى الصباح والذباب يملأ الغرفة بعد أن فتح النافذة مساء اليوم السابق
ولم يغلقها. بنح عدة بخات من المبيد الحشري ثم خرج ليغسل وجهه
ويتوضأ ويصلي الصبح ويطلب القهوة وشطائر الإفطار من شعبان.

عاد بعد قليل ليجد نادين أمام باب غرفة مكتبه.

هل أتى موعدنا الأسبوعي بهذه السرعة؟ لا جديد بخصوص قضيتها، خاصة مع انشغاله بقضية القتل الراهنة، ماذا عساه أن يخبرها؟ وكيف يواجه عينيها الحزيتين؟ فهمت هي إجابة سؤالها من ملامح وجهه فهمت بالرحيل، ولم يوقفها هو.. لم يعد لديه ما يقوله.

ابتعدت نادين بينما تبعه تميم إلى غرفة مكتبه وعلى وجهه ملامح الحيرة، بادره منصور سائلا:

- هل من جديد بخصوص قطعة الأرض؟

- الرائد أنور أعد التقرير وسيعرضه عليك ولكن.. من هذه السيدة التي كانت بانتظارك؟

- ألا تعرفها؟ إنها مدام نادين والددة ضحية طلق الأفراح الناري. لماذا تسأل؟

تردد تميم وهو يخبره:

- أظنني رأيته في فيديو كاميرا المراقبة.

- أي فيديو؟

سأله منصور وعقله غير قادر على الربط..

- الفيديو.. رأيته تدخل العقار في ساعة مبكرة من يوم الجريمة.

- ماذا؟ ومتى خرجت؟

.....
- لا أعرف، لم أهتم بها فلم أظن أن لها علاقة بالجريمة، ولكن
حينما رأيتهما الآن مَيَّزْتُ وجهها وشعرها الداكن المجعد، سأذهب
لمراجعة الفيديو وسأخبرك بما أجد.

خرج تميم وجلس منصور واجما..

نادين!

ما علاقتها بالأمر؟

بل لها كل العلاقة، كيف لم يتبين ذلك من قبل؟

تعالى رنين هاتفه، مكالمة من أميرة أخت المجني عليها، ليس
وقتها الآن، ولكنه أجابها فبادرته قائلة:

- سيادة المقدم لاحظتُ شيئاً غريباً أريد إخبارك به.

أصغى إليها منصور فأردفت:

- اختفت بعض الأشياء من شقة أختي.

شعر منصور بالإحباط، لم يكن هذا ما أراد سماعه في خضم ما
يدور، ولكنه سألها:

، - مثل ماذا؟

- آآ.. أشياء بسيطة.

انتابه نفاد صبر مفاجئ فكرر سؤاله بنبرة متعجلة:

- مثل ماذا؟

- قفازان لحمل الأشياء الساخنة، صنعتهما لها بيدي من الكروشييه.
كانا معلقين في مكان بارز بجوار الموقد.

لم يستطع منصور منع نفسه من التهكم:

- حقا! هذا ما تريدان إخباري بفقدانه؟

واصلت أميرة وكأنها لم تسمعه:

- والوشاح.. الوشاح الذي كانت ترتديه يوم مقتلها.

نجحت في جذب اهتمامه:

- أي وشاح؟

- منى رحمها الله في مكالمة الفيديو قبل نزولها إلى جلسة
الكيماوي كانت ترتدي الوشاح الوردى الذي حُكته لها من الكروشييه
لأنها كانت تشعر بالبرد أثناء وبعد الجلسات. لقد جمعتُ وفرزتُ
أغراضها جميعا ولم أجده.

- ما مواصفاته؟

- هل أرسل لك صورته على «الواتساب»؟

- افعلي من فضلك.

أنهى منصور المكالمة وقد انتصبت قرون استشعاره تماما مثل
الذبابة التي وقفت على حافة الكوب الزجاجي أمامه. راقبها وهو
يفكر في ما قالته أميرة.. وتذكر كلام الطبيب الشرعي:

«وشاح سميك، قابل للشد، لا يترك علامات واضحة».

هل كان الوشاح الذي ذكرته أميرة هو أداة الجريمة؟ ولذلك
اختفى؟

اتصل مباشرة بالدكتور علاء وأخبره بما قالته أميرة وسأله:

- هل يمكن أن تطلب من المعمل الجنائي فحص الطرحة التي
كانت ترتديها المجني عليها بحثا عن آثار خيوط صوف وردية اللون؟
سأرسل لك صورة الوشاح بفجرد أن تصلني.

لم يكد يُنهي المكالمة حتى وصلته صورة الوشاح، وشاح عريض
من الكروشيه وردي اللون، موشى بخيوط فضية دقيقة.

لا يعلم إن كان التأكد من كونه أداة الجريمة سيحدثُ فارقا في
التحقيق أم لا، فالبحث عن وشاح مثله سيكون مثل البحث عن إبرة
في كومة قش.. فكرياً. ثم عاد فقال لنفسه أنهم إذا نجحوا في
حصر الاشتباه في شخص أو اثنين، ربما أدى تفتيش أغراضهما إلى
العثور على الوشاح.. وحينها سيكون الوشاح هو الدليل المادي الذي
ينقص القضية كي تكتمل ويلتف حبل المشنقة حول عنق القاتل. لم
يستطع منع نفسه من التفكير في الرمزية الأليمة للوشاح الذي حاكته
لها أختها بحب ليدرأ عنها برد الجلوسات فيكون هو بعينه السبب في
حرمانها من روح الحياة.

صورة على الطاولة

دخل أنور على منصور ويده عدة أوراق وضعها أمامه قائلا:

- شكوك الدكتور وداد في محلها. تم بناء عقار من أربعة أدوار على قطعة الأرض المذكورة بحلوان. التقرير الذي تم تسليمه للحج لاستخراج تصريح البناء هو التقرير المفبرك، وشركة وليد هي المالكة للأرض والمسئولة عن بنائه. انهار العقار المذكور عقب الأمطار الشديدة عام 2020 ولقيت ربة منزل وابنتها مصرعهما تحت الانقراض. رفع زوج الضحية قضية على الشركة ولكنه خسرها حيث أفادت التحقيقات بأن انهيار العقار كان بسبب الظروف الجوية وسوء الصيانة.

رأت منصور على الأوراق قائلا في رضا:

- قضية فساد وتزوير من الدرجة الأولى.. ومُنَى وجدت من خلال تلك التقارير التي تدين زوجها فرصة ذهبية لتهديده وابتزازه كي ينصرف عن زواجه بفدوى، والدليل هو الرسالة التي أرسلتها له ليلة وفاتها. أدرك وليد أن شُبعته وشركته، بل وحرية مهدة بما بين يدي زوجته من أوراق فقر الإجهاز عليها. هذا هو الدافع الذي كنا نبحث عنه.

قالها منصور في انتصار فتنحج أنور.

- ماذا يا سيادة الرائد؟

- إذا كان وليد هو القاتل.. لماذا لم يأخذ التقارير التي تدينه؟

- ربما لم يجدها. أو ربما سمع صوتا اضطره للهروب سريعا.

- ويترك السبب الذي قتل من أجله زوجته ويخطر أن ينكشف بطريقة أو بأخرى؟

تجههم وجه منصور ووضع رأسه بين كفيه متفكرا. منذ بداية القضية وشكوكه تتجه نحو وليد، ولكن في النهاية يجب أن يفكر وفق المنطق والأدلة لا وفق هواه. يشعر بأن القاتل بات قريبا، ولكنه في نفس الوقت بعيد جدا.. وليد الذي تدينه التقارير والرسالة كما لم تعد لديه حجة غياب متماسكة، ورويانا أخته التي وجدوا وصفاتها الطبية في شقة القتيلة، ورجب الممرض المحبوس على ذمة القضية.

ثم هناك الوشاح..

ونادين!

كلف منصور أنور باستدعاء وليد للاستجواب الفوري، كما كلفه بالتواصل مع النيابة لمضاهاة البصمة الجزئية ببصمات المشتبه بهم، ربما بعد حصر الأمر في أربعة يحصلون على نتائج أكثر دقة، حتى لو كانت باستبعاد واحد منهم أو أكثر. ثم خرج وانضم لتميم أمام شاشة الحاسب الآلي وطلب منه مشاهدة لقطات نادين. راقبها بشعرها المموج الكثيف، تعتلي درجات مدخل العمارة، كانت ترتدي ملابس

رياضية أظهرت رشاققتها وتحمل حفية كنف كبيرة وتصعد درجات المدخل في سرعة. وحينما ظهر وجهها على الكاميرا لم يكن على صفحته سوى الهدوء الشديد!

علق تميم قائلا:

- هناك صالة رياضية للنساء في البناية.

- تلك البناية اللعينة فيها من كل شيء، ينقصها فقط سجن وقسم شرطة!

قالها منصور في حلق ثم طلب من تميم تسريع وتيرة الشريط والمرور بكل من ظهروا فيه من المشتبه بهم. رأى مئى أثناء خروجها وعودتها ورأى رجب أبو جبل ورويانا وعمرو.

لاحظ الوشاح..

كانت تضعه مئى على كتفها أثناء خروجها، ثم حينما عادت كانت متلفحة به حول رقبتها. سأل تميم عن مشادة داليا معها، فأخبره أنها في شريط كاميرا المراقبة الأخرى التي تظهر المشاهد البعيدة عن المدخل في المنطقة الواقعة مقابل الشارع وسأله إن كان مهتما بمشاهدته فلم يتحمس منصور، بل طلب منه البحث عن لحظة خروج نادين من البناية. ولدهشته..

خرجت نادين بعد دخولها بأربع ساعات كاملة!



عاد منصور إلى غرفة مكتبه بعد أن طلب من تميم طباعة صور
الوشاح التي أرسلتها أميرة بدقة عالية. وجد الفطور بانتظاره فازدرد
الشطائر في شرود وأتبعها بالقهوة ثم طلب فنجانا ثانيا. وحينما
انتهى من شربه شعر بأنه أكثر قدرة على التفكير المنطقي.. دخل
عليه تميم بالصور ففردها على سطح الطاولة وأخذ يتأملها متفكرا
في خطواته التالية. اتخذ قرارا سريعا باستدعاء نادين، سيبدأ بها كي
يخرجها من عقله ودائرة شكوكه. أخبرها في الهاتف أن الأمر لا
يتعلق بقضية ابنها كي لا يرى الأمل ينطفئ في عينيها إذا أخبرها
وجها لوجه.

لم تكد تمضي ساعة حتى كانت تجلس أمامه بسكونها المعتاد، وقد
جمعت هذه المرة شعرها الثائر في ربطة سميكة أعلى رأسها أظهرت
جمال عظام وجهها وعينيها الواسعتين الداكنتين المسحوبتين. تنحنح
واستهل كلامه قائلا:

- أعرف أن الأمر غريب، أنا شخصا لم أتوقع أن تأتي إلى هنا لهذا
السبب.

رفعت حاجبيها الجميلين في استغراب فأكمل:

- الأمر له علاقة بمقتل منى مرزوق.

- تريد أن تسأل عن فدوى وعائلتها مجددا؟

- لا.. بل عنك.

ضيق عينيها ففسر لها:

- هذا إجراء صوري.. نحقق مع من ظهرت وجوههم على شريط كاميرا المراقبة. لقد شوهدت تدخلين البناية محل الواقعة قبل وقوع الجريمة بقليل.

كررت في حيرة:

- البناية محل الواقعة!

سرد عليها منصور عنوان البناية وأخبرها بتاريخ يوم الجريمة فشردت قليلا ثم بدا على وجهها التذكر:

- آه.. بالتأكيد كنتُ في الصلاة الرياضية الموجودة بالبناية. أنا مشتركة بها منذ عدة شهور ولكن قلما أذهب.

- ولكنك ذهبتِ يومها.. أليست صدفة غريبة؟

لم تأخذ كلامه محل اتهام بل أجابته في بساطة:

- أعاني من آلام كتف مزمنة تجعل حركة ذراعي أحيانا مؤلمة جدا، وفي كل مرة ينصحني طبيبي بالرياضة والساونا «والذي منه». كنتُ في استشارة لديه مساء الأحد بسبب شد عضلي مؤلم فنصحني بالذهاب إلى غرفة البخار فأخذت بنصيحته أخيرا وأخذتُ إجازة من العمل وذهبتُ بالفعل صباح الاثنين وأطلت المكوث في الصلاة الرياضية، فبعد جلسة البخار دخلت الجاكوزي وأتبعته بجلسة مساج طويلة.

ثم أضافت في شرود:

- لم أكن أعلم أن ذلك يوم وقوع الجريمة.

- الطب الشرعي حدد وقت وقوع الجريمة بين العاشرة صباحا
والثالثة عصرا.

ومضت في عقلها صورة سريعة فغمغت:

- غريب!

قالتها في شرود وهي تتحسس عقدها الفضي بأناملها..

- ما الغريب؟

تلعثمت وهي تقول:

- أعني.. الأمر كله غريب.

تأملها، كانت أجمل في شرودها. انتبه إليها وهي تنظر إلى سطح
مكتبه:

- ما هذه الصورة؟

سألته وهي تشير إلى الوشاح الوردى، أشفق أن يخبرها أنه سلاح
الجريمة فقال مخففا:

- هذه صورة الوشاح الذي كانت ترتديه المجنى عليها يوم مقتلها.

تمعنت في الصورة:

بدت على وجهها أمارات التفكير فسألها سؤاله الأخير:

- لقد مكثت بالبنية أربع ساعات. كل ذلك الوقت قضيته في

الصالة الرياضية؟

تسلل الارتياح إلى صوتها وهي تجيبه:

- نعم.. كما قلتُ لك، لم أكتفِ بالتمارين بل أتبعها بجلسات مختلفة. أربع ساعات ليست وقتاً طويلاً في صالة ألعاب رياضية إذا كنت ستقوم بكل الأنشطة المتاحة.

أوماً برأسه، كانت محقة، في المرات المعدودة التي ذهب فيها إلى الصالة الرياضية بدعوة من صديقه حسين لاعب كمال الأجسام المخضرم كان يقضي عدة ساعات هو الآخر. ابتسم كي يخفف من وطأة الحديث قائلاً:

- أرجو أن تكون تلك الجلسة الطويلة نجحت في تخفيف آلامك.

- لقد فعلت والحمد لله.

ساد صمتٌ مُخرج قطعهُ منصور أخيراً بأن شكرها وأنهى اللقاء ثم عاد يفكر في خطواته التالية وصفحة وجهها الساكن التي اضطربت في لحظة معينة خلال اللقاء لا تفارق مخيلته.

الوشاح

فتح منصور زر قميصه العلوي ليخفف شعوره بالاختناق، ثم فتح
النافذة مجازفا بدخول المزيد من الذباب، وبالفعل دخل القليل من
الهواء والكثير من الذباب الذي جعله يملأ الجوبر ذاذا المبيد الحشري
رفيقه العتيد، فتجدد شعوره بالاختناق. دائرة جهنمية لا تنتهي. ربما
حله الوحيد أن يألف الذباب.. ويحبه!

تعالى الطرق على الباب، ميز فيه قبضة شعبان الثقيلة. دخلت
رويانا بهالة من التوتر انتقلت إليه عبر حركتها العصبية، وإن بدا وجهها
أهدأ من الاستجواب السابق. أخرج لها منصور ورقة الوصفة الطبية
الخاصة بها ومدّها إليها قائلاً:

- وجدنا هذه «الروشتة» في شقة المجني عليها.

همت رويانا بالكلام فرفع منصور كفه يوقفها..

- قبل أن تجيبي انظري إلى التاريخ المدون عليها.

رنت بعينيهما إلى التاريخ ففهمت مقصده، أخذت تخلع خاتمها
الذهبي وتلبسه في حركة متكررة، ثم رفعت رأسها إليه، بدت متعبة
وغير راغبة في المراوغة، قالت بنبرة خافتة:

- لقد مررتُ على مُنى يومها بالفعل.

- ولم تخبرينا؟

- لم أرغب في أن أجد نفسي في موضع اتهام.

- لست متهمة بعد ولكن إخفاءك الأمر عنا جعله يبدو أسوأ بكثير.

- أعلم.

قالتها وهي تضع كفها على ركبتيها كي توقفها عن الاهتزاز ثم أردفت:

- كل ما في الأمر أن شهوة الانتقام تمكنت مني، أردت أن أتشفى في مُنى وأشفي غليلي منها بإغاظتها..

- إغاظتها؟ هي التي وضعتكم جميعا في موقف سيئ بسبب المنشورات..

- صحيح.. إلا أنني كنتُ أعلم أنها تحترق من الغيظ والغضب لأن وليد وفدوى لم يبديا أي رد فعل نحو تلك المنشورات.. لم تكن تعلم بالطبع أن هاتفيهما مغلقان وأنهما لم يريا المنشورات في حينها.

- كم لبثت عندها؟

- نصف ساعة، لم أطل الجلوس، فقط ناوشتها وغطتها بالإجازة الرومانسية التي يمضيها أخي مع حبيبة قلبه، ثم سألتها إن كانت قابلت داليا.. استتجت من سؤالي أنني من أعطيت داليا العنوان ودفعتها لمواجهة فازدادت غضبا واتهمتي بمحاصرتها.

- ثم؟

- لا شيء، شعرت بالسعادة لأنني أغضبتها فاكثفت ورحلت.

- كان هذا بعد عودتها من جلسة الكيماوي؟

- أظن ذلك..

- هل كانت ترتدي وشاحا؟

- أجل.. وشاحا ورديا بشعا. كانت تلفه حول رقبتها برغم حرارة

الجو.

- هل رأيت أي شخص أثناء دخولك أو خروجك من عند المجني

عليها؟

- ما إن اقتربت من بابها كي أرن الجرس، حتى فُتح فجأة واندفع

منه رجل أسمر قصير، كانت تصيح وتتوعده وهو يتعد في غضب.

- لماذا لم تخبرينا بهذا الأمر؟

- مُنى كانت حية ترزق بعدما رحل الرجل فلماذا أخبركم عنه؟

- وهل يا ترى كانت حية ترزق بعدما رحلت أنت؟

شحب وجهها..

- ماذا تعني؟

- وجودك في بيتها وقت وقوع الجريمة وكراهيتك الواضحة لها

يشكلان دليل اتهام قويا ضدك.

٢
١ - تقصد أنني قتلتها؟ لم أفعل بالطبع. أنا لا أستطيع إيذاء ذبابة،
٢ كل ما أملكه من وسائل الشر هو لساني، لو كنتُ قادرة على قتلها
٣ لانتقمتم منها منذ زمن بعيد. لماذا سأنتظر حتى الآن؟ ثم إن انتقامي
٤ منها كان سيتحقق بشكل أقوى من القتل حينما ترى وليد يتزوج فدوى
٥ ويسعدان معا.. لقد حزنت لموتها قبل أن ترى هذه اللحظة.

٦ زم منصور شفتيه، كان متحيرا إزاء كلامها وليس لديه دليل إدانة
٧ يربطها بالقتل. هتفت هي فجأة:

٨ - انتظر.. أظنني رأيت حركة على الدرج أثناء خروجي، وكان
٩ أحدهم كان ينتظر على السلالم العليا ثم بدأ بالتزول حين رأيته
١٠ أرحل.

١١ - ما أوصافه؟

١٢ - لا أعلم، لم أره سوى بطرف عيني.

١٣ - رجل؟

١٤ نكست برأسها قائلة في خجل:

١٥ - لست متأكدة.

١٦ لم يكن منصور بدوره متأكدا من قيمة شهادتها الأخيرة، هل قالت
١٧ ذلك فقط كي توحى بأنها تركت مَنى حية وأنه كان هناك من يترصدها
١٨ ليجهز عليها؟ لكم يتمنى لو توجه البصمة الجزئية بوصلة القضية
١٩ فتستبعد أناسا وتضيق الخناق على آخرين. إنه الدليل المادي الوحيد
٢٠ الذي يمتلكونه حتى الآن. قرر في النهاية صرفها قائلا:

- الزمي محل سكنك ولا تغادري القاهرة.

ابتلعت ريقها بصوت مسموع وأعادت خاتمها إلى بنصرها
وخرجت مسرعة وكأنها ما صدقت. لاحظ منصور هذه المرة أثر
العرجة واضحا في مشيتها وأدرك أنها كانت تبذل مجهودا كبيرا في
اللقاءات السابقة كي لا تدركه الأعين، ولكن يبدو أن الضغط يجعلها
تسى فعل ذلك أحيانا!



تلقى منصور مكالمة جديدة من الدكتور علاء:

- سيادة المقدم أنت محق بخصوص الوشاح. وجدنا آثارا لخيوط
صوفية وردية على نسيج الطرحة البيضاء وقد تداخل معها بشكل
يوحى بانضغاط شديد.

- أي أنه أداة الجريمة؟

- لا شك في أن الجاني خنق المجني عليها باستخدام الوشاح.
أحكم طرفيه حول رقبتها بقوة فاختنقت ووقعت على الأرض، فأجهز
عليها بشق معصمها ثم تركها تتزف حتى الموت.

- علينا إذن أن نجد الوشاح كي نجد الجاني.

- ستكون هذه أصعب رحلة بحث تخوضها. ربما كان من الأسهل
العثور على الجاني لكي تعثر على الوشاح.

- ربما..

قالها منصور شاردة وأنهى المكالمة ليتلقى بعدها مكالمة من أنور
أغضبه كثيرا:

- وليد سافر مع ابنته إلى الكويت مساء أمس.

- ماذا؟ كيف؟

- لم يكن على قوائم الممنوعين من السفر.

ضرب منصور المكتب بقبضته في حلق، كان يجب عليه استصدار
أمر بضبط وليد وإحضاره فور اكتشافهم تقارير أرض حلوان ورسالة
مُنى. الآن تسرب من بين أيديهم كالزئبق. كان أنور لا يزال على
الهاتف فقال يحاول تخفيف وقع الخبر على رئيسه:

- لن نعلن شيئا عن التقارير والرسالة ولن نطلبه للاستجواب حتى
نشعره بالأمان فيعود إلى مصر في أقرب فرصة.

- أنت واهم.. لن يعود. لقد هرب إلى الأبد.

- سيادة المقدم..

قاطع أنور بنبرة جعلته يتبه فأكمل:

- أنت تتكلم وكأن وليد هو الفاعل، ولكننا لا نملك دليلا يربطه
بالجريمة. أخشى أن يجعلنا التركيز عليه نغفل عن خيوط أخرى، لا
يزال هناك احتمال بأنه ليس المجرم وحينها سيهرب المجرم الحقيقي
متنا.

- وماذا أمامنا سوى مواصلة التحريات والتحقيقات؟

زفر أنور في ارتياح وأنهى المكالمة. صار منصور أهدأ بعد كلام أنور، إنه محق، لا تزال هناك خيوط مفتوحة ومشتبه بهم على الطاولة.

تأمل الصورة أمامه: الوشاح الوردى ذو الخيوط الفضية..

فجأة اتخذ ذلك الوشاح وجودا ماديا هائلا!

ثم تذكر شيئا.. ليس الوشاح وحده هو المفقود، لقد ذكرت أميرة أيضا اختفاء قفازي القرن. أغمض منصور عينيه ومشهد الجريمة يتجمع أمامه..

■ لا توجد آثار اقتحام على باب الشقة، إذن: منى تعرف الجاني.

■ الخنق تم من الخلف، إذن: منى أعطت للجاني ظهرها، إذن: منى شعرت نحوه بالأمان ولم يكن يشكل تهديدا لها.

■ قام الجاني بخنقها أولا فسقطت ولكنها لم تمت فسحب سكينها من المطبخ وشق به معصمها. الخنق وسكين المطبخ يشيران إلى جريمة من وحي اللحظة، الجاني لم يكن يحمل معه سلاح جريمة خاصا به، وبالتأكيد لم يكن يرتدي قفازات في ذلك الوقت من السنة.

■ ماذا بعد أن أَرَدَها؟ سينظر حوله، ويدرك أن بصماته موجودة في كل مكان، سيغسل السكين ويتركه في قبضة الضحية ليوحي بانتحارها، سيرى القفازين معلقين أمامه، سيرتديهما ويمسح بصماته عن كل شيء..

■ لماذا أخذ معه الوشاح والقفازين؟ ربما كتذكّار، ولكن الاحتمال الأوقع أنه خاف أن تكون بصماته منطبعة على القماش، لذلك أخذهم معه، وذلك يشير لشخص قليل العلم والخبرة. ولكن كيف خرج بهما؟ يحتاج إلى حقّية فالوشاح كان كبيراً وعريضاً. إذن: الجاني كان يحمل حقّية كبيرة. هل ستكون الخطوة التالية هي البحث في أشرطة الفيديو عن كل من خرج بحقّية بعد توقيت القتل؟ وماذا عن رواد المتجر؟

تذكر منصور حقّية نادين الرياضية التي كانت تحملها على كتفها، ثم تذكر حقّية رويانا الجلدية الكبيرة التي رآها تحملها أكثر من مرة أثناء الاستجواب فيما بدا أنها لا تفارقها! ولكن هل يحمل وليد حقّية؟ وماذا عن رجب؟

هز رأسه في يأس.. راقب الذبابة التي وقعت في كوب الشاي تحاول الخروج منه. عشرات المحاولات ولم تستسلم، وكذلك لن يستسلم هو.. عاد إلى الصورة أمامه.. الوشاح.

نادين ميزته..

ورويانا وصفته بأنه بشع.

رد فعل رويانا منطقي بالنظر إلى شخصيتها وعلاقتها بالقتيلة، ولكن نادين؟ ربما كان موقف نادين هو الأهم.

كيف يمكن لها أن تكون رآته قبل اليوم؟

أعرف ما فعلته

جلست نادين في غرفة مكتبها بالمدرسة تتأمل الوشاح المرسوم
أمامها بدقة وتفكر..

هل تعمد منصور وضع الصورة أمامها لكي يرى ردة فعلها؟

هل يعرف؟ وإلى أي مدى يعرف؟

فكرت في الصدفة الغريبة التي جعلتها تتواجد في نفس البناية التي
وقعت فيها الجريمة وفي نفس التوقيت.

وأن تراه.. ويراه!

ماذا ستفعل الآن؟

صوت العقل يحتم عليها الاعتراف لمنصور، ولكن ماذا عن
صوت القلب؟

قلبها لديه دوما أحكامه، فهل سيختلف الأمر اليوم؟ وإن أرادت؟

اتصلت به فأجابها على الفور.. كانت تعلم أنه سيجيبها على
الفور. أخبرته أنها تريد رؤيته لأمر ضروري، تهلل صوته وأخبرها أن

لديه تدريباً رياضياً سيتهي منه في الساعة مساءً فاتفقا على أن يلتقيا في حديقة الطفل بعده.

أنهت المكالمات ونظرت في ساعتها، تبقت خمس ساعات على الموعد، كيف ستقضيهم؟ هل تذهب بعد العمل لتناول الطعام في أي مطعم قريب ترجية للوقت؟ انقبضت معدتها للفكرة، لن تستطيع الأكل قبل الانتهاء من هذا الموقف الذي لا يعلم سوى الله وحده كيف يمكن أن يتهي.

قررت البقاء في المدرسة.. تأملت صفحة الدفتر المفتوح أمامها على صورة الوشاح الملفوف حول عنق الضحية يخنقها في وحشية. تفاصيل الوشاح واضحة ومطابقة للصورة التي رأتها لدى منصور. لم تتحمل النظر إليه فهي لا تريد أن تتخيل ما حدث. كرمشت ورقاته بقبضتها وألقت بها في القمامة. رن هاتفها باسم أم إحدى طالباتها فرحبت بتشتيت أفكارها وانشغلت معها في حل مشكلة ابتها ثم قامت بعدة اتصالات بأولياء أمور آخرين لهم علاقة بالمشكلة حتى حلتها. انشغلت بعدها بخروج الطلاب والشكاوى السريعة منهم ومن أولياء أمورهم ثم بالمقابلات المدرجة على جدولها. كانت تتكلم معهم بفكر شارد ويال مشغول تنوق اللحظة التي ستفرغ فيها غرفة مكتبها من الدخلاء.

وأخيراً.. تمكنت قبل الخامسة بقليل من إغلاق بابها والاختلاء بنفسها، لم تكد تمر بضع دقائق حتى سمعت طرقة على الباب ثم فتحت الدادة أم قمر تسألها:

- أحتاجين شيئاً قبل أن أرحل؟

هزت نادين رأسها نافية، ثم تذكرت سلة القمامة فأشارت إليها قائلة:

٦
- أفرغها من فضلك.

نظرت أم قمر إلى السلة في استغراب، لا يوجد بها شيء يُذكر،
كما أن تفريغ السلال مهمة دادة فوزية في الصباح، ولكن لطف نادين
المعهود معها جعلها تتغاضى عن هذه التفاصيل البسيطة فحملت
السلة وخرجت. أفرغت أم قمر السلة فأخذت منها الأوراق وفردتها
ووضعتها في الحقيبة القماشية الكبيرة التي تجمع فيها أوراق «الدشت»
كي تبيعها بالكيلو للباعة الجائلين والمكبات القريبة.

أعادت أم قمر السلة الفارغة إلى غرفة مكتب نادين وتركها نهبة
لأفكارها، وقلبها ينهشه القلق والتردد.

حينما أصبحت السادسة وجدت نادين نفسها غير قادرة على
الانتظار أكثر من ذلك فسحبت حقيبتها وخرجت. سارت حتى
الحديقة على أفكارها تهذا قليلا، استغرق المشي حوالي ثلث ساعة
حتى وصلت إلى البوابة الرئيسية وقطعت تذكرة ودخلت. وجدت
أمامها عدة ممرات متفرعة تحفها الأشجار وأمامها مجموعة كراسي
بجوارهم كشك لصنع الشاي والقهوة، ترددت.. هل تنتظره هنا فتراه
فور دخوله من الباب؟ نظرت في ساعتها فوجدت الوقت لا يزال
مبكرا فقررت التجول في الحديقة قليلا وسط الأشجار الوارفة.
وضعت السماعات في أذنيها وشغلت «بودكاست» تحبه لكي يشغلها
عن التفكير غير أنها ما انفكت تنظر في الساعة كل بضع دقائق.

في تمام الساعة قررت نادين الجلوس على دكة خشبية أسفل
إحدى البرجولات في ركن بعيد، فضلت انتظاره في مكان هادئ

ومنعزل مخافة أن يحتدم الحوار بينهما. بعد قليل سمعت صوت
خفيف أقدام تقترب فرفعت رأسها.. رآته مقبلا يرتدي كتزة بكم طويل
برغم حرارة الجو ويغطي شعره الكثيف الجميل بقلنسوتها. ابتسم لها
ابتسامته الخجول التي تخطف قلبها فانشرح صدرها لمرآه، هل ازداد
طولا؟ لو كان ياسين حيا لبلغ طوله وربما أكثر. حيته وسألته:

- كيف عرفت مكاني؟

- بحثت عنك حتى وجدتك.

- لماذا لم تتصل بي وتسألني أسهل؟

- نسيْتُ هاتفي في البيت.

لا يزال ينسى أشياءه، تماما مثلما كان ياسين..

خلع عن كتفيه حقيبته المموهة التي لا تفارقه والتي تذكرها بزي
المجندين بالجيش وجلس بجوارها. مرت لحظة من الصمت نظر
إليها بعدها في تساؤل، شعرت بالارتباك، كيف ستفاته في الأمر؟
كيف تخبره بأنها تعرف؟

استجمعت شتاتها ونظرت إليه في حنان قائلة:

- فارس..

...

- أعرف ما فعلته.

حُضِن ماما

ظهر الذعر في عيني فارس فتحرّكت نادين بجسدها إلى الأمام
ومدت كفها تمسك بكفه تطمئنه بلهفة:

- لا تقلق، أنا هنا من أجلك.

احتل الذعر وجهه بالكامل وهو يهتف:

- لم أقصد قتلها.

- أعلم..

- ذهبْتُ إليها كي أطلب منها إيقاف المنشورات المسيئة.. لقد

نُظِّمونا بالسُّتْهم، أنا وفهد.

- أعلم.

- لم أتمكن من الاتصال بماما، وبابا كان يصرخ كالمجنون أن

ترقية عمره ستضيق منه فخفت ألا يعود إلى ماما كما وعدنا. حتى

خالتي داليا كانت غاضبة تخشى فقدان كل ما عملت من أجله. كنا

سعداء، وبابا قال إننا سنعود لنعيش معه، كل شيء كان على ما يرام

حتى ظهرت تلك السيدة وأساءت لنا جميعا بمنشوراتها. ماما لم تكن موجودة لتصرف وفهد لا يهتم إلا بنفسه. شعرت بالمسئولية، كان يجب أن أنقذ أسرتي. سمعت خالتي داليا تأخذ عنوان بيتها على الهاتف فدوته سرا وتبعت خالتي على أمل أن تستطيع إقناعها.

كان صدره يرتفع وينخفض وهو يردف بصوت مرتجف:

- ولكن حينما رأيتهما تتشاجران وكل واحدة تبتعد غاضبة عرفت أن خالتي فشلت. انتظرتها بالشارع، وحينما تأخرت دخلت السوبر ماركت واشتريت كيسا من البطاطس المقلية ومشروبا غازيا وصعدت السلالم وانتظرتها أمام شقتها، سمعتُ صوت باب المصعد يُفتح فأسرعت إلى أعلى أراقب القادم، وجدتها هي ولكن قبل أن أنزل لها ظهر رجل أسمر طرق بابها ففتحت له واستلمت منه شيئا وأدخلته، غاب قليلا قبل أن يخرج غاضبا، ورأيتُ روبانا أيضا تدخل وتخرج. وما إن خرجت روبانا حتى رننت الجرس، رأيتني من العين السحرية وفتحت لي الباب على الفور. عرفتني.. وظهرت على شفيتها ابتسامة بشعة.

توقف عن الكلام لحظة ليلتلع ريقه، حاولت نادين التحدث ولكنه أكمل في سرعة وكأنما يتحرر أخيرا من الكابوس الذي لازمه لليالٍ طويلة:

- تركتني واقفا ودخلت فدخلتُ وراءها، قلتُ لها إن المنشورات أساءت لنا كثيرا، ولا ذنب لنا في ما يحدث فبدأت تقول كلاما سيئا

على ماما.. كلاما شريرا أغضبني. طلبت منها السكوت فرفعت صوتها أكثر، كان الكلام يخرج بسرعة من فمها ولم أعرف كيف أسكتها.. أعطتني ظهرها في لحظة لتتظر إلى الموقد فأريتُ طرفي الوشاح يتدليان من على كتفها فلم أشعر بنفسي إلا وأنا أشدهما.. أشدهما بقوة لكي تسكت.

كان يرتعش وهو يحكي ونادين لا تعرف ماذا تفعل ولا كيف تحتوي احتياجاته وذعره.. أكمل قائلا بنبرة أهدأ قليلا:

- وقعت على الأرض، ظننتها ماتت. ثم تحركت فجأة، لم تكن ميتة.. شعرت بالرعب، لقد رأيت وجهي وعرفتني، سبّخهم بما فعلته، سيأخذونني بعيدا عن أسرتي، عن ماما وبابا وفهد.. سحبْتُ سكيننا من المطبخ لأقطع معصمها. ترددتُ ثم تذكرت أهلي وغرفتي وحضن ماما الدافئ، فمددت يدي وقمتُ بشق رسغها. فكرتُ أن ذلك سينقذني إذ سيظنون أنها انتحرت مثلما رأيت في المسلسل الكوري. ولكن بصماتي كانت حولي في كل مكان، رأيتُ قفازات المطبخ الملونة فارتديتها ومسحت البصمات من على كل شيء ولكنني لم أدر كيف أمسحها عن الوشاح فسحبته من حول رقبتها، قاومتني ولكنني انتزعته ووضعته مع القفازات في حقيبتني وأغلقت الباب خلفي ونزلت جريا على السلالم.

- كان ذلك حين رأيتك، ولكنك كنت مسرعا فلم أستطع إيقافك. رفع رأسه وسألها في دهشة:

- رأيتني يومها؟

أومات برأسها ودموعها تسيل على وجتيها، فسألها في خوف:

- هل أخبرت أحدا؟

هزت رأسها يمينا ويسارا تطمئنه فلاحت على وجهه راحة مفاجئة ولكن دموع نادين كانت لا تزال تنهمر. ربما ذلك ما جعله يدرك أن الأمر لن يمر ببساطة. غابت عنه الابتسامة البريئة التي أحبتها، تغير وجهه في عينيها وصارت ملامحه غريبة!

ازداد اضطرابها وتصاعدت دقات قلبها، شعرت بعجزها ولم تجد من الكلمات ما تقوله لتتقذ الموقف وقد تلاشى من عقلها كل ما درسته من علم النفس والتربية الإيجابية.

أدركت.. متأخرا.. أنها ربما لا تصلح لهذه المهمة، ليتها أخبرت منصور قبل أن تأتي.

حاولت لعلمة شتات نفسها فأخذت نفسا عميقا..

تعلقت عيناه بشفتيها فقالت:

- فارس.. أنت تحتاج إلى علاج نفسي مكثف. لن أخبر أحدا بما حدث، سنخوض رحلة العلاج معا.. أنا وأنت فقط.

كانت مؤمنة أن ذلك ممكن، وأنها قادرة على إنقاذه.. إنها مدينة بذلك لياسين، ربما لم تستطع إنقاذه ولكنها لا يزال بإمكانها إنقاذه فارس، غير أنه أجابها بصوت صار أجش قبل أوانه:

- لا أريد خوض رحلات، ولا أحتاج للعلاج، كل المشكلات تم حلها. أنا اليوم أعيش في بيت بابا بسعادة، وتيتا ستقنع ماما بالعودة إليه.. سيجتمع شمل أسرتنا، ولن أسمح لأحد أن يفرقنا ثانية.

ثم أضاف بقسوة مفاجئة لم تتوقعها:

- حتى لو كانت أنتِ.

تسلل الخوف إلى قلبها..

خوف لم تره قادمة حينما قررت مقابلته وحدها.

خوف دفعته عن نفسها قائلة إنه لا يزال طفلاً!

خوف جعل الألم الحارق يعود إلى كتفها وذراعها فجأة لتصبح غير قادرة على تحريكها وكأنها تزن أطنانا.

ماذا ستفعل الآن؟ وماذا ينوي هو أن يفعل بها؟

وقف أمامها وكأنه قد قرأ أفكارها..

- لا أحد يعرف أنك هنا لمقابلتي، أليس كذلك؟

فضحكت ملامح وجهها الإجابة التي حاولت كتمانها فظهرت ابتسامة اطمئنان على شفثيه جعلت قلبها يرتجف، أردف وعيناه تلمعان في العتمة:

- لدي خطة!

الضحية الثانية

قام منصور مرهقا بعد ليلة متعبة جافاه فيها النوم، قرر استدعاء نادين للاستجواب ثانية فور وصوله إلى القسم. فبرغم قناعته أن وليد هو الجاني خاصة بعد أن لاذ بالفرار، لكن شرود نادين وتعليقها بـ «غريب» حينما عرفت تاريخ وقوع الجريمة، ولمستها الخاطفة للعقد الفضي الذي أهداه لها ياسين، ثم التغير الذي طرأ عليها حينما رأت صورة الوشاح. تلك المشاهد لا تبارح خياله، تنهد.. نادين تعرف شيئا!



قذف منصور بهاتفه في غضب.. إنها المرة الرابعة التي يتصل بنادين ولا ترد. هل تتجاهله عن عمد؟ حاول تبديد الشك الذي بدأ ينبت في رأسه، فتح ملف القضية وراجع محاضر الاستجواب، غير أن وجه نادين ونظرتها الشاردة لم يكفها عن الإلحاح عليه. بعد ساعة من محاولات فاشلة للتركيز على أوراق القضية استسلم، سيذهب إليها في مقر عملها.

استقبله حارس المدرسة وقاده إلى غرفة مكتب نادين. غرفة صغيرة مرتبة.. فارغة! لم يكن الحارس متأكدا إن كانت في مكان آخر

بالمدرسة أم متغيبه. متغيبه؟ طلب منصور مقابلة المديره، انتظر قليلا على الأريكة الجلدية الموجودة أمام غرفة مكتبها حتى خرجت إحدى المدرسات ودخل هو. سأل عن نادين فأخبرته والقلق باد على محيّاها أن اليوم هو المرة الأولى لنادين في تاريخها الوظيفي بالمدرسة أن تتغيب دون عذر أو إيلاغ مسبق. انتقل إليه قلقها.. طلب منها عنوان منزلها وانطلق إليه. وصل في خلال دقائق، كلّت قبضته وهو يطرق الباب دون مجيب. ظهر البواب وأخبر منصور أن نادين مختفية منذ مساء اليوم السابق. انفعل عليه منصور:

- وما أدراك؟ ربما هي نائمة بالداخل أو خرجت منذ الصباح الباكر. هل أنت موجود أمام باب شقتها على مدار الساعة؟

- يا سعادة البيه، مدام نادين اتفقت مع ربيع السباك على زيارتها في التاسعة مساء أمس لتسليك البلاعة، كانت لها ثلاثة أيام تحاول تحديد موعد معه. وحينما أتى ربيع لم تكن موجودة، قلتُ لنفسي كيف تضيع موعد الأسطى ربيع بعد أن حصلت عليه بصعوبة؟ طرقتنا الباب كثيرا واتصلنا بها دون مجيب! إذا لم تصدقني اسأل مدام بثينة جارتها.

لم يحتج منصور للطرق على باب مدام بثينة إذ طلت منه برأسها المفلطح ذي الشعر الأصفر المصبوغ وهي تقول:

- نادين ليست موجودة. كلبتها تنبح منذ الفجر.

سمع منصور بالفعل صوت نباح كلب فهز رأسه في يأس ثم طلب من جارتها أي وسائل اتصال بأقارب لنادين.

- والدها متوفى وليس لها إخوة ووالدتها مقيمة بمدينة السويس،
سأعطيك رقمها.

ثم أضافت:

- أنا قلقة عليها. نادين لم تترك كلبتها أبدا.

نهش القلق قلب منصور.. أين اختفت نادين؟ ولماذا؟

عاد إلى المكتب فوجد أنور بانتظاره، تبادلوا الحديث حول القضية
ونادين، حينها قال أنور بحذر ما حاول منصور إنكاره بينه وبين نفسه:

- سيادة المقدم، لا نستطيع تجاهل وجود نادين في البناية وقت
وقوع الجريمة مع وجود الدافع لارتكابها.

- دافع؟

- ألم تهدد كثيرا بالانتقام ممن عرقلوا تقرير فحص المقذوفات
في وزارة الصحة.

- وهل للمجني عليها علاقة بذلك التقرير؟

- لا نعرف.. يجب أن نتحقق من الأمر، ولكن اختفاءها مريب.

- حسنا تحرر عن علاقة المجني عليها بالمعامل الجنائية لوزارة
الصحة. سنتظر لنهاية اليوم، إن لم تظهر نادين استصدر إذننا من النيابة
بتفتيش محل سكنها وغرفة مكتبها بالمدرسة.

خرج أنور وترك منصور نهبا لخوابه السوداء. حاول طمأنة نفسه..
نادين لم تتغيب سوى بضع ساعات، وهناك ألف تفسير محتمل، ربما

تأخرت لدى صديقة فقررت البيات عندها، أو ربما أصيبت بوعكة
صحية مفاجئة وهي راقدة الآن في أحد المستشفيات.

حاول الاتصال بهاتفها مجددا فوجده مغلقا. هل هربت حقا؟ هل
انتقمت لابنها بعد أن عجز القانون عن جلب العدالة لها والقيام بدوره
في القصاص؟ هل يمكن لتلك المرأة الرقيقة أن تقتل؟ أن تخنق ثم
تشق رسغا في وحشية؟ ولماذا اختارت منى لانتقامها دوننا عن باقي
موظفي معامل وزارة الصحة؟ ولماذا الآن؟

لا.. الأمر غير منطقي!



تسللت خنفساء أرجوانية صغيرة تحت الغطاء القذر في غرفة
الأدوات الزراعية بالحديقة. صعدت على الجسد البارد الممدد على
الأرض وسط المخلفات. لم تعتد وجود أحد في الصباح الباكر فما
الذي جاء بهذا الجسد إلى هنا؟ ولماذا لا يتحرك مثلما يفعل البشر؟
تفضل عند بزوغ النهار الاختباء من مناقير الطيور في الأماكن الظليلة
الرطبة، والآن جاء هذا الجسد الساكن ليعوق طريقها. لم تكن تعرف
أن ذلك الجسد ضحية للغدر والغيلة. كما لم تر الخنفساء ابتسامة
الرضا التي ظهرت على شفثيه وهو يفارق هذه الدنيا القاسية ويلحق
بحبيبه في عالم البرزخ الرحب ليجتمع شملهما أخيرا حيث لا ظلم
ولا نفوذ يحمي المجرمين من الحساب.



مرت الساعات ثقيلة على منصور حتى أتى صباح اليوم التالي، استصدر أذن النيابة المطلوبة واستتفر قوى الأمن للعثور على نادين.. بات مقتنعا أنها المفتاح وأن لديها ما يميظ اللثام عما جرى! بعد سويعات من البحث بدأ يتلقى النتائج: أفادت شركة الاتصالات بأن آخر موقع رصد فيه هاتفها كان حديقة الطفل بحي مدينة نصر مساء يوم اختفائها، وبعد مرور اثني عشرة ساعة لم يعد الهاتف متصلا بالشبكة. أمضى تميم خمس ساعات يشاهد فيديوهات كاميرات المراقبة الخاصة ببوابة حديقة الطفل. رأى نادين تدخل بعد السادسة بقليل ولكنه لم يرها تخرج حتى أطفئت أنوار الحديقة وأغلقت أبوابها. سأل أنور في اندهاش:

- هل تعني أننا فقدنا أثرها؟

قال تميم:

- يوجد العديد من المطاعم والمقاهي على أطراف الحديقة فربما خرجت من إحداها، هل تريدون مني مشاهدة الفيديوهات الخاصة بها؟

- أعرف هذه المقاهي جيدا، لا توجد لها مداخل مباشرة على الحديقة.

- ولكن الخروج من أحدها ليس مستحيلا إن أرادت إخفاء أثرها فالفواصل بين المقاهي والحديقة قابلة للتخطي.

- هل تعني أنها هربت؟

- وما الاحتمال البديل؟

لم يجبه منصور، فالا حتمال البديل أقسى من أن يلفظه.

سأل تميم:

- لماذا مستهرب؟

- إن كانت القاتلة، بالتأكيد مستحاول الهرب بعد استجواب سيادة
المقدم لها ورؤيتها لصورة الوشاح.

كان منصور يستمع إليهما في شروء، وفجأة قاطعهما قائلاً:

- سنستصدر أمرا بفتيش حديقة الطفل.

- ماذا!



وقف منصور تحت أشعة شمس منتصف النهار القوية ينظر إلى
أطراف الحديقة المترامية ورجال الأمن متشرون حوله يفتشونها. بعد
قليل جاءه قائدهم قائلاً:

- لم نجد شيئاً.

لم يدر منصور أيطمئن أم يزداد قلقاً ولكنه سرعان ما رأى أنور
يهرول نحوه ومعه أحد عمال الحديقة الذين كان يستجوبهم..

- سيادة المقدم. لقد وجدنا محفظتها.

أعلن أنور لاهثاً وهو يقدم إليه حافظة جلدية زرقاء بينما قال
العامل:

- وجدتھا صباح أمس أثناء كنس الحديقة واحتفظتُ بها حتى تسألني علیها صاحبتها.

رّمقه منصور بنظرة متشككة ثم أمره باصطحابه إلى حیث وجد الحافظة. قاده العامل إلى منطقة معزولة أسفل برجولة وأشار إلى الأعشاب الطويلة أسفل الدكة الخشبية قائلا:

- هنا.

لاحظ منصور الآثار الخافتة المتقطعة لجر جسم ثقیل علی الحشائش فانقبض قلبه. صرخ فیمن حوله:

- هل فتشتم المكان هنا جیدا؟

ثم أشار إلى غرفة خشبية متهالكة..

- هل فتشتموها؟

قال العامل:

- هذا مخزن الأدوات الزراعية.

سأل منصور قائد الفريق وقد بدأ يفقد أعصابه:

- هل بحثتم فیها؟

لم یجبه الرجل فأسرع منصور نحو الغرفة ودفع بابها الخشبي فی عنف ودخل..

فداھمت الرائحة!

خاتم وبصمة وحقيبة

وقف منصور أمام جثمان نادين المملد مهزوما يكبح دموع
الغضب. كانت آثار الخنق واضحة على رقبتها دون الحاجة لتقرير
لب شرعي. وقف أفراد الشرطة يذودون الناس الذين تجمعوا
حولهم يشربون برؤوسهم في فضول، وتحرك رجال البحث الجنائي
بمحصول المكان.. تم تحديد مكان القتل بالموقع الذي عُثر فيه على
مافظة نادين وتحديد الوقت المبدئي لوفاتها بمساء يوم اختفائها
رحتى ساعات الفجر الأولى.

هناك من استدرج نادين وأنهى حياتها بدم بارد..

شعور عارم بالفشل سيطر على جوارحه.. فشل في أن يحمي المرأة
لتي أحب، فشل في أن يأتي لها بحق ابنها، فشل في أن يجد قاتل منى
رزوق.. من هو إذن؟ وماذا يفعل في هذه الحياة سوى الفشل!

اقترب منه الرائد أنور قائلا:

- متعلقات المجني عليها كلها موجودة.

المجني عليها؟ نادين أصبحت في بضع ساعات المجني عليها!

.....
- وجدنا حقيبتها بجوارها فيها الهاتف وبطاقتها الرسمية ومبلغ مالي.

- القتل لم يتم بغرض السرقة.

قالها منصور بصوت مختنق فأوما أنور وأضاف:

- سيتم نقل الجثمان إلى مصلحة الطب الشرعي لتوقيع الكشف.

- لدينا إذن من النيابة بتفتيش محل عمل وسكن الـ... المجني عليها، قم بذلك. ابحث عن أي دليل يميّط اللثام عما حدث.

- هل تظن الأمر متعلقا بقضية ابنها؟ ربما استأجر أحد العجّنة من يقتلها كي يتخلصا من ملاحقتها المستمرة لهما.

- من السابق لأوانه القفز لأي استنتاجات، ولكن القتل بالخنق يشير إلى جريمة غضب. القاتل كان يعرفها.. يجب أن ندقق جيدا في حياتها قبل أن نوجه التحقيق لأي اتجاه.

قالها منصور ويدخله مراجل تغلي..

سيجد الجاني.. ويتقم منه.



مرّت عدة أيام ومنصور لا يكلُّ ولا يملُّ، فحص كل دليل ممكن، غرفة مكتبها الصغيرة، شقتها المرتبة، سجلات هاتفها، حسابها البنكي، استجوب والدتها المكلوّمة، وجيرانها، وزملاءها في المدرسة، والعاملين بالحديقة، دون أن يجد خيطا واحدا يقوده!

بدأ يشعر بالفشل والتخبط، لا يستطيع التركيز على قضية مُنى بعد أن وصل التحقيق فيها لمراحلها الأخيرة، ولا في قضية نادين. يلحُ عليه هاجس أن القضيتين مرتبطتان ولكن دون دليل، مقتلها في ذات اليوم الذي رأت فيه صورة الوشاح، التعبير الغريب الذي اعتري وجهها حينما عرفت أن الجريمة وقعت في توقيت وجودها في البناية. لا.. ليست صدفة.

سيعيد مشاهدة أشرطة فيديو كاميرات المراقبة الخاصة بالبناية، والخاصة بحديقة الطفل. لن يهدأ حتى يجد الشخص المشترك الذي تواجد في هذين المكانين وقت وقوع الجريمتين، وحينها! سيضع قبضته على المجرم.. ولن يفله.

*

فتح منصور عينيه على كف يرت على كتفه..
- سيادتكم نمت وأنت تشاهد الفيديوهات.
رفع رأسه ليجد نور الصباح قد ملأ الغرفة وأنور ينظر إليه في إشفاق. مسح منصور وجهه بكفيه وقام يمدد أطرافه وهو يقول:
. - لم أجد الشخص المشترك حتى الآن.
- لا زلت مصرا على هذه النظرية؟
- هل لديك غيرها؟
- الكثير..

- مثل ؟

- خلاف بينها وبين أحد الأشخاص، التقت به في الحديقة واحتدم بينهما الشجار فقتلها وهرب. أو.. محاولة سرقة فاشلة، قتلها السارق ثم خاف من اكتشاف أمره فهرب دون أن يأخذ شيئا.. تحدث كثيرا.

- من ذلك الشخص الذي التقت به واختلفت معه؟ لقد راجعنا سجل هاتفها لأسبوع فانت من يوم الجريمة فلم نجد أي أرقام غريبة، كلهم إما طلبة، وإما أولياء أمور لا علاقة لهم بقضيتنا، ثم أرقام حارس العقار والسباك.. كيف تم الاتفاق على اللقاء المزعوم إذن؟

- ربما التقت به سابقا فاتفقا على اللقاء في حديقة الطفل. التقت به في المدرسة أو في الشارع، ربما كان أحد الجيران.

- لا.. نادين رأت شيئا يخص قضية منى ولذلك قتلت. ولكن المشكلة أن وليد المشتبه به الرئيسي لدينا في القضية خارج البلاد، ورجب كان في الحجز. هل كلف أحدهما قاتلا مأجورا بقتلها؟

هز أنور رأسه يمينا ويسارا في عدم اقتناع ففاجأ منصور بسؤاله:

- ألم تصلك أي معلومات جديدة عن الجناة في قضية الطفل ياسين؟

- ألا زلت مهتما بها؟

- لقد وعدتها أنني سأجلب العدالة لابنها.

- حسنا.. سأواصل مع المصدر السري وأخبرك بالجديد.

- لا أريد تسرّب أي معلومة في هذه القضية لأي من العاملين
بالقسم. أنا وأنت فقط.. هل تفهم؟

- تمام.

خرج أنور وجلس منصور ورأسه سينفجر من الصداع والتفكير.
رجه نادين الساكن لا يفارق خياله، وخصلات شعرها المجمدة
اللامعة، وابتسامتها النادرة، وعيناها الكحيلتان تنظران إليه في
استجداء: جد قاتلي، وقاتلي ابني.

لا يصدق أنها رحلت عن عالمه بهذه السرعة، كانت أملا يتشبث
به ولا يعلم كيف سيعيش من بعده. قام فتوضأ وصلى وطلب فنجان
القهوة المزدوج من شعبان ثم هاتف الدكتور علاء وسأله في لهفة:

- هل من جديد؟

- لقد سألتني هذا السؤال ثلاث مرات في الأربع وعشرين ساعة
الماضية.. وكما قلت لك في كل مرة تسألني، الوفاة حدثت بأسفكسيا
الخنق. آثار أصابع الجاني واضحة على العنق، والقوة المستخدمة
تدلّ على ذكر قوي.

- نعم أعرف.. ولكنك أخبرتني أنك تفحص تلك الآثار بحثاً عن
أي معلومات تدل عليه.

- في الحقيقة..

انتعش الأمل.

- لم أرغب في إخبارك حتى يصدر التقرير الرسمي ولكن..

- ماذا؟

- هناك آثار خاتم منطبعة على جلد الضحية. خاتم عليه زخرفة ما
أو ربما هي حروف محفورة..

- خاتم؟ في اليد اليسرى؟ الأتات، متزو؟

وقفز إلى ذهنه خاتم زواج وبيد الاسود المزخرف.

- بل في اليمنى.

- خاطب؟

سأله منصور ومرت صور جميع المشتبه بهم في عقل منصور
كما سح ضوئي يبحث عن خاتم في اليد اليمنى..

- لا أعتقد أنه خاتم زواج فهو مصنوع من البرونز، الاحتمال
الأرجح أن يكون خاتم زينة.

تذكر منصور على الفور الخاتم الضخم الذي كانت تبحث به رويانا
في الاستجوابات، ظنه مصنوعا من الذهب، أم كان من البرونز؟ سأل
دكتور علاء:

- امرأة ذات قبضة قوية وقادرة على الخنق، ترتدي خاتم زينة
رخيص؟

- ربما.. وهناك شيء آخر.. نادين كانت ترتدي في عنقها عقدا
من الفضة.

- نعم.. لم تكن تخلعه أبدا.

- لدي أمل في أن نجد عليه بصمة للقاتل فالعقد كان يحيط
برقبته.. رفعنا عنه البصمات وأنا بانتظار التقرير.

أنهى منصور المكالمة وقد انتعش الأمل في قلبه.

سيشير العقد الفضي للقاتل، العقد الذي أهداه إليها ابنها..

ياسين يحمي والدته حتى بعد موتها.



نزل منصور مسرعا على السلم الرخامي المنحول لمبنى محكمة
الجنايات حينما سمع صوتا ضعيفا يناديه. التفت ليجد امرأة منحنية
الكتفين ربما في أواخر الستين من عمرها بانتظاره فاقرب منها..
يعرف هاتين العينين.. لكم أوحشته..

مدت له المرأة كفها قائلة في حرارة:

- شكرا لك. لقد جلبت قدرا كبيرا من الراحة لقلبي المكلم.

- هذا واجبي.

- خفتُ بعد موت نادين أن يتلع النسيان قضية ياسين وفقدتُ
الأمل في إعادة المحاكمة. ولكن اليوم.. حينما رأيتُ الجناة أخيرا
وراء القضبان.. بردت نار قلبي قليلا.

منحها منصور ابتسامة متعبة وهم بالذهاب ولكنها أمسكت بذراعه
بقبضة واهنة، عرف ما ستقول..

- هل من جديد؟

هز رأسه يمينا ويسارا وهو يتحاشى النظر في عينيها. لم يظهر عليها الغضب ولا اليأس بل قالت في استسلام:

- سأنتظر.

أوما برأسه وهرب.. لم يستطع الوقوف أمامها منكس الرأس معترفا بفشله في قضية ابنتها، قضية المرأة التي سكنت قلبه وأحلامه لعامين كاملين.

لقد مرّ شهر كامل منذ أن وقف أمام جثمان نادين المسجى بالحديقة يتوعد القاتل، ولا جديد حتى الآن سوى بصمة جزئية جديدة وجدوها على العقد الفضي تم مضاهاتها بالتي وجدوها في شقة منى ولحسن الحظ حدث تطابق بنسبة 90 بالمئة.

دخل سيارته وأشعل محركها وهو يجدد لنفسه العهد بأنه لن يأس!

فهناك قاتل طليق اقترف جريمتين، وإن كانت القتلة الأولى تمت بدافع غضب لحظي فإنه على يقين من أن القتلة الثانية تمت بدم بارد وأن الجاني قد ازداد جرأة وأصبح يشكل خطرا حقيقيا على المجتمع ولن يتوانى عن اقتراف المزيد من الجرائم إن اضطر لذلك. يجب إيقاف ذلك المجرم بأي ثمن.

فند منصور ما لديه من أدلة: البصمة الجزئية وخاتم ذي نقوش مميزة وحقية كبيرة.. عدد لا بأس به من الأشياء ليستدل بها على القاتل.

سيراجع كل الصور المتعلقة بالقضيتين وتلك التي تم استخدامها في المنشورات المسيئة بحثاً عن خاتم برونزي رخيص عليه أحرف محفورة يضعه صاحبه أو صاحبتة في البنصر الأيمن. وسيبحث أيضاً عن يحمل حقبة تكفي لتخبئة الوشاح وقفازي المطبخ دون إثارة الشكوك. كما سيقوم بحصر بصمات جميع المشتبه بهم من قريب أو بعيد في القضيتين، ويضاهيها بنفسه بالبصمات الجزئية التي لديه ليحصر أصحاب البصمات المتشابهة ثم سيبحث عنهم في كل وجه ظهر على تلك الأشرطة اللعينة الخاصة بالبنية وحديقة الطفل بكل مداخلهما.

تذكر منصور شيئاً..

عبارة أخبره بها أنور ولم يتبه لها في حينها: «لم يتم الاستدلال على أي تطابق للبصمة الجزئية في قاعدة بيانات مصلحة الأدلة الجنائية بوزارة الداخلية».

لم يولي تلك المعلومة اهتماماً في حينها ولكن الآن حينما يفكر فيها!

لقد تعامل مع المعلومة من الزاوية الخطأ..

الاستدلال لا يهم، بل عدم الاستدلال هو المهم، هو المعلومة..
فعدم الاستدلال يشير إلى الفئات غير المسجلة بقاعدة البيانات. هذه هي الفئات التي سيبحث فيها عن المجرم.

وسيجده!



ليلة بكى فيها القمر

جلست أميرة على الأريكة البيضاء التي كانت تحبها مُنى وأغمضت عينيها وعادت بذاكرتها إلى ليلة الخميس، قبل موت مُنى بأيام.. كانت قد اتصلت بها ظهرا فسمعت صوتها يتهدج بالبكاء فاستقلت أول قطار إليها. وصلت بعد العصر بقليل لتجدها قابعة في نفس الزاوية وما إن رأتها حتى هتفت في وجع ومرارة:

- وليد سيتزوج.

تعجبت أميرة.. وليد الذي طالما زعمت مُنى أنه لم يعد يهمها! وقالت له مرارا: اذهب وتزوج غيري.. ماذا حدث؟ أهى حساسية المرض أم رهافة الاقتراب من الموت؟

نشقت مُنى وهمست بصوت منكسر:

- أحبه يا أميرة.. أحببته دائما. ولكنني أعترف، لم أستطع منحه السعادة. كان هناك شيء مكسور بداخلي، ظننتُ وأهمة أن الزواج سيصلحني ولكنه لم يفعل بل ازداد الظلام تمدا حتى تمكن مني. حاولتُ إخراج الحب من داخلي فلم أجده، كنتُ مجوفة من الداخل

لا شيء سوى صحراء جرداء. مهما حاولت الاقتراب منه وجدتهني
بعده.. رويدا رويدا أدركت أنني خلقتُ منبوذة.. وأن النبذ ملاذي
منطقة راحتي حيث لا أحمل هم المحبوب ولا أتساءل إن كان
بحبني، ولا أنتظر منه شيئاً.. أنا لا أصلح للحب يا أميرة. وليد لم
بحبني، لم ير أنني أستحق.. تماماً مثل أبي.

أرادت أميرة أن تخبرها أن المشكلة لم تكن في وليد، بل فيها..
في نظرتها لنفسها.. فبعد أن نشأت على معاملة أبيهما السيئة لها، لم
نستطع مُنى أن تحب نفسها.. لم تؤمن أنها تستحق!

ولكنها عوضاً عن ذلك قالت:

- ماذا دهالكِ يا مُنى؟ بل تستحقين كل خير. وبداخلك عاطفة
كبيرة.

- كان يا أميرة.. كان. حينما كنتُ صغيرة أتوق لليوم الذي
سأخرج فيه من بيتنا إلى بيت زوجي، أحلم بحياة سعيدة معه
وبأمسيات أضع فيها رأسي على كتفه متجاورين على الأريكة نشاهد
أفلامنا المفضلة.

تذكرت أميرة اليوم الذي جاء فيه وليد مع أسرته لخطبة مُنى. كان
يوماً استثنائياً.. ليس فقط لأن عريسا طرق بابهم، بل لأن والدهما
زارهما بعد غياب طويل. ارتدت مُنى يومها أجمل أثوابها.. وأكملت
مظهرها بلمسات بسيطة من أحمر الخدود وطلاء الشفاه اللامع
أظهرت جمالها الخجول. تتذكر فرحة عينيها وهي تمسّ بأصابعها

.....
سلسلة الخطبة التي ألبسها إياها وليد غير مصدقة أن الفرحة كُتبت
لها. سألتها:

- وما الذي منعك من تحقيق أحلامك بالحب والسعادة؟
صرخت مُنى:

- إنها فدوى.. رأسها كان دوماً بين رأسينا على الأريكة، وجسدها
بين جسدينا على الفراش. كنتُ أرى عينيه الشاردتين بعيداً عني
وصورتها اللعينة منطبعة على حدقتيه وسط اللهب. حين رأيتهما في
الفيديو ترتدي سلسلة مماثلة لتلك التي خطبني بها وليد أدركتُ كم
أكرمها وأحقق عليها. يجب عليّ منع تلك الزيجة بأي ثمن.. ليس
من العدل أن أموت أنا بعد حياة كلها ألم وحرمان بينما يتزوجان هما
ويستمتعان معاً بحياتهما على أنقاض روحي.

قطع كلامهما رنين هاتف مُنى فتماكنت نفسها وأجابت بسرعة:
- نعم يا أسطى فتجي.

.....

- ممتاز.. تتبعهما ووافيني بالصور.

أنهت مُنى المكالمة وعلى شفيتها ابتسامة غريبة أقلقت أميرة
فسألتها:

- ما الأمر؟

- قلتُ لك: لن أسمح بتلك الزيجة. على جثتي!

ثم صمتت لحظة قبل أن تردف بابتسامة باهتة:

- ستكون جثتي متاحة قريباً أعرف، ولكن...

لم تستطع إكمال عبارتها، حاولت أميرة أن تحتضنها ولكنها قامت وأسرعت إلى الحمام. لم تعرف أميرة كيف تتصرف فمُنَى طوال عمرها كتومة لا تحب إظهار مشاعرها ولا تقبل أن ترى تعاطفاً أو شفقة في عيون أحد حتى لو كانت أختها. عادت مُنى في حال أهدأ وقالت:

- اسمعي يا أميرة.. لا أريد أن أكون مثل أمي، عانت من سوء معاملة أبي لسنوات قبل أن يتركها من أجل امرأة أخرى. أرفض أن أنتهي كما انتهت.

- لكن الوضع مختلف، والدنا تزوج طمعاً في الولد.

- وأنا؟ أنا التي تفوقت، ونجحت، وصرتُ طبيبة! طبيبة يتباهى بها في كل مكان إلا أمامها.. لم يسامحني أبداً على أنني كنتُ السبب في موت محمد.

اتسعت عينا أميرة..

- مُنى، لا تظلمي نفسك. لم يكن لكِ أي ذنب!

لكن مُنى واصلت.. كطفلة مذعورة تبحث عن تفسير:

- قال إنني بومة ووشّ النحاس، جلبت الموت، وسرقت رحم أمي، وحرمتها من الولد للأبد. لم يحبني أبداً. واليوم أكتشف أن

نشأتني مع أب أنكر احتياجاتي النفسية والجسدية وكبت حقي في التعبير عن مشاعري جعلتني أستقبل الحب كرفض دون وعي أو إرادة مني. استقبلت معاملة وليد الحسنه بسوء نية ولم أتمكن من تصديق حبه وعطفه بل كنت دوما في انتظار اللحظة التي سأرى فيها وجهه الثاني لأن الإنسان الذي ينشأ ويداه مكبلتان سيعتبر القيود والسلاسل جزءا من تكوينه الشخصي. ولكنني للأسف اكتشفت ذلك متأخرا.. جدا.

تمدد الفراغ والحزن بداخل أميرة مع كلمات أختها. كيف حفرت معاملة أبيهما القاسية كل هذا البؤس في قلبها؟ كيف صدقته وهي التي درست الطب وتعرف جيدا أن مسئوليتها عن موت أخيها التوأم بعد ولادته محض خرافة وجهل؟

تذكرت الأيام القاتمة التي تلت رحيل أبيهما وزواجه بامرأة أخرى والأولاد الثلاثة الذين ملأوا حياته الجديدة، تاركا لهما من بعده السرطان الذي التهم جسد أمهما ببطء..

مُنى كانت الوريثة الوحيدة لكل هذا الظلام.

- سأكتب لك الشقة يا أميرة.

- ماذا تقولين؟

- أنا مدينة لك.. لم يقف معي في مرضي سواك.

- ما هذا الكلام الفارغ؟ أنا أختك وهذا واجبي.

- ليس لي واجب عند أحد.. يجب أن أرد لك الجميل. كما أن
لدي لا يستحقها، الشقة هي الشيء الوحيد الذي أستطيع أن أسلبه إياه
ربما يشعر بقليل من اللوعة أو الغضب أو حتى الضعف.

- وأولادك؟

- جنى متزوجة وسعيدة مع أسرة حنان وكمال، وإياد مستقبلة
راضح وواعد بالنجاح، كما إنهما سيرثان الكثير من أبيهما ولا
يحتاجان إلى الشقة. إنها من حقل.

- لا..

- أرجوك يا أميرة.. هذه رغبتى الأخيرة.

تعالى رنين هاتف أميرة فأعادها إلى الواقع.. وجدته زوجها
يسألها:

- ألن تعودى إلى البيت يا أميرة؟

- قلت لك مرارا.. لن أعود حتى أجد قاتل أختي.

- اعقلي وارجعي.. الموضوع سيطول.

- لا أستطيع يا محمود.

صارحته بضعف ثم أنهت المكالمة وعادت إلى حاضرها الذي
خلا من منى.. فتحت عينيها على اتساعهما تحديق في السقف حتى
نلاشت صورة منى الحزينة المتعبة من مخيلتها، ثم أغمضتهما في
رفق واستدعت الصورة التي تريد الاحتفاظ بها إلى الأبد:

مُنَى الشابة الجميلة، في ثوب زفاف أبيض، وشعرها الأسود الطويل
المزدان بطوق من الياسمين واللؤلؤ ينسدل على ظهرها، ترتدي حذاء
بكعب عال اشترته براتب شهرين كاملين لتكتسب بضعة ستمترات
إضافية لكي تتمكن من النظر في عيني ولید حينما يلف سلسلة الخطبة
حول جيدها ويعدها بالحب والحياة.



وقف بائع الذرة أمام باب المدرسة يهوي بمروحة من الريش على
الأكواز الصفراء كي تنضج سريعاً ليلحق بها الطلاب الخارجون من
اختبارات نهاية العام. اقترب منه ولدان وطلب كل منهما كوزاً. انتقى
لهما كوزين كبيرين حياتهما طرية ومستوية، لف كل كوز منهما في
أوراق الذرة الخضراء ثم في أوراق ملونة من التي اشتراها من الدادة
أم قمر.

قضم الولدان الذرة بنهم وهما يثرثران ثم استرعت انتباه أحدهما
رسومات «المانجا» في الورقة التي فكّها عن الكوز خاصته فقال
لصديقه في إعجاب:

- انظر كيف يتلوّى هذا المخلوق الفضائي من الخنق.

- من رسمها فنان.. ولكن الوشاح شكله غريب، لا يليق على
رسوم المانجا ولا الفضائيين.

- أتعرف؟ إنها تشبه رسومات فارس.

- فارس من؟

- فارس عمرو حماده..

ظلت نظرة الجهل على وجه صديقه فأردف يذكره ضاحكا:

- فارس بن فدوى بنت فؤاد، هل نسيتَه؟

- آه آه تذكرته.

شاركه زميله الضحك وهو يكوّر ورقة المانجا بيده ويقذف بها في الشارع ليسمع صوتا حادا من خلفه قائلا:

- مصطفى.. ضعها في السلة.

استدار وراءه ليجد ميس كريستين تنظر إليه شذرا فانصاع لها
ورمى الورقة المكورة في صندوق القمامة الرمادي الكبير أمام بوابة
المدرسة وعاد يضحك مع زميله وهما يقضمان الذرة في استمتاع.

شكر

إلى قرائي الأعزاء.. شركاء الرحلة ووقودها، فأنتم تملؤون حياتي
دفئا وصخباً.

إلى قرائي الأوائل وحائط الصد المنيع:

- المهندس محمود منير، أول من قرأ الرواية وطمأن قلبي بكلماته
الداعمة وأهداني الملاحظات الأولى.

- إلى القارئ العزيز فارس أيمن، كاتب المستقبل الموهوب،
شكراً على ملاحظاتك القيمة وزيارتك الملهمة للمتزّه.

- إلى زوجي الحبيب إيهاب راتب، الذي يمنحني رؤية أكثر قرباً
وواقعية.

- إلى ابنة عمي العزيزة رضوى داود التي لا تبخل عليّ أبداً بوقتها
وملاحظاتنا الدقيقة التفصيلية الشاملة.

- إلى ابنة عمي العزيزة مريم داود التي تسأل دوماً الأسئلة
المهمة.

- إلى ابنة عمتي العزيزة شذى عودة التي أنتظر رأيها وملاحظاتها وتبكيها بصبر وشغف.

- إلى ابنة عمتي العزيزة فاطمة توفيق التي تُشري رواياتي بنقدها المختلف وعنايتها بالتفاصيل.

- إلى ابنة عمتي العزيزة سميرة توفيق التي أسدت لي ملاحظات دقيقة من زاوية مميزة خاصة بها.

- إلى ابنة عمتي العزيزة علياء عودة التي تحرص على القراءة والمشاركة في نقاشات الرواية مهما كان وقتها ضيقا.

- إلى صديقتي الفنانة التشكيلية الجميلة ياسمين بطايعي على منح رواياتي وقتا للقراءة والمراجعة وتدوين الملاحظات.

وإلى ابنة عمي د. سارة حسن، طبيبة الباطنة اللامعة والأستاذ المساعد بجامعة عين شمس.. مصدرى الأول في المعلومات الطبية رغم جدولها المزدحم دائما.

وإلى ابنتي الجميلة سارة.. شكرا على أفكارك المثيرة للجدل.

وإلى ناشرتي الجميلة والداعمة دوما، نرمين رشاد.

شكرا

ماذا تعرفون عن الحب؟
هو قرص من عسل أو ورد على سياج بعيد؟
وماذا إذا التقى الحبيبان بعد فراق طويل؟ فراق لم يقض
على حبهما بل أجهه في قلبيهما كجمرة مشتعلة تحت
الرماد.

يا لروعة اللقاء الثاني.. وأحلامه.. ووعوده.. ووروده.
ولكن هذه رواية جريمة!
فهل سيكون اللقاء الثاني نورا وقبله حياة لفدوى ووليد؟ أم
سينقلب إلى نار تحرق الجميع؟
رواية تبدأ بقتل وقصة حب.. فأين ستنتهي؟ وكيف يمكن
للعادلة العمياء أن تتحقق بين أتون المشاعر المتشابكة
وأسرار الماضي القائمة؟

نهى داود كاتبة مصرية ولدت في إنجلترا عام ١٩٧٥م،
تخرجت في قسم الاتصالات بكلية الهندسة جامعة القاهرة.
وبعد أن عملت بمجال تخصصها لسنوات غمرها تيار الشغف
لتعكف على كتابة أولى رواياتها البوليسية بعد أن حصلت عل
دبلومة الكتابة الإبداعية من جامعة ويزليان الأمريكية، ثم
تخصصت الكاتبة في أدب الجريمة صدر لها ٩ روايات منها:
"رضا"، و"جثتان والثالثة عند قدمي"، و"دماء على السجادة
الحمراء"، و"ذبابة زرقاء".



الدار المصرية اللبنانية 40



للشراء عبر موقعنا
www.daralsharabiya.com



9 786038 403211